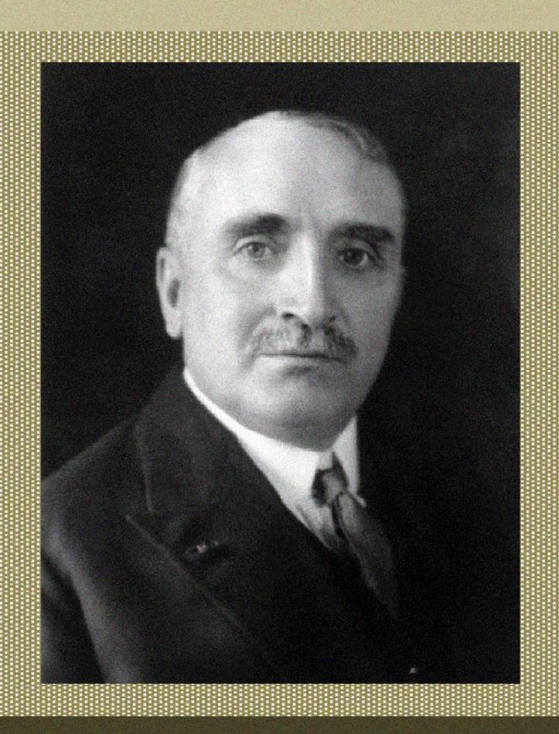
المؤسسة العربية للدراسات والنشر

سلسلة أعلام الفكر العالمي



كلوديل

پول كلوديل

تأليف : لويس پيرش

ترجمة : المحامي حسيب نمر

الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

پول كلوديل

تأليف : لويس پيرش

ترجمة : المحامي حسيب نمر

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير
ت ٣١٢١٥٦ - ٣١٩٥٨٦ - برقيا . موكيالي . بيروت
ص . ب : ٥٤٦٠ / ١١ بيروت

بول كلوديل

بول كلوديل

تاليف

لويس بيرش

دراسة ، قصائد مختارة ، تاريخ حياته

بول كلوديل وعصره

نقله الى العربية : المحامي حسيب نمر .

عن الطبعة الثامنة

مظهر الشاعر

« من استلقاء بطيء، تمطى الكائن العجيب المنكمش على نفسه من شدة الشهيق ، باذلا اقصى ما يمكنه من جهد بقساوة الى درجة ان القشرة الصلبة تفجرت ، وان العضلات خرجت من جلده . انها اندفاعات مستقيمة ، وتشنجات ، وانعكاسات وتقلصات في الكتفين والردفين ، واسترخاءات في مفاصل القائمتين الخلفيتين ، وحركات تشبه حركات العفريت والرافعة . والساعدان في ارتفاعهما وهبوطهما يظهران كأنهما يرفعان الجسد عن مفاصله المطاطية . انها عقد الافاعي ، انه الافعوان ذو الرؤوس التسعة (الهيدر Hydre) الذي من الارض الصلبة ، ينتزع نفسه بشدة ... »

(معرفة الشرق)

« ها هو كتاب قد فتح . ونحن لا نعيد ذكر العنوان الذي كان يمكن ان يمنعنا من ان نكون في انفسنا ، حكماً متمتعا بالموضوعية . اننا نقرأ . وندخل في المناقشة او على الارجح في المحادثة ، اللتين تقودان الى الرغبة في اقامة اللقاءات بين الكلمات والافكار، بعض الشخصيات الذين لا تظهر فورا خطوط وجوههم القادرة على تسريع القرار الذي يصر فكرنا ، ذلك الحيوان المفكر ، على تحديده .

واحد منهم يقص انه بينما كان « نائما في بيت منعزل محاط باشجار النخيل . استيقظ » فجأة « من اثر صرخة هائلة ... » . وعندما اقول هائلة ، لا اعني صرخة مفاجئة كمن يهجم عليه فجأة قاتل او مجنون ذو شعر اسود كثيف . بل تلك ، كانت على الارجح عبارة نفس محملة فوق طاقتها بالهلع ، وتنجح اخيرا بعد جهود طويلة في تحطيم الختم نهائيا .« انها ليست الصرخة التي ايقظتني بل التأثر التالي ...» هل يجب ان نظن ان في ذلك في الحقيقة ، ما هو مختوم بالشمع الاحمر ، كما نجد في الوقائع المختلفة ؟ « واحدا من تلك الكائنات التي لا اسم لها المغذاة بالضربات وبفتات الخبز والتي تتفسخ غائصة في برازها ، مربوطة الى

رجل سرير ؟» ، غير ان لذلك البيت مالكا ،« فماذا اذا كان هو ، والمختوم لا يؤلفان الا واحدا ؟ وماذا اذا كان هو نفسه دون ان يدري ، الذي يطلق تلك الصرخة المرعبة كل ليلة متشبها بـ « تافيت » *Taphet* ؟ ومـاذا اذا كـان يتلقى ف ساعة غياب القمر ، زيارة مصاص الدماء : ذلك الخفاش الاسود ذي الاذنين الطويلتين ، الذي يشله باجنحته الهائلة القاتلة،كما لوانه يمتص دمه من فوق اذنه اليسرى ؟... »

أليس مالدورور » Maldoror هو الذي يتكلم ؟ مثل تلك الكلمات يهذي بها اكثر الفنانين تعقلا بشكل جنوني في ذلك العالم الوهمي ، المخلوق والمتلقي الضربات العنيفة للاظافر والاسنان من قبل « لـوتريبيامون » (Lautréamont) . هنا في الواقع تظهر موهبة رؤية دم الاشياء التي كان يملكها « مالدورور ــ لوتريبيامون » هنا ، ولا يلزم اكثرمن تلك الاسطر،يتأكد وجود اعجوبة ، يتلمس قلقنا انسانيتها،كالسجين الذي تشدزنزانته بخناقه ، يعرف ان وراء القضبان يوجد النهار،والليل ، والانسان ، والنبات، والشمس ، ولكن النهار والليل والانسان والنبات والشمس تشكل تجريدات في الكون تحت مظهر اكذوبة منسقة . وان النهار والليل والباقي لا توجد بأنفسها ، بل بالنسبة الى ما هو ليس اياها .

ذلك النص القصير يتيح لنا المناسبة لان نستخرج ــ حتى باختيار الالقاب ، اليأس الذي شعر به من لم يستطع ان

يكون ، ـ كما يمكنكم ان تستنتجوا غير ابن المستشار دوكاس Ducasse ، اي « صرخة هائلة » « هو ذا الارهاب » ، شعر اسود كثيف » (الجمهور ، الوزن ، المظهر المحسوس الاكيد ، الجنازي) ، « تلك الصرخة المخيفة » (التي تقتل وتجرح) ، « ذلك الطمروق"١" الاسود » (هنا المظهر الخارجي الذي يؤكد مضرة المسخ » ، « وأجنحته الكبيرة القاتلة » (التهديد الذي يضخم ويحمل الموت) وذلك الثقل الذي يعبر عنه بمقاطع تضم في تلك العبارة الاخيرة كلمة « اجنحة » التي هي رمز لضعف عابر .

انظروا ايضا في مكان آخر ، ذلك التأكيد : « ليس في الخارج سوى الليل بدون رجاء . الامر لا يستأهل حتى رفع الستائر والنظر من النافذة ». اذن نحن امام القلق من ظرف ان نكون احياء بمواجهة الصورة التي لا فائدة لها ، للعدم الذي يعترف بعجزه.

الا انه من الطبيعي ان يصبح اليأس خميرة ، وان يتاكد صفاء ذهن الشاعر باستعادته طاقات الوعي من جديد : « الوعي يحاكم بقساوة افكارنا واعمالنا الاكثر سرية ، ولا يخطيء . وبما انه غالبا عاجز عن توقي الشر مسبقا ، فهو لا يكف عن محاصرة الانساء مثلما يحاصر الثعلب ، وخاصة في الظلام » .

---

(١) جنس من الخفاش الطويل الأذنين « المعرب »

وعندئذ يتذكر الشاعر ان دوره ليس سلبيا فقط ، فالمادة تتكلم ان لها روحا . وعلى الشاعرالذي يشارك فيها ان ينشىء ، ان يعد،ان يعمل ، ولكن ايضا بالنسبة اليه،« الى جانب التصنع (اللذيذ غالبا) ، والصناعة ، يوجد تلك اللغة المنبثقة من النفس ، والتي تعود الى القلب ، يوجد ذلك الرنين الصحيح جدا والحاد جدا . احيانا كلمة ما ولكن فعالة ، مقطع ولكن يعرف كيف يحل تلك العلاقة المميتة بيننا والتي كانت تشلنا . صورة ولكن جديدة . لكن واقعية ، شيء ما منبثق من المجهول . معطى ، مجاني ، موجود ، يستحيل دائما القول عن كيفية تكوينه (في الواقع لم يضع بشكل مغاير لتكوين الطفل من قبل امه)،المدى القدسي للوحي ... وفن ايضا . وكامل ، انما هذا الفن نفسه الذي به تضع الفراشة هيكل جناحيها والخزامى اريجها . »

الا نشهد هنا ، وصف المصير الذي يسم الشاعر :

ــ المعرفة والابداع ، واردا في عبارات صحيحة ؟ »

واذا كنا في الوقت الحاضر ، نلاحظ انه عدا العبارات التي تتحدث عن « الوعي » في المقطع ما قبل الاخير والتي هي من لوتريبامون (*Lautréamont*)فان العبارات الاخرى جميعها من وضع « كلوديل » (احاديث في « اللواراي ــ شير » (Loir-et-cher) ، الا نكون بذلك التلاقي من النصوص ، قد

بينا استمرار مظهر عام للشاعر الذي يمكن ان يكون كذا او كذا ، وان يوضع في هذا العصر او ذاك ، وان يبرهن عن فكر خاص جدا . ولكن يثبت انتمـاءه الى ذلك الجنس من «المتنبهين» الذين يلغون عجز الحلم ، ولا يبدون انهم ضاعوا الا لكي يعودوا فيجدوا احسن انفسهم ويجدونا ؟ انهم الشعراء في الحقيقة ، ومن اذا الفوا ، لا يبدون حرفيين فقط ، بل ايضا بحاثة . ولا تطرأ علينا فكرة الايمان بالشاعر ، او بالكيمائي فقط ، او بالصائغ فقط ، او بهذا فقط ، او ذاك . لكل ميدانه (لن ندعي القول : عالمه) حيث ينصرف الى انشغالاته مثل المزارع اللطيف في اراضيه او العامل في مصنعه . ولكن بما ان شخصين او عدة اشخاص يبدون ذوي خطوط عامة وشخصية،فان الشعراء من واحدهم الى آخر ، يبدون متشابهين ومختلفين . فلتتحول نشاطاتهم عن الهدف المثالي الذي عليها ان تتبعه اذا شاءت ان تستحق تسميتها شاعرية ، كي لا ترتبط بغير تحضير الحسابات ، والوسائل التي تسبق العواطف والاندفاع ، ويكون لدينا الى جانب رونسار جماعة الفصحاء ، وفي زمن « راسين » : بوالو ، وفي القرن الثامن عشر المزيفان « بيرون » و« وفولتـير » ثم « شينيه » (Chéniér) امام « دي ليـل » (Delille) ، ثم « هوغـو » « ولامارتـين » « وموسيـه » ، « وفينيي » « ونيرفال » « وبودلير » تجـاه « نيبوموسـين لومرسيـه

(Népomucène Lemercier) « واوغست باربيه »، « وكازيمير دولافيني » (Casémir Delavigne) « وهنري دو بورنيه » ، ولنضع هنا ايضا « الساحر الطيب في الآداب » « تيوفيل غوتيه » . وبمعارضة « فيرلين » « ورامبو » نجد « هيريديا » « ولوكونت دي ليسل » « وسولي برودوم » . وليسمح لنا الآن بالعودة الى الشاعر « بول كلوديل » .

« تفصيل أعمال فنية دقيقة » ليس عمله . « لكي تقوم الفراشة بطيرانها البسيط ، تلزم حتى السماء بكاملها » . ولذلك السبب يعلن نفسه « طالب عالم حيث الشكل لا يوجد اطلاقا ، وحيث الحواس في حالتها السطحية لا تجد مكانا تؤثر فيه . لا الشم ، ولا الذوق ، ولا اللمس ، ولا النظر نفسه الذي يقرأ اكثر مما يشاهد والذي تقلص الى البحث عن ماهية في وسط رؤوس الدبابيس ، والبرهات المضيئة ، بمهارة اعمى خلال ثقوب ابجدية برنير » . لهذا يقول مترجيا :

« احموني من التوقف الطويل . ومن الوهم
وحيثما كان ، ومن الظن انني وصلت .
من جديد وراء كل اكفهرار في
قلبي ، ليستيقظ المعنى الالهي للتوجيه .

تلك الحالة الفكرية هي حالة المناجاة الشهيرة التي يجب الا نصغي دائما الى معناها الحرفي :

لتتقدس ، يا الهي ، انت الذي انقذتني من الاصنام
وتعمل لكي لا اعبد سواك ، لا
« ايزيس » او « أوزيريس »
اوالعدالة » او« التقدم » ، او« الحقيقة » او« الالوهية »
او « الانسانية » ، او « قوانين الطبيعة » او « الفن »
او « الجمال » .....

النية الدفاعية كامنة هنا، اكيدة جدا ، مسجلة بقوة ، ولكن الا يرتفع هنا تفسير (من المرجح انه لم يرد بل ارتسم ما بين السطور رغما عنه تقريبا) « لكلوديل » الشاعر ؟ التخيلات تبدو له عبثية ان لم نقل مسيئة طالما هي غير منفتحة الا لنفسها ، ولاغراض ونهايات في وقت معا . « ايـزيس » « واوزيريس » « والعدالة » و « التقدم » ... الخ وجوه لا تفكر ، لا تعمل الا ان تقدم نفسها ، وتصنيفات متعلقة بالفن البيروقراطي، الذي يرى كل شيء مجموعات رفوف،وجوارير، وملفات ، وملصقات ، الا انه ابعدمن الشكل ومظاهرالوجه ، يوجد الاعصاب والدماغ ، ومركز قيادة الارادة والحس ، ووراء التصنيفات يوجد الفكر والعمل ، وجوهر الكائن ، والحركة ، والمبدأ ، وايضا الله ـ الذي يمثـل في نظـر « كلوديل » عدا الحقيقية الاصلية ، العقل الذي للشاعر لكي يتفوق على العقل ، ليتجه نحو قضية تكون خارجها كل فكرة فارغة بقدر ما هي فارغة تحفة مزورة ذات فراغ رنان .

عندما ننفذ الى داخل آثار كلوديل الفنية ، يجدر بنا ان ننسى الآراء التقليدية ، المدرسية جدا التي يمكن ان نكونها عن شعره . وبالتاكيد لا لغرض تهيئة ادانة بعض الشعر لمصلحة شعر كلوديل . او بالعكس ، بل ، وهذا غرضنا قبل ان نعيد بناء الحدث الذي اسمه « كلوديل » في ابعاده وفي عصره لنعرف انه لكي يكون حديثا وعصريا ، يقترب من الشعراء الذين هم يعبرون عنه سنا وخلقا ، ورؤية ، ومبدأ ، (لقد ذكرنا « لوتريامون » وكان بامكاننا ان نناقش بعض الشبه مع « هوغو » « وبودلير » « وفينبي » وآخرين كثر .)

لنأخذ بعين الاعتبار فقط رجلا يكتب ويتحدث وقد تقدم فنظر اليه الناس وسمعوه . وكتبه تقدم أفكارا/واعمالا ونجد لذة في درسه بدوره وانعكاسات هذا الدور فاننا نشعر بحاجة حقيقية الى التوصل للشاعر الذي يحاول ان يكونه . مما يعتبر استجابة لرغبته اذ سبق له ان انبثق من اجلنا من اعماق العصور : « في ظل العصور وبكأس من خشب . اسكب على يدي ماء باردا ومؤثرا الى درجة اني اولد من جديد . »

احسن من ذلك : انه يولد بدون انقطاع مع اي كان كي يبرر سبب وجوده ، ووجودنا في وقت معا . مهما كنا قليلي الرغبة في تحويل ادراكنا ونظرنا لمصلحته والاشتراك في مجهوده .

احد الناس : بول كلوديل

« ليست تلك هنا ، أليس كذلك ، تجريدات محققة ، بل هي يقين بديهي ومريح ، فيه نستطيع ان نقضي وجودنا مشرقاً بموافقة رؤسائنا » .

(« اسطورة براكريتي »)

لقد ولد احدهم المدعو « بول كلوديل » مثل الناس جميعهم كما تشهد وثيقة ولادته المستخرجة من سجلات احدى المختاريات .

« في العام الف وثمانمائة وثمانية وستين في اليوم السادس من شهر آب ، عند الساعة الثامنة صباحا ، امامنا نحن « مواتيه لوي ــ انطوان » (Moitié Louis-Antoine) المختار ومندوب الدولة المدني ، في « كومونة » « فيلنوف ــ سور ــ فير » Ville-neuve sur-fère من مقاطعة « فير ــ ان ــ تاردينوا » (Fere en-Tardenois) قضاء « شاتو ــ تييري » محافظة « الايسن » (Aisne) ، حضر « لويس بروسبير كلوديل » (Louis Prosper Claudel) عمره اثنتان واربعون

سنة ، الجابي في مقاطعة : « فير ــ ان ــ تاردينوا » المقيم في : « فيلنوف ــ سور ــ فير » وقدم لنا طفلا ذكرا ، مولودا في « فيلنوف ــ سور ــ فير » بتاريخ اليوم في الساعة الرابعة صباحا منه ومن « لويز اتانابيز سيسيليا اميليا سيرفو » عمرها ستة وعشرون عاما ، بدون مهنة ، زوجته في منزله، واعطي لهذا الطفل اسم بول ــ لويس ــ شارل . وقد نظمت هذه الوثيقة بحضور : « دومينيك لوغران » عمره تسع وستون سنة حاكم صلح مقاطعة : « فير ــ ان تاردينوا » « ولويس الفونس دي ماساري » عمره اربع واربعون سنة ، مختار بلدة « فير ــ ان ــ تاردينوا » ، الاثنان يقيمان في « فير » وهما صديقا المدعو « كلوديل » المذكور اعلاه ، وقد وقعا بصفتهما شاهدين ، ووقع المبلغ ، كما وقعنا نحن ، هذه الوثيقة بعد تلاوتها .

الموطن الاصلي لاسرة كلوديل يقع في « البريس » *Bresse* الفوسج Vosges ، التي تركها : لويس ــ بروسبير ــ كلوديل · والد بول ، تبعا لوظيفته « البدوية » قليلا بصفته جابيا ثم حافظا للمحجوزات ، اما والدته فقد كانت لها علاقاتها في « فيلنوف ــ سور ــ فير » حيث كان عمها كاهنا للرعية طول اربعين سنة ، وقد قام بعماد السفير المقبل . وزاد على اسمه اسم : ماري ، الذي بقي كلوديل فخورا به كهبة .

بيت الكاهن في « فيلنوف » مسقط رأس « بول كلوديل » كان ، شأنه شان بيت آخر يواجهه بقي كما هو لم يتغير ، على ملكية اسرة والدة كلوديل واصلهـا من « غودلانـكور » « وفيلنوف » . وفي تلك المحلة مات بعد ممارسة مهنة الطب في « فير ــ ان ــ تاردينوا » جد شاعرنا، ونعرف ان سرطانا « اصابه ناهشا معدته » في شيخوخته . مما اوحى الى حفيده (وكان عمره ثلاث عشرة سنة عند وفاة جده) ، ذلك « الرعب العميق وفكرة الموت » اللذين اثقلا زمن مراهقته . يمكن ان الذكريات القاسية لذلك النزع الطويل الميؤوس قد شاركت بالتناقض ، في تنشيط رغبته بالعيش ، الظاهرة فيه ظهورا بينا والتي منذ كتاباته الاولى تحلق منطلقة نحو انتصار تحققه .

كان لاسرة « لويس ــ بروسبير كلوديل » ثلاثة اولاد ، كان بول اصغرهم ، وله شقيقتان تكبرانه : الكبرى وتدعـى « كميل » تلميذة « رودين » اتجهت الى الفن مدفوعة بموهبة ظاهرة (المجلد الاول من : « مواقف ومقترحات » يحتوي على بحث عنها) .

لم يدخل « بـول كلوديـل » المدرسـة الابتدائيـة في « فيلنوف » مطلقا اذ عهد بتعليمه اولا الى استاذ حر ، ثم ادخل مدارس علمانية في مختلف المناطق الريفية حيث كانت

صدف الوظيفة تقود رب الاسرة (بار ـ لي ـ دوك ، نوجان ـ سور ، سين ، واسي ، وامبويه ، كومبيانه) . واخيرا عندما بلغ الرابعة عشرة اصبح تلميذا داخليا في كلية ـ لوي ـ لوغران بباريس . وهناك اذا كانت ذاكرة الشاعر صادقة ، تراس « رينان » آخر توزيعاته للشهادات ، وخلالها توج الصبي الشاب من يدي الشيخ السمين المشهور .

وعندما بلغ « كلوديل » الثامنة عشرة من عمره ، كان مفعما بفكرة ان العالم « حزين جدا وممل جدا » فانصرف الى درس الحقوق وباشر الكتابة . وقد اثارت قراءة « ريمبو » في كتابه : « الاضواء » ثم : « فصل في الجحيم » اكتشاف « شعور حي ، ومادي تقريبا بما فوق الطبيعي » . ولكنه في احدى حالات القلق ، مفعما بالتقزز الذي يسمم غالبا المراهق ، تلقى في وقت مبكر قوة الايمان الصاعقة . وهو يقص في قطعة مشهورة ، كيف انه في عيد ميلاد سنة ١٨٨٦ كان حاضرا للاشتراك في صلاة الستار في كنيسة «نوتردام دي باري » « واقفا بين الجمع ، قريبا من العامود الثاني ، على مدخل الكورس على يمين جهة المذبح . وحينئذ في اثناء تسبيحة البتول : فلتعظم نفسي الرب ، حصل الحدث الذي سيطر على كل حياتي . في برهة تأثر قلبي وآمنت » .

بعد اربع سنوات من المقاومة ، استسلم بعدما استنفدت قواه في نضال عقيم ، وتقدم للمناولة الثانية في حياته « في عيد

الميلاد بتاريخ ٢٥ كانون الاول سنة ١٨٩٠ ، في كنيسة نوتردام » .

في السنة نفسها ، حصل على المركز الاول في الامتحان الكبير الذي اجرته وزارة الشؤون الخارجية.قادته رحلته الاولى الى الولايات المتحدة سنـة ١٨٩٣ (نيويـورك ، بوسطن) ، ثم اضطر للعودة الى فرنسا بعد سنتين ليذهب الى الصين . رؤوس الاقلام عن تاريخ حياته التي وضعها في راس : « قطعه المختـارة » (غاليمـار) تذكر ما يلي : « شانغـاي ثم « فوتشييو » (توقيع اتفاقية الارسنال) ثم مانكييو » (سكة الحديد) ، ثم من جديد « فوتشييو » .

كان ممثل الادارة يعمل بجد بحيث يجب ان لا نظن ان مثقفا قد اختار في ذلك وظيفة بلا عمل . فكلوديل كان قبل كل شيء رجل اعمال فرنسا ، كان يزور السلطات المحلية ويقيم اتصالات مع المنتجين والتجار من اهل البلاد ، ومع الوجهاء ، دون ان ينسى ابسط مواطنيه ، كان يلاحظ ، ويخمـن ، ويحدس ويتوقع ، ويعد ، ويفاوض ، مستخدما رصيده كفلاح من « الايسن » (Aisne) ، لكي يحصل على اقصى ما يمكن من كل شيء . وخلال واجبات الثرثرة ، او بين البريدج والشاي ، او بينما العينان تشاهدان الرقص ، والسمع يصغي الى موسيقى مهذبة من قبل اوركسترا صالونية ، كان كلوديل ،

يحافظ على صفاء عقله ، يتصرف،يعمل ، ثم يدرك الفوز .

واذا ما احتاج الامر ، كان يغلق الباب دونه وحده ، مع سكرتير وينحني فوق الاوراق الرسمية ، في اعماق ليل صيني مجتهدا كي يتدبر على احسن حال القضايا الفرنسية .

يمكننا تصوره : نظرة منتبهة تحت طيات جفنين مثقلين ولكن دائما فتيين ، منصرفا الى حل رموز الشبكة الدبلوماسية ، ونتصور اغماضة اهدابه لدى المقاطع الغامضة ، ويسمع صوته وهو يتكلم ، صوته المشرب بلكنته المحلية في مسقط رأسه ، وفي اثناء وضعه الاسس لمذكرة حيث كل فيها يجب ان يكون خاضعا للقياس والدقة . كان يؤلف الكلمات بجدية رجل الصناعة الذي يعد ميزانية مخزوناته ، يجب ان لا يكون شيء مما يدل ، او يعبر ناقصا . ولكل مقطع من فم كلوديل تأثير في البيان ، كما هو في الواقع تماما : رقم في دفتر محاسبة .

واذا تبين له ان مضمون عمله على شيء من الاهمية والدقة تأجل جوابه النهائي . كان ينهض ويختفي ،قائلاقد نؤجل القضايا الجدية . وكان النهار يفاجئه ، ورأسه مثقل بالنعاس . وسواء جلس امام مكتبه ام خرج ليذهب الى حضور القداس ، او القيام باحدى النزهات مما كان يثابر على القيام بها كل يوم حيث كان موجودا ، فانه اي كلوديل كان يعود في

الصباح مالكا كل قواه ، مستعدا ، ولكن لاي شيء كان مستعدا ؟

على مكتبه كان ينثر اوراقه على ان تظل في متناول يده ، والكتاب المقدس لفيليون آخذ مكانه ايضا ، حيث تظهر منه بعض الصفحات الممزقة التي تشكو تسننا في الاطراف الصلبة لصفحات متراصة جدا متراكمة بعضها فوق البعض الآخر . وكلوديل ايضا متراكم ، حتى انه في سنواتـه الاخـيرة كدبلوماسي ، رغم التقدم في العمر الذي يصلع الجبين ، ويشيب الشعر الذي كان لا يزال امينا لجلدة الرأس حيث بحيرات من اللحم تنتشر باتساع في كل فصل من فصول السنة ، رغم ذلك كان كثيفا ، محافظا على كيانه ، تشكل كتفاه كتلة عليها تنتصبكتلة الرأس دون رقبة تقريبا. صلابـة واطمئنان ، انه هنا حيث يداه لا تلبثان ان تمسكا باليراع وفوق الطرس حيث حبر الساعات الاربع والعشرين قد خط كتابة تستحق ان تقرأ كلها صلابة ايضا ، وتضيفان بعض الاسطر .ليس ذلك ورقة رسمية وانما في « نوتشيو » شيء يولد في العالم ، وفي ذاته شيء سيصبح واضحا على هذا الشكل يوما بعد يوم . اليد تكتب : « كل انسان خلق ليكون شاهدا ومؤلفا لمشهد ما ، كي يحدد في نفسه اتجاها » وتنتفض مسكة الريشة ، وكذلك « كلوديل » . ومن الشارع تطلق افواه مملوءة بكمية من الالحان المجترة بجهد ، كلمات تلتقف العبارة .

الحياة ليست موجودة بالنسبة للكاتب . انما هو الذي صنع من اجلها . يسمع كلمة « ارز » مرات عديدة ومرات تنثرها في ذلك الصباح من وراء الجدران الرنانة للقنصلية شفتان ممدوتان يراهما . يخمنهما : انهما لصبية شابة تتحدث الآن عن الارز وتأكل ويجيبها رجل اصفر ، الارز ! لقد سجله كلوديل في ذلك الصباح ، في اعلى صفحة حيث تظهر من القفا وبشفافية عبارة « قنصلية فرنسا ، فوتشييو » عشرات من الاسطر تتقدم في صفوف متراصة . عندئذ يفكر الشاعر بذلك البياض الباقي في الصفحة ليقدر الانتظار . وفي الوقت الذي يصيخ فيه السمع لذبذبات الثرثرة حول مسألة الارز يشد يده ليضع اللقطة بعد العبارات فينهيها بذلك ،اذ من الضروري انهاؤها ، وبدون تنفيط يكون النص اعرج ، والمؤلف غاضبا . وفي الوقت نفسه يعود فيقرأ من جديد : « كل انسان خلق من اجل ان يكون شاهدا ومؤلفا لمشهد ما وليجدد في نفسه اتجاها » .

وبالعود الى الارز من جديد ، تنفذ الفكرة الى فكر الصيني الذي يثير الآن قضية المطر المقبل . وتتحرك يده لينشىء تتمة المقطع الثاني . وفي الحال اذا كان احد واقفا وراء كتفه ، يستطيع هذا الاخير ان يقرأ : « منذ ان يبدأ العام ، هوذا الماء ، هوذا حيض الارض العذراء . تلك البراري الواسعة دون سفوح ، المنفصلة انفصالا سيئا عن البحر الذي تكمله ،

والتي يخترقها الماء دون ان يجري » . هذه المرة ، ما يسمى « الارز ، وما سيدخل في القسم الاخير من « معرفة الشرق » يتوضح اكثر : فكلوديل قد تبنى لنفسه الحاجة الملحة للطعام من قبل شعب خاضع للارادة الحسنة او السيئة للفصل : « ... انه يزدرد ، دون ان يمضغ في فمه طعاما شبه سائل ... وهكذا عندما تصعد الموجة تغرد النواعير في كل مكان مثل الجنادب ... » ويتوقف اليراع . وكذلك الفكر . لم يبق اطلاقا من محادثات تحت نوافذ البناء . والمارة الذين اتاحوا للشاعر المناسبة لاكمال ابداعه ، ابتلعتهم المدنية المضطربة اكثر فاكثر ، الى بعيد . دماغ كلوديل ، وقلبه ، ويده اشتركت برهة في الرجاء المجد لانسانية ما . اشتهى كلوديل الارز ، وعاش المجاعة ، وتوسل ماء المطر ، فما اشد ذلك الالم ! ما اشد ذلك العناء ! انه شبع . وصمت يرين ، وقت توقف . يدفع الورقة . الحبر يكاد يشرب من قبل الساعة التي اصبحت حارة . ملف من اجل ورقة الارز . الرجل الجالس كف عن الاكتشاف ، اجل انه اكتشاف جديد جدا يحققه من جديد ، سيسره يوما ما الى فريدريك « لوفيفر » بالعبارات الآتية : « العمل الادبي بالنسبة لي يقوم على الاكتشاف اقل مما يقوم على اعادة الاكتشاف . كرجل ينزله القطار في مدينة سبق له ان زارها في السابق ويحسن التصرف فيها قليلا قليلا » وسيزيد : « من النادر ان اعطي كل يوم

اكثر من ساعة للعمل الشعري .

لقد غدا مثل ذلك التصرف في الواقع عادة لديه ، فهو يخصص كل صباح من نصف ساعة الى ساعة على الاكثر لنفسه ، وفي كل صباح كانت تسبق وتلحق مهمته الدبلوماسية فترة صغيرة مخصصة للادب .

وبعد ذلك بوقت قصير ، كان السكرتير يحمل اليه البريد وهو عبارة عن ملفات رسمية ، ومذكرات معقدة الاسلوب او واضحة جدا ، بعضها وارد من امكنة قريبة ، وبعضها من امكنة بعيدة ، ودعوات الى سهرة ، او غداء ، او مشروع نزهة ، وبالاختصار فيه من كل شيء . وكان كلوديل يتنقل من رسالة الى اخرى ، ويقرأ كل قطعة بكاملها بحركة من عينيه ، محاولا ان يكون فكرة سريعة عن المجمل ، قبل ان يصنف ، ويعيد القراءة ، ويعمل الفكر ليملي بكلمة بخيلة جوابا . كانت الرسائل واردة من زوايا العالم جميعها : رسائل من اصدقاء ، رسائل مطالب ، رسائل من مجهولين ومن مجانين ، ومن شعراء يظنون انفسهم شعراء ، ورسائل من رجال مسنين يكشفون فيها عن مكنونات قلوبهم بشيء من خفة المزاج ، ورسائل من بعض الشباب يعرضون انتاجهم بعدما سبق لهم ان صمموا على ذلك ، رسائل من الاقارب ، يذكرون فيها احيانا كلمة طفولية او يشيرون الى هيكل خشبي يجب

اصلاحه ، او يتحدثون عن رشح ، ورسالة من غلام في الخامسة عشرة من عمره مقتنع بوجود كتاب جيدين وكتاب سيئين ويسأل : « هل يجب ان يقرأ « جيمس » ، « فاليري » « الكونتيسة دي نوي » « موريس باريس ؟ » انا اتردد ، اثق بك ، شكرا سلفا » وتنهي ريشة « كلوديل » السطر الاخير حيث يكتب : « في الاساس كتابان يكفيان : كتاب الدين وكتاب الصلاة « ب . كلوديل » وهو التوقيع الشهير حيث حرف « ب » يمتد كحرف مطبعي لم يكن قد استعمل بعد في الكتب ، بينما المقطع الاول وحده من الاسم يظهر ، وخط فوقه . ثم ظرف ، واليد نفسها تكتب العنوان . وذات يوم كانت في كدسة البريد ، رسالة فيها رد على ملاحظة وردت ، في « المركور دي فرانس » (Mercure de France) ، تقول ان الكراسة التي عنوانها : « معرفة الزمن » سترسل مجانا لمن يطلبها . وكان بين الاجوبة الاربعين على هذا العرض الرسالة الموقعة من « كلود دي بوسي » . فارسلت اليه نسخة منهـا حسب المطلوب . وهكذا بعد ذلك لم تـخف عاطفة الموسيقي نحو الشاعر .

هنالك ايضا تلك الكتابة الدقيقة التي تحتـوي حب الاستطلاع ، وارادة قلق كئيب حيث كل سطر ينحني وينهار تقريبا : « اندره جيد ». هنالك ايضا ، تلك الكتابة المفككه . ذلك التألق كما لو ان ريشة رسام تقوم بعملها . وعليها اسم

« فرنسيس جيمس » يختتم الاوراق الموقعة بالحروف الاولى المكتوبة بسذاجة تبدو فيها الفخامة .

هناك ايضا الصحافي الذي يلقي سؤالا سخيفا خليقا بسلة الاوراق المهملة ، وبجانبه ، « بول فالسيري » وعباراتـه الموجزة .

وهناك ايضا ذلك الكاهن : « د ... » الذي بذل جهده ليفهم ويطلب ايضاحات ، فتلقى من طوكيو ردا مسهبا جدا مؤرخا في ١٠ ايار سنة ١٩٢٢ ، غير ان رجل الدين يستطيع ان ينتفض رعبا لانه شك برهة بابي الاناشيد الكبرى عندما اعترف له هذا الاخير : « بانه من جهة المؤمنين، الاخوة في يسوع المسيح ، يعتبر ذلك الجهل اكثر ايلاما عندما نعلم ان العمل الناتج منبثق من اعمق مناطق الايمان والحب ، وعدا ذلك فان هذا العمل ابعد من ان يساعد على فهم الله واعادة فهمه ، وهو لا يؤدي الا الى اثارة الفضيحة . او الدهشة على كل حال » .

هناك ايضا بطاقة من « فيليب بيرتيلو » . انه ليس امين السر العام لوزارة الخارجية الذي يخاطب السفير بل الصديق يخاطب صديقه ، باشياء حميمة جدا ، وبحرارة نفس تريد ان تنطلق بدون تحفظ .

وذات يوم وردت الرسالة الاولى من « جاك ريفيير » الذي

جاء في بعضها يعرض عذابا نفسيا . يبدو ان المدير المقبل « للمجلة الفرنسية الحديثة » لم يتخلص منه ابدا ، « ولدي العزيز » كتب « كلوديل » الذي « ابغض ان يظهر بمظهر مدعي المعرفة » واراد ان يقوم معه : « بعملية رجل مع رجل ... »

رسائل ورسائل ... وريشة « كلوديل » تنشط ذلك الاتون : بشعلة ، بعبارة ... واخرى تلي ، سلسلة بعد سلسلة ، يساعد على ذلك الشهرة التي يتمتع بها ، مما يشكل عمل من اعمال السخرة عليه القيام به يوميا ،مكملا عمله كممثل لفرنسا .

وفي حال انتقاله كان سيل الرسائل يتبعه . ويستمر في الانهمار عليه ، حيث وصل . وماذا لو نال اجازة ومكث بضعة ايام في باريس ؟ الى غرفة عمله من طراز القرن السادس عشر في المقاطعة السادسة عشرة حيث الستائر الكبيرة لا تحمي الا من اشعة الشمس ، وواجهات مباني المدينة ، وصلته رسالة مزعجة يرجو مرسلها ارسال شيء غير منشور لمجموعته الشعرية . فيجيب عليها موقعا نشيدا قد ترجمه منذ قليل ويضيف على الورقة نفسها : « اليك العمل الكتابي الاضافي الذي طلبته مني ، لا تطلب مني شيئا ابدا بعد » ، غير انه اجاب .

ورغم ان « كلوديل » بقي في حماسته الحارة لحضور القداس ، وبما انه رجل عمل مختصر غير محدود ولكن يومي ومنتظم ، فانه لم يكن يشاء ، قنصلا او سفيرا ان يتخلى عن نزهته .

في الصين كان يحب الخروج صباحا ، وفي آخر بعد الظهر ، حسب الفصل ، كان يتذوق البرهة : « حيث في جبين الجبل ، بين الغمامات المشوشة تشير لطخة من الفوسفور الى الفجر » ، كان يجوب المدينة المحلية حيث « الناس يستلقون وينامون في جميع الزوايا والساحات الحرة » كان يسير متنكرا ملقيا يمينا ويسارا نظرات ثاقبة . كان يحس بالتفاصيل التافهة التي تتسم بسمة خاصة ، بالتأكيد ولكن التي تتكلم اولا . وكما دائما ، ان ما يثير انتباهه ، كان الصورة التي فيها يتركز لا المظهر ولا التأثر وحدهما ، بل ايضا مجموع عالم ينكشف بواسطة احدى جزئياته . « احدهم ، ورجل سرواله مرفوعة حتى كشحه ، تظهر اللزقة التي يحملها مثبتة بورقة فوق اليته ، يبول على جداره الخاص قرب باب منزله المفتوح » المنازل يبتعد بعضها عن البعض الآخر : « ورائحة القذارة والشعر » تطردها ريح الشارع الواسع ثم ها هو « المدى الواسع والفارغ » على عتبة الجبل .

ويوما آخر ، في حزيران ،تسلح بعصا ذات شكل ضفدعي، كان ذلك : « في المساء الساعة السادسة ، حيث غمامة

العاصفة في المساء تكمل الى ما لا نهاية التصعيد الجبار للجبل » . وهرب « عن طريق الوحدة النباتية » ، من خلال السفوح غير المطروقة ، يسير خلال الادغال ، ويداعب زهرة كاميليا ، ويصغي الى زقزقة عصفور ، ويدون الخاصية المميزة لكل شجرة ولكل دويبة . ويدرس المقاربة بين « اللون الاسود لهذه الشجـرة من السرو » « والخضرة الصافيـة لتلك الشجرات من القيقب » ، يفتش ، ويصحح ، ويسير ايضا ، لا يفكر الا بالسير ، يسير كي يسير ، كي يلبي نداء يسمعه في صمت نفسه . انه يسير ولا يبلغ ما يعتبره كافيا : « افهم تناسق العالم ، فمتى افاجيء موسيقاه المتناغمة ؟ »

سنة من الابتعاد عن الصين (١٩٠٠ ــ ١٩٠١) سمحت للدبلوماسي ان يستعيد الاحتكاك بفرنسا ، حيث قضى فترة مقتطعة من اجازته في ثياب راهب ، لدى الرهبنة البنيديكتية في « ليغوجي » (Ligugi) .

وقبل ذهابه الثالث الى الصين بوقت قصير (١٩٠٦) تزوج الآنسة « رين سانت ــ ماري ــ بيرين » ابنة المهندس « دي فورفيير » ولما عاد الى اوروبا ، بواسطة القطار عبر سيبيريا سنة ١٩٠٩ ، امتدت عودته تلك لمدة سبع سنوات : عمل قنصلا عاما في « براغ » « وفي فرانكفورت ــ سور ــ مين » ، ثم في « هامبورغ » ، وعندما اعلنت حرب سنة

١٩١٤ كان في هذه المدينة الاخيرة ، فابعد من قبل الالمان فعاد الى فرنسا عن طريق اسوج ، ونروج ، وانكلترا . لقد حمل معه ، ذكرى النزهات التي لم يتأخر عن القيام بها في المدن الثلاث ، وحافظ عليها ، تلك الذكرى التي تدوسها الآن خيول قوافل المدفعية . وجزمات مشية الأوزة . براغ وفيها الكنائس وقديسو بوهيميا . حيث كان يتجه برغبة مارا بالطرق المحاطة بخلايا الالات ، التي تشكلها المصانع المحلية ، فرانكفورت على النهر ، سوداء مثل معاهدة سنة ١٨٧١ ، مرفأ هامبورغ حيث كلوديل كان يحل اكثر من مرة اسم الراكب كدعوة الى الرحيل ، يعود بعدها الى القنصلية دون ان يلتفت ، فيضع في المدخل العصا ، ولا يتنشق حتى عبير البحر ، طالما هو في مهمته الحالية .

مهمة اقتصادية الى ايطاليا منحته الفرصـــة للمكوث في روما ، والاقتراب من الفاتيكان . (الذي سره جدا باعتباره كاثوليكيا) ، ولان يكتب في ساعته الصباحية ككاتب « الاب المذلول » وهي دراما هامة،ولان يملأ بافضل، الامكانيات ، مشروع سكة حديد خط العرض الخامس والاربعين الذي كان فيه بكامله ارقاما ، وحوى طاقة اقناعية في تحليلاته كأنه مدير ومموّل .

وبلغه امر بالرحيل ، فقد عين وزيرا مطلق الصلاحية في « ريودي جانيرو » حيث ذهب يعمل مع « داريوس ميلو »

و« هنري هوبينو » . وهناك كانت النزهة اليومية تقوده غالبا الى الخليج الذي لا يضاهى والى الغابة القريبة التي تبدو كأنها تؤلف جسما واحدا مع المدينة حيث يعيش مليون من السكان البيض مختلطين مع السود ، وحيث يتجاوز الثراء مع البؤس في اناقة مدينة تعج كالنمل بالنشاطات وتلائم ملاءمة سيئة رجلا منصرفا هكذا الى العمل على اكثار النفوس والعواطف ، بينما هو يحس بانه بعيد ووحيد . لم يتوصل الى انضاب عنف حمى المنفى في الحمامات التي ساعدته على ملامسة العنصر الذي لا يمكن ادراكه ، ذلك البحر الموجود في كل مكان ، آه ، هناك في البعيد ، فرنسا المجروحة ، وصرخات الكائنات المخلوقات الغائصين بالدم ... .

استمر في ممارسة مهنته كوزير فرنسا ، ممارسة تامة . ويستطيع دبلوماسينا ان يسجل بشيء من الفخر ، بين انجازات اخرى حققها « توقيع اتفاقية (الكونفينيو) لشراء ثلاثين مركبا المانيا ، وكميات مهمة من البن والبضائع المختلفة » .

من تلك الاقامة في البرازيل ربح الشعر : « القداس هناك » والقصيدة الجميلة المستوحاة من القديسة جنفياف المنظومة في تموز سنة ١٩١٨ كأنها نبوءة تذكر بيوم النصر . فالساعة

اليومية المخصصة للادب قد ملئت هنا جيدا ، ايضا . ولكن كم من الصفحات عن البحث في الكتاب المقدس لم تر النور في مناسبتها ، انما اكملت وطبعت فيما بعد ، في زمن التعليقات التي كتبها للجمهور .

عقدت الهدنة ، ووقعت معاهدة السلام ، وكلوديل في حينه وزير في كوبنهاغ حيث اشترك الى جانب « تارديو » في مناقشات قضية « سليسفيغ » ، وبقي حتى كانون الثاني سنة ١٩٢١ حين عين « سفيرا » في طوكيو .

ها هو من جديد يواجه الشرق الاقصى ، حيث بين سن السابعة والعشرين ، والستين ، يمكن للشاعر ان يحسب انه قضى سبعة عشر عاما .

بلاد الشمس الشارقة استقبلته ، او على الارجح كلوديل استقبلها بعاطفة حميمة هي من قبله ، ارادة عادة فكر فيها بجدية .

امام اليابان واليابانيين ، لم يتصرف كلوديل كغربي لا تنفذ اليه الثقافة التي ليست لاتينية ــ يونانية ، وفي الصين كان قد مال الى التركيب الذي يجمع ما بين حياة الاموات وحياة الاحياء ، وجرب ان يتكيف مع المعنى الالفي للفكر ، والفن ، والكتابة التي حــدس وحدتها . اما في اليابان فقد شاهد ، وبدأ يكتشف ، فالارخبيل خلال مئات السنين عاش مغلقا .

محصنا ، عاش على نفسه مثل مخلوق في الليل يدرس اعجوبة تنفسه ويسير ، وعيناه مغمضتان ، المجهول العاصي على المعرفة . وهكذا اتحد الفيلسوف والشاعر في كلوديل . وعندما كان سفير فرنسا يدعى للحديث الى طلاب نيكو (Nikko) كان اذا ذكر ، ليبدأ ، البلاد التي يمثل ، يترجم حالا معنى التقوى (المعجب بها) عند الياباني امام الطبيعة ، ويؤكد مادحا الطراز الخاص الذي يظهره كل ما هو ياباني انطلاقا من طيف جبل ، الى اي دبوس شعر. مما يفسر الاحترام الذي يشعر به الخطيب نحو حضارة تهدف الى تناسق ليس بعيدا جدا ، والى ان تأخذ كل شيء من حضارة شاعر كاثوليكي راغب في احتضان الـكون في وفرته ، وفي كليته .

وفي طوكيو ايضا ، نظام الحياة نفسه ودائما تلك الوريقات التي تأخذ من جديد فوق المكتب ، مكانها المتروك اربعا وعشرين ساعة على اربع وعشرين ساعة ، وتلك الحاجة الملحة لترك جدران البناية لتنشق الهواء والنظر تحت السمـاء الواسعة . « بنظام فضائي » ، كان يتم نزهته اليومية فوق سور المدينة الداخلي . وقد نظمها شعرا

لا الغابة، ولا الساحل الرملي، مكان نزهتي كان جدارا،
هناك دائما الى يميني جدار
جدار اتبعه ، ويتبعني ، واطويه

ورائي وانا اسير، وامامي يوجد ايضا مؤنة ،ومعدات
جدار باستمرار على يميني .
وعلى يساري تقوم المدينة والشوارع الكبيرة التي تقود
الى الارض كلها .
انما على يميني جدار ...

وفي « طوكيو » بالذات طبع « كلوديل » طبعة فخمة كتبه :
« القديسة جنفياف » الذي الفه في « الريو » ، وقد وجد ذوقه
للطباعة والبحث عن العبارة الجيدة ، مجالا للانعكاس في هذا
المطبوع ، الورق من قشر نبات القطن ، والغلاف من خشب
الكيري الصلب والغطاء من القماش ومثبت بملاقط من عظم .
والكتاب مزين برسوم من الطراز الياباني : وعلى قفا كل من
الصفحات الاثنتي العشرة الاولى تبدو لماعة واحــدة من
القصائد الاثنتي العشرة المنظومة في تموز سنة ١٩٢٢ « فوق
الجدار الداخلي لطوكيو » .

عندما نشركتابه «معرفة الزمن» عن الارملة «روزا ربو »
اعلن قائــلا ـــ « من المفرح جدا العمل مع صاحب مطبعة
تحت التصرف ـــ لم تكن مواد الطباعة متطورة جدا ، وكانت
الصناديق خالية من علامات الاستفهام مما جعل الطابع
يستخدم لذلك رقم (5) مقلوبا ، ونحن لا نشك في ان استخدام
هذا الرقم لحاجة لم يكن مخصصا لها في الاصل لم يمنع فرحة

الكاتب الحريص والسعيد عند تدخله في صنع الاشياء مضيفا اليها ما لم يستخدم . هل ان كلوديل مخترع طباعة ؟ لماذا لا . انها لذة الابداع ، والاطلاع ، والقاء نظرة ، ووضع يد واثقة ، ومنح المادة وجودا ، مما يفسر (روحيته) ـ غير ان هموما اخرى ستبرز .

في اول ايلول سنة ١٩٢٣ عند الظهر ، زلزلت الارض ، وبدأ اشتعال الحرائق ، وخرجت الانهر من مجاريها . وفي كل مكان كانت ترتفع اعمدة هائلة من الدخان كأنها من لعنات الطبيعة الثائرة « وخلال المدن المشتعلة » (العصفور الاسود في « الشمس الشارقة ») ارتسمت فوضى الفاجعة ، وبكلمة افضل اعصار سنة ١٩٢٣ « الذي يتجاوز بكثير في فظاعته الوحيد الذي يمكن مقابلته به : اعصار عصر « الانسيي » الذي جعل سنة ١٨٥٥ في نهاية حكم الملك « توكوغايا » ، ومنذ سنتين كنا نشعر بالاهتزازات المنبئة . » ورغم ان زمن القنبلةالذريةالمبيدة لم يكن قد حل بعد،فان عددالضحايا البشرية في ذلك اليوم قد بلغ حدا كبيرا بحيث ان شاهد العيان كلوديل يتكلم عن سبعة آلاف جثة في العاصمة وحدها . « انه شيء فظيع لا يمكن تسميته ـ قال مضيفا ـ ان ترى حواليك الارض الكبيرة تزلزل زلزالها كأنها قد سكنت فجأة بروح جبارة مستقلة » .

اعتقد في بادىء الامر ان « كلوديل » قد فقد في الكارثة

ووجد هناك من قدروا ان لقاء النهاية في مثل تلك الظروف يتلاءم في الاجمال مع عبقرية الشاعر . واذا كان هذا الاخير قد انقذ فذلك يعود ، وهذا شيء ظاهر ، الى تفكيره الواقعي ، فقد كان عمد منذ بعض الوقت الى احاطة مبنى السفارة بدعائم من جبال القنب القاسي ، « ذلك المبنى الذي كان عبارة عن كوخ اكله السوس » كانت الادارة اليابانية ترفض السماح باعادة بنائه .

كان الكارثة التي فقد فيها مجموعة اوراقه ، ومن ضمنها مخطوطاته ، ميزة خاصة ، وهي انها ساعدت على اثارة الانتباه لدى البعض وهم ليسوا من النكرات الى مؤلفاته الادبية . وهكذا بعد اسبوعين او ثلاثة بينما كان « ريمون بوانكاره » يرافق كاتبا فرنسيا جاء لزيارته ، استوقفه بين بابين وقال له : « قل لي اذن ، ماذا يمكن ان اقرأ من « بول كلوديل » انهم يتحدثون عنه كثيرا » .

وفي ذلك الوقت كان « اثور ماير » يعد لانشاء مكتبة تضم مؤلفات ذات قيمة كبيرة ، فعبر عن اسفه، من اضطراره امام عدم كفاية المجلدات ، الى فتح الباب امام الكتاب من الدرجة الثانية ، ثم اعلن « انا احسن الاختيار ، فلدي من « فيرلين » ،« ومالارميه »« وجيد » « وكلوديل » « وبودلير » .

لم يكن « كلوديل » قد اصبح ناضجا بعد للاكاديمية

الفرنسية ، بالتأكيد ، ولا الاكاديمية ناضجة بالنسبة اليه ، او ان الامر استلزم مثلا موافقة بـوانكاره واكثرية زملائه على الدخول الى عالم مؤلفات الكاتب ، ومما اثارالانتباه في ذلك الكاي ـ كاي الموضوع بناء على طلب الشعراء اليابانيين الذين نشروا كراسة بوصف المشاعر لدى حدوث الزلزال الاخير

على يميني وعلى يساري ، يوجد مدينة تلتهب
غير ان القمر يبدو بين النجوم كسبع نساء بيضاوات.
رأسي على خط حديد ، وجسمي يختلط مع جسم الارض
التي ترتجف ، وانا أصغي الى الجندب الاخير
على البحر ، سبعة مقاطع من النور ، ونقطة واحدة
من الحليب .

وقد نال كلوديل ، وسام « كوماندور شرف » في مطلع سنة ١٩٢٤ . وذاك كان كل ما يمكن لفرنسا ان تعمل من اجله .

وبين سنة ١٩٢٧ و١٩٣٣ عين سفيرا في نيويورك . وفي ذلك المركز المختار الذي استحقـه بوعيـه العـالي ومهارتـه الدبلوماسية ، كان عليه ان يفجر خصائصه المهنية ، وان ينفذ في الوقت نفسه الى حضارة مختلفه جدا عن الحضارة التي ينتمي اليها ، والتي تركها منذ وقت قصير . ويكفي ان نعيد قراءة بعض المقاطع من « المحادثات في اللوار ـ اي ـ شير » ، لنتحقق ، بعدما فعل هو ، مما قدمته الولايات

المتحدة الى تقدم الانسان خلال العصور . في هذا المجال قام السفير بمهمته بينما الشاعر كان يشعر بالجمال المغذي الذي يبدأ من « الهندسة الاولى للكون » الى « الجاز » « فوزن تلك الحركة التي تحمل الجماهير البشرية من خلال انف من النحاس والكرتون » وقد اكتشف ايضا البحث عن توازن بشري منظم في سبيل الكمال المادي للانسان (الذي سيعطي الباقي كقيمة اضافية) . كان يسير في طريق تمجيد الاسمنت والكهرباء . كان يسير ليسير .

في سنة ١٩٢٨ ذهب حتى جنوب الولايات المتحدة ، برفقة ابنته ، ووجد من جديد ثباتا في الامانة للوطن الفرنسي : « لن انسى الانجيلوس (صلاة التبشير) تعلن عنها الاجراس الفرنسية الضخمة في « اللويزيانا » ، اعلن لاحد الصحفيين .

فرنسي ، بقي فرنسيا ، وحمل الى الجميع حبا فرنسيا كان يمتزج بالنسبة اليه مع تفكير مسيحي وباعتباره دبلوماسيا وشاعرا . كان فرنسيا من « غاليا » زمن كلوفيس ،ولذلك السبب ، كان يشترك في كل تظاهرة ما تحدث في الخارج وتشكل نقطة اتصال بين بلاده والبلاد التي يقيم فيها ، نابذا اللامبالاة المستحبة لدى دبلوماسي متمسكا بجدية رجل يعمل ، حتى ولو كان الامر يتناول تسليم اناء من صنع « السيفر » كجائزة من قبل حكومته في اية مسابقة ادبية .

والانكلو–سكونيون اتهموه بانه كان احد السفراء الذين لا يجيدون تماما تكلم لغتهم ، غير انه كان يجيد لغته اجادة تامة ، بعكس ما يزعم البعض جادين انهم يرغبون في اعادة كتابة « الاناشيد » باللغة الفرنسية !

ترك الولايات المتحدة سنة ١٩٢٣ ، وانهى في بروكسل سنة ١٩٣٥ مهمته كموظف (وكانت من اطول ما عرفته « الكي ــ دورسي ») . وقد اتم ستة واربعين عاما من الخدمة كخادم مخلص وماهر لمهنته وبلاده .

وعندئذ بدأت مرحلة تقاعده في « برانغ » (Brangues) القريبة من « الالب » « والرون » .

* * *

كلوديل عضو الاكاديمية الفرنسية ... لقد اضطرت في الواقع الى قبوله عضوا فيها ، ولكن هل من المعروف ان اسمه كان قدم منذ مدة طويلة الى اكاديمية غونكور ، ليحل مكان « جول رينان » ؟ لكن مع الاسف ! ان الفرحة التي كان يشعر بها ايليمير بورج (Elimir Bourges) عند اقتراحه اسمه ، قوبلت من زملاء هذا الاخير كأنها نوع من الجنون ، فانتخبوا المدعوة : « جوديث غوتيه » (Judith Gautier) .

في ٢٨ آذار سنة ١٩٣٥ ، اجتمع سبعة وعشرون عضوا من

اعضاء الاكاديمية الفرنسية لانتخاب عضو مكان « لويس بارتو » وهم :

جورج غوايو ـ هنري روبير ، بيار دي نولهاك ، فرانسوا موریاك ، الجنرال ويغـان ، هنـري لافيـدان ـ جورج ليكونت ـ ابيل بونارد ـ هنري بوردو ـ لويس مادلين ، جول كامبون ـ موريس دوناي ـ اندري شيفربون ، الكردينال بودليار ـ الدوق دي بروغلي ـ ادوار استونيه ـ رنيـه دوميك ـ مارسيل بريفوست ـ اميـل بيـكارد ـ موريس بالبيولوغ ـ لويس برتراند ـ بول فاليري ـ آبيل هرمان ـ بيار بينوا ـ الدوق دي لافورس ـ الماريشال بيتان ـ جوزيف بيريه .

وكانت الاكثرية المطلوبة للفوز ١٤ صوتا ، فكانت النتيجة كما يلي :

نال كل من المرشحين الاصوات الآتية :

	الدورة الاولى	الدورة الثانية
بول كلوديل	٩ اصوات	١٠ اصوات
فارير	١٣ صوتا	١٥ صوتا
الفريد بوازا	٤ اصوات	صوتا واحدا .

فاعتبر «فارير » (Farrère) فائزاً .

كان الفضل في فوز خصم « كلوديل » يعود الى « بيار بينوا » « وجورج ليكونت » « وابيل هيرمان » وقد اثارت تلك النتيجة ضجة عامة في عالم الادب والصحافة .

وكان على الاكاديمية ان تنتظر حتى الرابع من نيسان سنة ١٩٤٦ لتصلح ذلك التصرف . ففي ذلك اليوم تم انتخاب « كلوديل » مكان صديقه « لويس جيليه » باربعة وعشرين صوتا من اصل الاصوات الخمسة والعشرين . وهم : هنري بوردو ـ كلود فارير ـ اميل مال ـ المونسنيور غرينت ، لويس مادلين ـ الدوق دي لافورس ، فرانسوا مورياك ـ اميل هنريو ـ بيار بينوا ، روبير داركور ، جورج ليكونت ، جاك دي لاكريتيل ـ اندره شوميكس ، القس فاليري ـ رادو ـ الامير لويس دي بروغلي ، البارون سايير ـ ادوارد لاروا جورج دوهاميل ـ اندره شيفريون ـ الاميرال لاكان ـ الا...ة دي بروغلي ـ جيروم تارو ـ جان تارو ـ اندره رينه غروسه .

لم يحتج الانتخاب الا لدورة واحدة ، ولم يصـ... كلوديل احد ، انما وجدت ورقة بيضاء . بينما لم ينل المرشح الآخر بيار بوريل اي صوت .

وقد جرى قبوله في ١٣ آذار سنة ١٩٤٧ ، وكان عراباه المونسنيور « غرينت » « والكونت دي دي شامبرين » ، وقد

حضر الحفلة جمهور كبير ، من الشخصيات ، لوحظ بينهم القاصد الرسولي ، وسفير بلجيكا ، وسفير ايطاليا وانكلترا ، والوزراء المفوضون لفينيزويلا ، وورومانيا ، والبرازيل ، والشيلي ، وكانت الصين ، واسوج ، واليونان ، وسويسرا ممثلة . كما حضر تلك الصبيحة ايضا المونسنيور بلانشيه ، عميد المؤسسة الكاثوليكية ، والسيدة جورج بيدو ، وجورج كين ، واندري بيلي .

كان « فرنسوا موریاك » مكلفا بالرد على « بول كلوديل » الذي اعترف في خطابه كم كان من اللطيف لرجل لن يتاخر عن الافساح في المكان لذكراه ان يقرأ في عيون الذين يحيطون به شيئا آخر غير الحذر ، او الدهشة ، او عدم المبالاة .

وقال موریاك مؤكدا : « لا اعتقد اني اختلست شرف استقبالك بين جماعتنا ، اني انتسب لذلك الجيل الذي كان اول من فهمك واحبك .... كثيرون من الاموات والاحياء يدفعونني الى التحدث معك كما لو كنا وحيدين : انت وانا . بمنياتهم التي لا اخيب املهم في تحقيقها هي ان اقدم لك الشهادة على ذلك . واني لاعترف بهذا الدين من النور الذي التزمنا به تجاهك » . الدين الذي حاول في بقية خطابه ان يشرحه في شهادة ملؤها الحرارة .

. . . .

ولكن لندع كلوديل رافلا بمظاهر التكريم « مرتديا الاخضر كليا » كما يصف نفسه في خطابه بالاكاديمية « وفوقه المجد كما في ايام وظائفه الدبلوماسية ، ممثلا بتلك الخوذة المستقاة كما يقول لامرتين من عصفور الصحراء » .

ولنعد الى « برانغ » التي ليست تماما مكانا للراحة . كما يشهد على ذلك المؤلفات المنشورة او الممثلة ابتداء من سنة ١٩٣٥ . ولكن السير هو السير ، انه لم يكف عن التقدم .

اذا حصل احد الزائرين على امتياز الذهاب ، كان كلوديل هو الذي يريد التقدم ابتداء من طرف ممشى الزيزفون الذي يوصل الى مقره ، ويداه في جيبه ، او تشد احداهما على العصا صديقة المتنزه . قصيرا مصابا من العمر بالضروري تماما ، صلب الراس على كتفيه كما كان في العشرين من عمره . عيناه بنيتان زرقاوان ماهرتان جدا تحت الاهداب الكثة ، جبينه ظاهر الجلال ، وذقنه يوحي بقوة الارادة ، كان ذلك كلوديل .

نقل « هنري غيامين » (Guillemin) الذي زاره خلال صيف سنة ١٩٤٢ ان الشاعر العجوز قد اعطاه الانطباع بانه امام « بناء جبار » .

لكننا سننظر اليه في احد آحاد تموز ، على الطريق الذي يقوده الى كنيسة « برانغ » ووراءه القصر . انه لا يوجه

انظاره نحو جوانب الطريق بل الى امام حيث الجرس يرسل نداءه .

في كلا جانبي الطريق نباتات برية ، وفي اطرافها اشواك . يتوقف كلوديل ، ياخذ البعض منها ، يفركها في راحة كفه ويضعَ حباتها في جيبه طعاما للدجاج ويقول كلمته : « انها ثمينة جداً » ، ثم لا يلبث ان يقول غيرها وهو يجثو راكعا في الكنيسة التي سبق ان رأى بابها مفتوحا ، انه يشارك في الصلوات بصوته الفلاحي الذي يختلط بصوت المؤمنين في الرعية .

« بين نظرائه وعصره »

فوريوس ـ بماذا تتهمني هذه المرأة بعد كل شيء ؟. بماذا تتهمونني جميعكم ؟ باني غير اجتماعي ؟ باني لا احب ان يمسني احد ؟ وبان حديث امثالي عندما لا يكون لديهم ما يقولونه لي ، يثقلني ؟ ماذا يثبت ذلك ؟ اانا الرجل الوحيد الذي تزعجه الاشياء التي لا فائدة منها ؟ انها تزعج الناس جميعهم . اما انا ، فهي هي تحدث لي نوعا من اليأس !

بالمير ـ في هذه الحالة ! لا يبقى من حديث شيق سوى حديث الاعمال ؟

فلورانس ـ

ولكن كيف يدرك الناس وجودهم اذا لم نذهب اليهم من وقت الى آخر للتحقق من ذلك عندما تدق الساعة الخامسة ؟

« محادثات في اللوار اي ـ شير »

« ..... بعض السائحين على تلك المسيرة الابدية التي

تذهب من لا مكان الى اي مكان » .

(محادثات في « اللوار ـ اي ـ شير »)

بسبب الاقامة الطويلة خارج البلاد ، لم يتمكن الشاعر من متابعة تطور الادب الفرنسي وتقدمه الا من بعيد ، ويمكن الاعتقاد بانه كان ذاهلا عنه ، وان الآلاف من الكيلومترات التي كانت تتسع اكثر الاحيان ، عرفت كيف تفصل الواحد عن الآخر . وان كلوديل على بعد تلك المسافة الطويلة ، الماخوذ بين مهمته كموظف ومحاولة عزلة متكبرة ، قد حمل على ان يثبت على شخصيته ، وان لا يحاول سوى ان ينتج من جديد في كتاباته العصر الذي استمد منه اثناء حياته في فرنسا ، او الشاعر المستوردة السهلة والغريبة . ولكنه كان يملك فضائل الامانة والحضور . لم يبتعد مديرا ظهره . معاصروه في « اللوي دي ـ غران » كانوا يعتبرونه « عنيدا ابكم لا يخرج من جموده الا ليتناقش في الفلسفة مع (« بوردو » Burdeau) كما كان الانطباع لدى « كميل موكلير » (Camille Mauclair) ، ولدى ليون دوده (Leon Daudet) ، ولدى « مارسيل شووب » (*Marcel Schwob*) ، ولدى « شارل ـ لوي فيليب » (Charles — Louis Philippe) .

يكشف لنا الفيكونت « غبريال دي روتون » (*Gabriel* De Roton) ، انه استطاع ان يكمل معه سنته في علم

البلاغة دون ان يتبادلا كلمة واحدة ، ولكنه كان ينبىء بجميع الآمال التي حققها فيما بعد .

لا شك في ان تصرفه لم يكن الا وسيلة للظهور ، تخفي طبعا خلقيا . ثم الا يرسم المؤلف نفسه بنفسه في « المحادثات في اللوار ـ اي شير » (ص : ١٤) عندما يقول على لسان « فلورنس » .

« ... ليس من رجل يبدو انه اخذ اقل منه ، الفرح من امثاله . يجب ان تروه بين رفقة من الناس عابسا « منزويا ، لا يتدخل في الحديث الا باطلاق بعض النكات السخيفة او بما يشبه ضربات العصا ، اذا لم تكن واحدة من زلاته العميقة التي لا تكفيها العبقرية الطبيعية ، بل يلزمها معاونة قوة غير منظورة » .

انها صورة متكلفة دون شك ، لان كلوديل اذا اراد ، وعندما يريد يكون بين الناس : حاد الطبع ، ومتفجرا .

لو كان اتبع الحركة الاولى التي يوحي بها طبعه ، لكنا نعتقد انه كان منزويا ، وانه كان تبع تصرف منعزل ، يلجأ في المجالات الجديدة عليه الى الهرب من الانسان ليقترب افضل من النباتات والحيوانات ، والفصول العارية كليا « والسماء » ، الا ان حركة اخرى تمنعه من الابتعاد وتحمله

الى وسط عصره ومعاصريه مذكرة اياه هكذا بارتباطاته مع امثاله في الانسانية ، كالطفل يبقى متعلقا ببطن امه ، بعدما يخرج منه ، لوقت طويل .

منذ المدرسة ، كان يصمت ولكن لكي ينفتح احيانا على توجيه الاسئلة . وبعد ذلك تسنت له مناسبات عديدة اغتنمها ليجعل الناس ـ والاشياء ، والحيوانات تتكلم وتعبر بتفصيل لكن يتعمد ان يكون بارزا ، للكشف عن بعض اوجهها المعبرة الخاصة جدا والعامة جدا في وقت واحد . ويمكن ايجاد تفسير لذلك في نشيد « الهة الشعر التي هي النعمة » عندما يرجو الشاعر ربه :

« لا تسمح لي اطلاقا

ان اخرج عن ارادتك ، عن الارض التي

هي ارادتك .

انه يسلم بالواجب الذي لا يحب ان يتخلى عنه ، ما يسمونه : الاحسان . ولكن قبل الاحسان ، لنعترف له ، بالرغبة في ان لا يرمي اخوانه ، كي يتجنب بذلك ان ينتقص من ذلك الواجب بسبب رفض مساهمة كان يحس مسبقا بخصبها اذ يمثلها بالجوهر الكلي للعالم .

ويشرح نفسه ايضا في العديد من قصائده ، مثلا عندما

يصف « فرلين » في السجن « بموتس » ، بعد محاولة قتل « ريمبو » ، يصرخ :

« انه وحده . انه في حالة تامة من الذل
والانهيار »

بالنسبة اليه كانت الوحدة عند ئذ نقصا في السمو ، وعجزا عن الخنق . والانسان المغرق فيها لا يستطيع اتمام اي شيء ، لانه يتمم نفسه بشكل غير كاف .

وفي القصيدة المخصصة لذكرى شارل ـ لوي ـ فيليب نقرا ما يلي :

« فيليب الذي كان وحيدا وبائسا وقصيرا مات » .

كل شيء في هذه الجملة يبدو انه نتيجة : لا فقط بسبب جمع عبارتين واحدة منهما متعلقة بالاخرى علاقة نسبية كما يفسر علماء اللغة ، (مات . وهذا حصل لان ... » ، انما ايضا بسبب اكثر تحديدا : ادانة مزدوجة بنظر كلوديل ضد فيليب : الوحدة التي تقود الى التجريد من الحياة بقدر ما يعتبر البؤس عنصر غياب عن العالم (البائس فيما كتبه لا يمكنه تمالك نفسه) . من جهة اخرى هناك قصر القامة الذي بانقاصه الانسان جسديا ، يمنعه من الاكتمال . ودون ان ندرس اكثر معنى كلمة « وحيد » في الابيات الاربعة عشر المخصصة

لشارل ـ لوي فيليب ، يكفي ان نستنتج بروز تلك الفكرة العامة : فيليب كان وحيدا ، لو كنت معه لما كان مات . (لنتذكر ان كلوديل في حديثه عن الموت انما يقصد دائما موت النفس : « الوم نفسي بمرارة لتركي ذلك المسكين فيليب يموت في اثناء الليل ، بينما كانت رسالته الى « جيد » تبين لي انه كان قريبا جدا من التوبة لو اني تجرأت ان اكون معه على شيء قليل من عدم التحفظ » . كتب الى « ارثور فونتين » في ٣٠ ايار سنة ١٩١٠ .

عندما اعلن « كلوديل » « لجاك ريفيير» (رسالة مؤرخة في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٩٠٧) : « وحدتك ، وقرفك لن يقوداك بعيدا » كان قد سبق له ان آمن بان الانسان الوحيد عرضة للادانة ، وعندما كتب بضعة اسطر من قبل جاء فيها : « ان ما انت مستعد لقبوله ، ليس اذن فوضى عامة ، انما عدم ترتيب خاص » وضع مخاطبه امام مسؤوليته ، فهو من تلك البرهة يمنعه من المشاركة مع العالم حيث ان كلا من الخلق اذا كان من الله ، مستمر ومتكامل بشرط ان لا يقنع نفسه « انه وحيد وسط الطبيعة » .

مرت عشرون سنة ، وبقيت فكرته متماثلة مع نفسها من الاطمئنان : « اقبل بالكون ! هوذا الكون كله لك اذا اردت ، مقبولا منك ومقتنعا به بحرية » ! هيا ! قم بحركة حسنة .

ليس لك الا ان تمد يدك ... لن تتمكن اطلاقا من ان تكون « واحدا » لك وحدك فقط » (« شاعر ينظر الى الصليب »)

منذ وقت طويل ، كان كلوديل قد بدأ يعقل عصره . فقد تلقى تلك السمة في سن يصبح فيها الانسان عرضة للتأثيرات المختلفة ، اخذ تلك السمة عن « ريمبو » ، وفي رسالة وجهها الى « جاك ريفيير » يؤكد انه حصل له — وهذه كلماته — « عمل ادعوه نطفيا وابويا ، جعلني حقيقة اعتقد بوجود تولد في نظام الارواح كما هو في نظام الاجساد » .

ذاك انه في اثناء انطلاقة الادب الطبيعي تحت سيطرة زولا وآل غونكور ، ورينان في وقت واحد ، وفي وقت كان فيه فيكتور هوغو » النبي الجمهوري قد اختفى منذ وقت قليل في « جو من التأليه » ، اشترى كلود في حزيران سنة ١٨٨٠ ، سلسلة منشورات « الفوغ » (Vogue) التي كانت تنشر مطلع « الاضواء » ، وقد شرح نفسه فيها كفاية الى درجة اننا لا نحاول هنا اجراء تفسير لما كان يكمن في المعنى الخاص للعبارة وتبعا لقول التائب ، من ضوء جديد وحقيقي .

غير انه في اوقات مختلفة اكد احتكاكه مع العالم الروحي ، واستمرار شخصه في ذاته ، وفي الوقت نفسه لم يكن اهتمامه اقل تجاه نظرائه .

منذ سنة ١٨٩١ ، زادت ايام اجتماع الثلاثاء في شارع روما من جوها الترحابي ، والديني . وكان « كلوديل » احد زوار سيد الجماعة الادبية : « مالارميه » . وقد استطاع ان يلازم اقدم « المتنسكين » ومن بينهم « غوستاف كان » و « رينيه جيل » « وموريبا » الذين كانوا قد بدؤوا يبتعدون . ومن بين المؤمنين كان : « دو جاردين » و « فونتين » « وهيرولد » و « موكيل » و « هنري دي رينييه » و « فييليه غريفين » و « شارل موريس » و « بول وفكتور مارغريت » و « فيرلين » و « بيار لوويس » و « ليون – بول فارغ » و « اندره جيد » و « كميل موكلير » والمؤلف المقبل « للمقبرة البحرية » .

ندوة ريما ، تلك القاعة من شارع روما كانت تشهد على الاقل « كلوديل » مذ كان في الثالثة والعشرين وهو يهتم بالاشياء الكبيرة ، والموسيقى ، والشعر ، والكتابة ، وقضايا تؤدي ممارسته لها به الى تناول ابحاث اخرى ، تتعلق باسمى اهتمامات الانسان . وعندما اعلن « سيبيس » (Cebès) في كتاب : « راس من ذهب » (١٨٩٠) .

الكلام ليس الا ضجيجا ، والشفاه ليست الا طرسا .

انما الذي يتكلم كان كلوديل . فقد استفاد من التجربة في ليل كلمات « مالارميه » استفادة كافية ، ليؤكد لهذا الاخير في ٢٥ آذار سنة ١٨٨٥ ما يلي : « دعني ... اهنىء نفسي لحصولي على كنز الحصول في مطلع مهمتي الادبية على محادثتك ، ومثالك ، وصداقتك » ، وان يعلن في رسالة لاحقة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٩٦ ، بعد مديح للجملة المالارميه : « اقول ذلك بتواضع وانا واع لسماجتي الخاصة » .

حاول في كتابه : « كارثة ايجيتور » (عروض ومقترحات) المؤلف في وقت لاحق لموت « مالارميه » ان يعين الاسباب التي تحمله ، رغم ابتعاده عن الجهد الماورائي بعكس « مالارميه » الى بذل انتباه مستمر . وقد تحدث بالنسبة اليه عن « ذلك الاستسلام للمؤمن بالسحر الذي لا يؤمل بشيء في العلم والفن » .

ويشرح كفاية ذلك النوع من الجمال البارد لليأس الذي يحاول فهم خلود الارض الجديد دائما على الانسان .

منذ سنة ١٨٩١ ، وحتى قبل ذلك كان التعارض بين « مالارميه » و « كلوديل » ظاهرا . وقد عبر عنه في الاعلان الوارد في الرسالة نفسها الصادرة في ٢٥ آذار سنة ١٨٩٥

حيث كتب مؤلف : « راس من ذهب » ان « للشاعر امتياز اعطاء الاشياء كلها اسما » .

وتظهر ايضا في الرسالة الموجهة الى « جاك ريفيير » المؤرخة في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٩٠٧ (لم تكن معده للنشر ، مثلها مثل الرسائل جميعها مما يشهد على صدقها) حيث ورد : « .....الموقف الماوس ـاوي ـ لستيفان ملارميه » ، او الفنان القح ، بادراكه ان ليس لديه في الواقع شيء يقوله » .

تلك الاحكام كلها ، ثمرة ص ـ ء ذهن مفكر يصبو اليه كلوديل ، وهي لا تمنعه مع ذلك من الاعتراف بدين « مالارميه » عليه : الاتجاه نحو الدقة والرغبة في المطلق ، (صحيح بوسائل اقل روحية) ، والتسليم بعظمة شجاعته وصدقية محاولته .

غير انه يوجد لدى كلوديل نوع من الاخلاص ، وتشبث بالامانة ـ ويجب التاكيد على العبارة ـ: فهو اذا كان يقبل بانه فهم او عرف بشكل سيىء، يعترف بذلك . انه يؤمن بامكانية الغلط الى درجة انه يعارض نفسه في الافكار او الاحداث التي ابرزها باشكال مختلفة . وهكذا الم نسمعه يوما يعلن عدم فائدة الشعر ، ويستنتج بعد ذلك ان « الشعر والفن هما ايضا شيئان إلهيان ؟ » كما نجد في قصائد

واقوال اثناء حرب الثلاثين السنة ، مديحا صادقا ايضا لشخصيتين يمثلان لا تعارضا بين الافراد فقط ، بل التعبير ايضا عن وجهين متعاديين من البلدان في احد العصور التاريخية .

من السهل جدا الكلام عن السذاجة او عن النواقص . حتى لو اننا في هذه الحالة الاخيرة اخذنا « النشيدين » المتعارضين اللذين يمجدان « بيتان » « وديغول » فهما لا يتمتعان بأية اهمية تتجاوز كونهما حدثين وضعا موسيقيا ليعزفا على شبابة وان التاكيد على الرجل الواحد والمتعدد ياتي بمقابلة نظرة بؤس الفكر الانساني ، مهما كان جبل التابور الذي يزعم الشاعر انه مقيم عليه بدون انقطاع .

يميل الانسان المنعزل الى ان يدفن نفسه ، ويعتاد الاكتفاء بالقليل بينما ان كلوديل يتقدم ، فاذا اخذنا : « ايار المظلم » وهي قصيدة نظمت سنة ١٨٨٧ او « اغنية الخريف » التي تحمل تاريخين ١٨٨٧ ـ و ١٩٠٦ (كورونا) استنتجنا مسيرة كلوديل نحو الانتصار « سير » ملؤه الاطمئنان، يقول :

« النداء الخارق للبوق ....

اسرعوا ! غبار الطرقات يرتفع .

تلك ليست كلمات ، بل حركات هي . والحاجة الى الحركة

الظاهرة جدا عند كلوديل بدأت تنير ، وتحول نلك « السائح على الكثير من الطرقات » الذي لا يزال يحس ، بعد تقاعده وانسحابه الى « برانغ » بعدما اصبح عجوزا ،بالحاجة الى تنشيط الروح والرجلين . الم يذهب بعد بضعة اشهر الى باريس ، الى روان ، والى بلجيكا ، وسويسرا ، وميلانو ؟

واذا كان كلوديل المعارض جدا « لمالارميه » قد استمر في الاصغاء اليه ، وحبه له ، واذاكان يقبل ،هو الذي حصل على اليقين ، ان يتردد على نلك العالم الذي كان يسيل لزجاً تحت اقدام زملائه بينما كان تحت قدميه دقيقا وواقعيا وجامدا ، فان نلك لم يكن على سبيل الضعف : اذ انه حيث كان يذهب كان يستطيع ان يكون متعددا ،وان يمتلىء فكره. كان دون شك يسلم عن طيبة خاطر بمعاشرتهم ، اوسماعهم يتفاخرون ويروون في تلك الصالونات الادبية وغيرها ، او ضمن النخبة من المتقدمين ونوي المكانة ، بينهم « ليون دوديه » المفعم بثرثرة « وغامبيتا » الذي يكشف عن نفسه كمتحدث ممتاز ، وحيث كانوا يتحلقون حول السيدة « جولييت آدم » او السيدة « مولفيلد (Muhlfeld) . وكان هناك ايضا دور للسيدة « لاكونتيس دي لوان » (De Loynes) التي كان « ارثور ماير » يشعر بالراحة لديها : في مصنعها الصغير حيث كانت تصنع انتخابات الاكاديميةكان يتحرك حولها جملة المباخر امثال : « جول لوميتر » و « هنري هوسيه » و

« موريس باريس » و « اميل فاغيه » « وفرنسوا كوبيه » و « فيكتوريان ساردو » و « هنري لافيدان » و « موريس دوناي » و « البير فاندال » و « غبريال هانيتو » و « ادولف بريسون » و « آبيل هيرمان » و « غاستون كالميث » و « بول ديروليد» . واننا لنجد صعوبة في ان نتصور جيدا كلوديل مشاركا بصبر ولباقة في مناقشات عقيمة كتلك التي اثارها « باريس » بهدف تعيين اكبر اثنتي عشرية من كتاب القرن التاسع عشر . وفيما امتدح « كوبيه » « بيرنجيه » معتبرا اياه وريث الفن اليوناني .

كلا ، لم يكن لتلك اللقاءات سمة الصالون الذي يناسب ذلك المتحمس لطرق الحرية ، والذين هم اكثر واقعية من مثل « رينان » او من كلمة تقال بتهذيب « نخلة طويلة رقيقة مثل شمعة ، مثل فعل ايمان مثل فعل حب » او ايضا وببساطة اكبر « الخط المنحني للافق » .

عندئذ اصبح « كلوديل » بعدما انضجته مغامرة مراهقته ، كلوديل ذا الجبين المنتصب المتباهي كجبين شاب روماني ، « كلوديل » ذا العينين العاليتين ، كلوديل الذي ينتصب ويدافع عن نفسه . وقد اعطانا « اندره جيد » صورة واقعية جدا عنه عندما كتب : « له شكل مطرقة آلية » .

لماذا حدث ان « كلوديل » المطمئن الى وجوده ، والى ماضيه والى مستقبله استطاع ان يتوقف برهة امام الاعيب

اللغة ، التي كانت تجري ، بصفاء صحيح ، في صالون « مالارميه » ، وكذلك في المحادثات المصلحية والرفاقية لتلك الجماعات من الشعراء والمحاولين الذين كان يلتقيهم هنا وهناك ، والذين كان الربح ، والحصول على عشيقة يشغلان بالنسبة اليهم قسما كبيرا من نشاطاتهم الثقافية ؟

الا نجد هنا تفسيرا ثابتا اكثر . لكلوديل الذي لا يقر تقسيم العالم الى مناطق وقطاعات والذي كان يرغب في ان يقبله بتعدديته حتى المتفرقة ؟ موقفه الفلسفي جمعيه ظاهر بوضوح بتلك العلاقات التي استمر فيها رغم الزمن ورغم نفوره العميق من رفاقه الذين وضعهم امامه مصير يطمح به . وحدها الحركة التي قام بها « سيبيس » طالبا من « الراس من ذهب » ان يفتح النافذة ، للاشتراك مع الصباح ، ومع البحر ، ومع نيرانه ، ومع رطوبة الريح ، كالتي يستجيب لها الراس من ذهب كافية لتكشف « كلوديل » الذي يفتح ذراعيه وقلبه ليقيم مع كل واحد « لقاء لا ينسى » .

ولكن كلوديل لم يضع نفسه وحده ، فاذا كان يدعو « مالارميه » « استاذا » فهو يضحي بالتباين الذين كان يشعر به كتلميذ تجاه الاستاذ المهني ، اذ انه لا يسميه اطلاقا الى جانب : « شكسبير » و « آشيل » و « دانتي » و « دو ستويفسكي » الذي يقول عنه انه يدين لهم بالكثير . و

« ريمبو » : « الاستاذ الاعظم » . وهو يكتشف علاقة فكرية له مع هؤلاء الشخصيات الخمسة ، ويعترف بانــه تأثر بذكائهم واذا تحدث عن دروس في الاسلوب الانشائي فهو يحدد انه استمدها من « فرجيــل » و « هــوراس » و

« جوفينال » وجميع المؤلفين اليونانيين واللاتينيين . ويجب ان لا ننسى تاثير التوراة حيث وجد كلوديل منذ توبته غذاءه الروحي .

هناك حادث واقعي، وهو ان الرومانطيقية لم تؤثر فيه ، الا ما حفرت في نفسه ذكراها في سنوات شبابه الاولى ، بشكل ردة فعل دفعته الى الثبات في معارضتها . ولكن في زمن تكوينه الثقافي ، كان الفوران الرومانطيقــي قد دفــن في قبــر « البارناسيين »"١" وبعد سنتي ١٨٧٠ ــ ١٨٧١ برزت الفلسفة والنقد اكثر من بروز الشعر كحاجات من ضروريات « البورجوازية الجيدة » التي تحول ابناؤها الذين كانوا يؤيدون « فرلين » الثمل نحو « سولي ــ برودوم » الذي كانت له افكاره ، ويقاوم جيدا . كما كانوا ايضا يروحون عن انفسهم بالاستماع الى صنوج « هيريديا » .

« وراس من ذهب » ظهر سنة ١٨٩٠ ، وهو اول كتاب نشر

---

(١) حركة ادبية بالفن للفن « المعرب » .

للسفير المقبل وقد وضع لبيان بوح ، غير ان زمن كلوديل لما يكن قد حان ، اذ كان عليه ان ينتظر بضع سنوات اخرى لكسب الجمهور اي عندما مثلت « الاعلان الى ماري » سنة ١٩١٢ « والرهينة » سنة ١٩١٤ .

والبعض من الذين اعلنوا فيما بعد عن انفسهم كمعجبين متحمسين « بكلوديل » او على الاقل اعترفوا باهميته قد حددوا ان نقطة الانطلاق لعواطفهم تبدأ في المؤلفات الاولى ، اي تلك السابقة للقصائد الشعرية اي المؤلفات الدرامية حيث تسريت « عظمة مشاركته مع الارض » ، نذكر من ذلك البعض « الكسندر آرنو » و « جيرودو » الذي اثار الاعجاب باعتباره « واحدا من الذين ادوا المساهمة الكبرى في اعادة اعطاء اللغة الفرنسية والفكر الفرنسي جوا « شعريا » . و «دانيال هاليفي» لم يكن بعيداً عن تقديره : لقد سبق ان كانت فكرة « بيغوي(*Peguy*) « كقوة مستوحاة » ، « وكميل موكلير » تبنى كلمة « مارسيل شووب » . : « كلوديل ذو عبقرية » ، التي اكدها « ماير ترلينك » (Maerterlinck) بهذه العبارات : « لقد ظهرت لي فجاة كاكبر شاعر على الارض ..... بدأت اعتقد انها العبقرية بشكلها الامثل الذي لم تظهر به ابدا » . هل علينا ان نذكر برأي « ريمي دي غورمون » « لقد اثملني »« راس من ذهب » بشعور عنيف من الفن والشعــر » ، وكــان هذا الاخير مع « اوجين دي

مونفور » اول من جاهر علنا تاييده للذي كان عليه ان يبقى غير معروف من الجمهور حتى سنة ١٩٠٥ .

وهل علينا ان نشير الى « بول كلوديل » الحصيف برأي « وجورج دوهاميل » ؟

كما ان البعض من الذين صار اكتسابهم اليه ، انتظروا مدة لاظهار انفسهم ، مثلا « لوي جيليه » الذي كان واحدا من اوثق اصدقاء كلوديل وأصلبهم منذ سنة ١٩٣٥ (تاريخ مقالته المقدرة عن « مواقف ومقترحات » (المجلد الثاني) المنشورة في « الايكو دي باري ») . وبعد هزيمة سنة ١٩٤٠ ، التجأ « لويس جيليه » الى « مونبيليه » وهو غير قادر على القيام بقسط نشيط مثل اولاده في المقاومة السرية ، فقرر لكي يحتج على طريقته ان ينظم في « ليون » ابتداء من سنة ١٩٤٢ ، محاضرات عن الامجاد الادبية لفرنسا ، واختار ان يتحدث هو عن « بيغوي »

وعن « كلوديل » ، ولم يتصل به بانتظام الا بمناسبة اقامته على بعد بضع مئات الكيلومترات من كلوديل المنعزل مثله في عمق الريف . اذ قام بعدة زيارات « لناسك برانغ » ، وكتب بعض الرسائل التي خصص قسما كبيرا منها للاشارة بالم ولكن بأمل الى الظروف البائسة

لفرنسا . وكانت تلك الرسائل حرة اللهجة والعاطفة الى درجة ان كلوديل وقد هدد يوما بالتفتيش من قبل الالمان اضطر الى رميها في النار . اما « لويس جيليه » الذي استهلك قبل الاوان بسبب وساوسه والعوز المادي فقد كتب للمرة الاخيرة من « مونبيليه » رسالة الى صديقه بتاريخ ١٦ حزيران سنة ١٩٤٣ (اذ مات في باريس في اول تموز التالي) . في تلك الرسالة الحاسمة المكتوبة بالقلم الرصاص ، بيد خائرة القوة ، والتي تبدأ بهاتين الكلمتين : « سيدي السفير » يعلن « جيليه له ما يلي : « انه شرف حياتي ان اكون صديقك ، وان اعمل من اجلك » . وفي الواقع كان يعمل من اجله وكلوديـــل خليفته في الاكاديمية اعترف بذلك عندما اعلن في خطابه يوم الاحتفال بالقبول : « دعوني اتعلق بكتفيه المشفقتين ، وآمل ان لا تتوصلوا سريعا الى تعكير جوي معه » .

شيئا فشيئا اخذ كلوديل يتخلى عن صداقات هذه الارض . واذا كان يتنشق ، وهو يمر ، الطبيعة الرودانية حيث في احضانها اراد ان يقضي ايام تقاعده النهائي ، فذلك لكي يكتشف فيها رؤيات تظهر علاقات مع الرؤيات التي بثتها في شخصه خميرة الكتابات المقدسة . كان يقضي احسن اوقاته في التأمل بين التلال والنهر ، حيث كان يحمل نفسه على ان يعود مختارا ذلك « العنيد » ذلك « الابكم » الذي كانه في كلية « لوي ــ دي ــ غران » .

رسالة الى مالارميه :

شانغاي ٢٤ كانون الاول سنة ١٨٩٥

سيدي العزيز

بعيدا ، وغير موجود اغتنم فرصة نهاية سنة لاهنئك بالتي تبدأ متسعة عذراء . ان سنة جديدة تماما تشبه حبال جديدة تماما . ان مثل هذا اليوم كان في الماضي يثير في الرغبة في قص شعري ، او بعدما اقفل باب شقتي قفلا مضاعفا وارمي بشكل خفي المفتاح في جيب كوناما : جيب مهيىء ومجهول . كنت انعطف عند اول مقهى التقيه . ولكن ذلك لا يفسر لماذا اسمح لنفسي بان ازعجك . غير اني حملت دائما شعورا طيبا تجاهك . فنحن الاثنين بعيدان جدا عن الناس ، انت بسبب المسافات التي اوجدها وجودنا بالذات وانا بسبب المسافة الصرفة والبسيطة التي توجدها بيننا روح التقارب . قرأت اثنتين من متفرقاتك : الاولى في « ساميشور مارسيليا » وتتعلق بالصحافة ، والاخرى في العدد الاول من « المجلة

البيضاء » التي وقعت في يدي من حيث لا يدري احد . وقد شعرت بالذنب والاسف لكوني لم اطلع على السلسلة بكاملها ، فهلا تفضلت وتلطفت باعلامي عما اذا كانت تلك المتفرقات ستظهر في مجلد ؟. وانا لا استطيع ان افهم ذلك الاتهام الجائر الذي يوجهه اليك بعض الذين لا يعرفون ماذا يقولون ، ولا يدركون الحاجة والفرح اللذين نشعر بهما بالنسبة الى التعبير بثقة ودقة .

ها انا صرت في منتصف اوراق رسالتي ولم ابدأ بعد بالتحدث اليك عن الصين . فانا اعيش فيها ويعجبني ذلك . غير اني اشعر بروعة البلدان الاستوائية التي رأيتها في سفري ولا استطيع ان انساها ، فالحرارة « الفردوسية » للحياة قوية جدا فيها ، والسيلان الذي يصيب معدة الذين يقيمون فيها طويلا شبيه بخيبة امل الفرد الذي يستسلم . الصين بلاد قديمة اثرية لا ندرك اسرارها وحياتها لم تصب بذلك الذي يسمونه مرض العصر الحديث ، والفكر الذي يقدر نفسه يستطيع ان يبحث فيها على الوجه الافضل ويثقف احلامه الخاصة ، انها تعج حتى الاختناق ساذجة فوضوية بالينابيع العميقة للبداهة والتراث . اني اقدر تقديرا ساميا الحضارة العصرية ، ولكني كنت اشعر دائما اني غريب في وسطها . اما هنا ، فعلى العكس يبدو كل شيء طبيعيا واعتياديا . وعندما امر على الطريق المزدوج المسنن بين المتسولين والمختلجين ،

وفي زحمة حاجيات العتالين ، وكراسي الحمالين ذلك الطريق الذي يؤلف وسط المدينة الصينية ، كنت معروفا باني الرجل الذاهب الى حضور عرض تمثيليته الخاصة . ورغم ولعي بالاوصاف ، فاني كتبت او اني في وارد كتابة سلسلة من المقالات عنوانها : « معبد ، حدائق ، الليل » وآمل ان تنشر في احدى المجلات . وساكون سعيدا فيما اذا تفضلت بقراءتها .

سأخذ المبادرة في ان ارسل لك في البريد المقبل ختما يحمل اسمك بالاحرف الصينية القديمة ، فارجو ان تتفضل بالذهاب الى الوزارة بعد خمسة عشر يوما من تلقيك هذه الرسالة فيعطونك اياه هناك .

ارجو ان تنقل احتراماتي الى السيدة والآنسة « مالارميه » وان تنقل عواطفي الصادقة الى الزملاء في الادب جميعهم الذين التقيتهم عندك والذين آمل انهم لا يزالون يذكرونني .

المخلص

كلوديل .

« وثيقة شعرية »

« اذا كانت اغنيتي لا تناسبك . ساغنيها بالرغم باستمرار » .

سنة ١٩٠٤ كان « بول كلوديل » قنصل فرنسا ، يطبع في « فوتشيو » على مطابع الارملة « روزاريو » كراسا مؤلفا من سبع وعشرين صفحة ، كان ازمع ان يحتفظ بمائة وخمسين نسخة منه خارج السوق . وكان عنوانه « معرفة الزمن ، ويتضمن ما كتبه في السنة السابقة في « كوليانغ » .

وبعد اربع سنوات نشرته « الميركور دي فرانس » في طبعة عادية مع « معاهدة التوالد في العالم وفي الذات » المكتوبة في « فوتشيو سنة ١٩٠٤ ، ودرس مقتضب عن تطور الكنيسة مؤرخ في فرنسا نيسان ــ تموز سنة ١٩٠٠ . كان اسم المجموعة : الفن الشعري .

وعلى عكس ما يظن في بادىء الامر ، فان قصد كلوديل لم يكن وضع بحث شعري ، حتى انه لجأ عندما كتب : « الفن الشعري» الى ان يكتب ملاحظا على الهامش : poien — faire

كي يكون الدور الفاعل لهذه العبارة حاضرا في ذاكرة القارىء، تلك طريقة مالارميه بالتاكيد في ان لا تعبر الكلمة الا عن قيمتها الواقعية ، مرتبطة بقدر الامكان مع المعنى الاشتقاقي ، اي مع المهمة التي تؤديها والتي ادتها ومن خلال التلاحقات جميعها تحتفظ بذلك المعنى في فعاليته الاسمى ، كما هنالك اهتمامه ايضا بتعميق حقيقة الكلمة ، وقدرتها المتلازمة فيها ، الكلمة المعبر عنها فيما بعد « بنوع من الديناميكية الداخلية التي تترجمها ريشتنا بصورة ، وبنوع من الارتسام المعبر » وان « للكلمات روحا » (راجع « لابيرنيت » عدد ٢١ سنة ١٩٤٦) .

حسب المفهوم « الكلوديلي » الفن الشعري قبل كل شيء هو الفن الذي تتعاطاه اصابع الفنان : المظهر الخارجي ، الجسدي للشيء يوجد اولا . وكذلك الاشياء ، والفنان ليس فقط الذي يملك اداة ، بل الذي بواسطته الاداة تعبر : مطرقة ، او فأس ، او ريشة . بشكل ان محترف الشعر مثله مثل الحدادة ، وعامل الغابة يكشف عنصرا موجودا في ذاته ، وعنصرا آخر يوجد كقطعة لا متناهية في عالم لا متناه . وهكذا فان الفن الكلوديلي الشعري ابعد من ان يكون مجموعة من المعطيات الخاصة تعبر عن طريقة في الظهور ، انما هو يهدف الى تعيين الاسباب الاساسية التي بتاثيرها يمكن بناء الأثر الفني الذي على الشاعر ان يقوم به . لان الاثر كان سبق له ان

اصبح في الكلمات ، واذا شئتم ، في اللغة ، وهذه الاخيرة حتى لو كانت شفهية تمثل بين مسافات الصمت نوعا من الكثافة ، والكيفية ، والنسبة في التوتر الفكري ، الفن الشعري سيكون تجسيدا للمبادىء التي هي على راس بناء من النشاط ، وبما ان الفكرة تسبق العمل ، فمن الطبيعي ان تدعو فينا ما هو اكثر من ذواتنا ، اي تلك الحياة السابقة والمقبلة ...

قبل كل شيء ليس الشاعر هو الذي يتحدث في « الفن الشعري » ، ولا الفيلسوف ولا مسيحي مستعجل للافصاح عما في نفسه ، انه كل ذلك واكثر : الشاب كلوديل الذي يستكمل وضعه الفكري ، والذي بدأ في الدخول الى المجتمع الادبي بكراسه : « معرفة الزمن » . يكفي القول ان الامر يتناول قبل كل شيء مهنة ايمان ، تنطلق من كائن خاص. ولكن ، كلوديل ، ولهذا السبب يهتم بممارستها ، يحاول ان يدرس الحاضر من زاوية الحركة التي تقوده الينا كاملا بشكل لا يمكن الوقوف في طريقه .

لما « كانت المدن القديمة تقيد العرافة » فان الكائن الذي كان يريد ان يتفوق على المادة التي صنع منها كان يرصد الفكر . ويطلب منه ان يرى ، ويسمع ، ويقول . لن يكتفي بنفسه وحده ومن اجل نفسه ، غير ان ذلك سيكون عبثا ، لان الانسان لا يكتفي منه بشيء « فهو يعاني من الحاجة الى سؤال

كل ما يعيش حوله » . وهكذا فكلوديل الذي يملك الوعي ، او بالحري العلم المسبق ، للعالم الذي هو جزء منه ، يحاول ان ينقل كتابة « باكثر المداد اسوداداً » سر اللانهائي .

ولكي يصل الى معرفة الزمن ، فهو يريد ان يحدد السبب ، اي سبب لوجود النتائج التي يعتبرها بمثابة قوى وفي الوقت نفسه بمثابة اشكال ، واذا به مقاد حالا الى المسالة التي حازت على اعجاب « مالارميه » ماذا يعني ذلك ؟ مكملة بالمسالة الاخرى : من اين ياتي ذلك ؟ الشاعر الذي هو هنا متأمل ، يعتقد بانه يوجد في كل شيء موضوع ووسيلة وهدف (مثلا : البارود ــ الطلقة ــ الانفجار ، او المبيضات العاملة ــ صناعات التفقيس والاعشاش ، الحشرة ، العصفور ، السمكة ــ طعام الانواع آكلة اللحوم التي تحصل عليه) وان تلك العبارات الثلاث التي ينحصر فيها : « العمل السببي توحي حالا للفكر تلك الطريقة من التفكير البشري التي هي القياس ... وهي وسيلة بواسطتها نعرف الاشياء من جديد ومن خلالها ذواتنا » ، ويؤكد كلوديل ان لتلك العروض المعبر عنها على هذا الشكل « قوة القانون » . اننا نجد في ذلك تحليلا سفسطائيا . وحينئذ يعطي كلوديل لنفسه ولاستخدام تفكيره سببا لتحديد تلك الفكرة القائلة ان النتائج مثل الاسباب متعددة ، وانها تتجاوز مماحكاتنا ان لم يكن مداركنا . وان لدينا على كل حال ذلك اليقين من ان « الاشياء

ليست كقطع آلة ، بل هي مثل عناصر عمل لا ينضب لمصير متجدد دائما » ولكن الاسباب عندئذ؟ حسنا ، انها نفسها ، مثل مزيجات خارجة عنا ، حيث منها تتولد بدون انتظار بعض النتائج المتغيرة دائما .

ممارسة الشعر الكلوديلي تتضمن اذن سموا الى جميع اشكال عالم يسمح بامتلاكه دون ان ينضب ذلك الامتلاك . وفي الواقع ان الشاعر مقتنع بالواقعية المخلوقة للاسباب . واذا قابلنا نظريته بكتاباته ، استطعنا ان نقدر ان كلوديل قد اختار ان يعمل كما تحت تاثير بوح يسمي نتائجه حتى عندما يؤكد عدم تصوره سوى الاسباب .

غير ان كل سبب ، وكل نتيجة يتسجلان في الزمن مما يجعل الملاحظة الآتية صحيحة : « ليس الكون سوى آلة لتسجيل الزمن » ، وهكذا فان كل شيء يجري بشكل مستمر ، كل شيء جديد دائما . وهذا الاكتشاف يحتم معرفة الاستمرار الذي تجسده الساعة . الا ان هذا الجزء من الزمن الذي اخترعه الانسان يمثل حاجته الى الامتزاج بالخلق ، ويوجد له حجة ـ او حتمية ـ الاشتراك بما هو كائن حوله ، وبما وراء . وذلك لانه « موجود » في ما هو « موجود » ، ويملك القدرة على « معرفة كينونته » . يبحث الانسان عن الامتزاج بما ليس اياه ، ويستخدم لذلك لا آلة القياس (syllogisme) بل آلة

الاستعارة (métaphore) . وبعبارات اخرى عندما يريد الكائن ان يعرف اذا كان يشترك في الكون ، لا يكفيه التفكير ، بل يتطلب الامر القدرة على تجميع الكون فعليا في فكره .

الفن الشعري ، وهوهندسة فكرية قادرة (« ا . موليتور » « مظاهر من بول كلوديل ») سيكون الوسيلة للتوصل الى مثل تلك الاهداف . وباعتباره هدف محاولات « بودلير » و « ريمبو » و « مالارميه » سيصبح اختراقا ، والتقشف الحاصل من ذلك سيؤدي الى المسائل الاكثر سموا التي يمكن للفكر الانساني ان يطرحها على نفسه .

اما معرفة الزمن بالنسبة لكلوديل فشيء آخر غير بحث مجرد ، انه مشاكرة . وليس في تأليفه « بحثا عن التوالد في العالم وفي الذات » شيء يوجب الدهشة ، اذ ان الفكرة التي ينهي عليها المحاولة السابقة لم تكتمل .

وبمساعدة اسلوب مقنع جدا ، يضع كلوديل خمس حجج ، بعد مقدمة تبرز القربى بين كلمتي ولد «naitre» ومعرفة «connaitre» « نحن لا نولد وحيدين ، ولد تعني بالنسبة للجميع ـ عرف . وكل ولادة هي معرفة » ومن هنا تأتي كتابة كلمة معرفة «co – naissance»

---

(١) لفهم هذه الفكرة يجب الانتباه الى كتابة الكلمتين بالفرنسية « المعرب » .

وان تعداد الحجج الموضوعة من كلوديل ، يحدد غرضه ، والتقدم الذي اصبح سيدا فيه .

١) يوجد معرفة خام ، يمكن تكثيف فكرتها كما يلي : كل ما هو موجود يدل « على ما لولاه لا شيء يمكن ان يكون » . بين المادة والروح هذه الحقيقة المشتركة ، تعايش حتمي ، ولهذا السبب فان كل شيء محدد يمكن تحديده ، لا شيء منعزل ، لا شيء فريد .

٢) الكائنات الحية (الانسان اسماها) ايتما كانت تتوالد حتى مع الاشياء المختلفة جدا في الظاهر . مجرد وجودها يحملها على ذلك .

٣) يوجد معرفة فكرية تجعلنا نفهم (تحمل معنا)

لاحظ في الفرنسية . (prendre avec nou—comprendre)[1]

٤) الوعي هو وسيلة ذكائنا وبواسطته وعن طريق سلسلة متتابعة من العمليات الفكرية « علينا ان نعرف ماذا نحن فاعلون ». «ان الله هو الوجود كله » فبدأ وضعه كلوديل بوضوح ، وهو يساعده على اقامة اسلوب من الحياة للوعي

---

(١) الانتباه الى كتابة اللفظتين بالفرنسية « المعرب » .

مستندة الى تعليل ينبثق بدفقات متراصة من التأكيدات ، والمقترحات ، والتشبيهات .

٥) الموت يجب ان لا ينهي المعرفة ، لان هذه لا تكتمل باعتبار الانسان شاهدا دائما على ما هو دائم . وباعتباره غير فان بسبب اتحاد جسد وروح فيه . ففكرة المعرفة قادت كلوديل اذن الى فكرة الخلود .

نرى اذن اننا امام مسيرة معتمدة بنضج . والحاجة التي عند كلوديل في الشهادة لنفسه انه يسير على الطريق المستقيم وانه يعرف الى اين يذهب . والحتمية التي يريدها لتأييد مشاعره كما لو انه منذ ٢٥ كانون الاول سنة ١٨٨٦ حتى سنتي ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤ صمم على قطع طريقه قبل ان يعقله افضل .

انما كان ذلك في الوقت الذي خلاله اخرج الى النور اعماله الادبية الاولى : الترجمة « اغاممنون » « لاشيل » ، وبعض قطع من « معرفة الشرق » وبالاخص : قطع الدراما المجموعة تحت عنوان « الشجرة » (« راس من ذهب » ـ « الفتاة الفيولينية ـ violaine) ـ « المبادلة » ، « مائدة اليوم السابع ») « وقصائد في المنفى » ، « وتطور الكنيسة » . وقد كتب ايضا في باريس ابتداء من سنة ١٩٠٠ « الانشودة ـ الالهة » ما عدا الصفحات الاخيرة التي كتبت

سنة ١٩٠٤ في « فوتشييو » وفي الوقت نفسه وفي « فوتشييو » ايضا كتب « بحث في توالد العالم والذات » .

ويجدر بنا ان نقارب : « الانشودة ـ الالهة » (وخاصة في قسمها الاخير) مع اهتمامات : « الفن الشعري » لان المجمل يظهرعلاقات اكيدةاذ نحس بغليان تفتيش داخلي يريد ان يتجاوز الذكاء الخلاق . انها البرهة التي صمم فيها كلوديل ، بناء على نصيحة معرفه الاب « فيليوم » كاهن « سان ـ ميدارد » الذي تقرب منه في سنة ١٨٩٢ ، على قراءة مجموعتي القديس« توما » اللتين انتهى من استيعابهما في الصين قبل رجوعه الى فرنسا بقليل (١٨٩٩) ، مما قوى ايمانه الديني بالمبادىء التي وضعها ابو « التوماوية » وهو يدرسه مضمونها ، مثل حشرة تخترق الخشب الذي تتغذى منه ، قد اسهم في ابداع داخلي ، قاد فيما بعد جميع نشاطاته . واهمية شروحات « الفن الشعري » تصيب آثار كلوديل الادبية بشكل عام . « فالفن الشعري » هوكما نرى ، اثر شعري ، يظهر في الواقع علاقات حميمة جدا :

آه يا نفسي ! القصيدة ليست مصنوعة من تلك الاحرف التي ازرعها كانها مسامير ، بل من البياض الذي يبقى من الطرس .

كتب في « الالهة » . بينما في مكان آخر ، كتب يصف

الاجنحة الثلاثة في بناء الكنيسة ، ومن هناك القوس القوطي وهو يعتبر هذا الاخير « كجهد من اجل الانفتاح الانفراج » .

هناك كما هنا ، يظهر القسم الذي هو في الشيء المصنوع ، مخصص لما هو ليس اياه . « الابيض الذي يبقى من الطرس » ، شبيه « بالجهد من اجل الانفتاح ، وذلك الجهد ، وذلك الانفراح ، يمثلان كما ، البياض الظاهر فوق الورقة ، السكون الذي يسمح بمساحات من الانتظار بين الكلمات على الورق وبين الحجارة في البناء ، اننا نجد هناك الامنية التي وجدت تعبيرا في « معرفة الزمن » ، من ان الكتاب « يبدأ في الهدوء وفي البياض » لا من اجل توقف لا طائل تحته ، بل من اجل انطلاق جديد . وفي « معرفة الشرق » نجد حالة فكرية مشابهة تجعله يعبر عن ظمئه للنور ، ورغبته فيه ، عندما يعترف انه « داخل تلك الاسطر البيضاء التي تبين تشقق سجنه المغلق » .

منذ ذاك غرق كلوديل في تجربته الفكرية وعاشها بحمية .

ليس هنا مجال مناقشة ولا حتى تقدير الوضع الفلسفي والديني لكلوديل . فهو كما استطعنا ان نلخصه بالاستناد الى كتاباته في « الفن الشعري » ليسمح لنا بان نفهم احسن ، اتجاه اعماله ، لانه هو الذي اعطاها اتجاها .

الحدث الاول ، الحدث الاهم الذي يستحق الذكر ، هو الحاجة الى الحركة ، الى العمل ، هو الحاح الاندفاع الذي ينشطه . « المعرفة هي التوالد » ، مما يتطلب دفعا من عدة اشياء او من عدة كائنات في وقت واحد ، وضرورة ان لا نركد في الجمود بل ان ندخل في مشاركة . اقل عبارة كلوديلية تكشف عن ذلك . ومن بين مائة من الامثلة نذكر في « معرفة الزمن » التعابير الآتية : « طاقة منتجة » ، « اتجاه تحرينا وشكله » « تقدم النور وانكساره » « تمدد قبضة من الكواكب في الحيز » « تلك الجرعة الاولى من الهواء التي صنع الانسان منها نفحته الاولى » . وفي « بحث عن توالد العالم والذات » عبارات مثل هذه : «نجتر البلعة الذكية » « حقيقة : اللون الازرق يعرف اللون البرتقالي ، وحقيقة : اليد تعرف ظلها على الجدار » « البحيرة ترسم البجعة البيضاء المعلقة فيها فوق السماء البيضاوية » « عاطفة الكون المصنوع بحظر الوجود » وهنالك عدد كثير جدير بان يذكر .

(بعيدا عن الاستخفاف باستخدام جدلية خاصة في نصوص تاخذ اتجاه بحث فلسفي ، قريب من الميتافيزيك ، هل نستطيع هنا «ان نلاحظ جهد التبني وسائل فكرية تستخدم للتقرب اكثر من طاقة التشبيه ، وهناك نوع من علم النحو الايجازي ولكن المفعم برموز يبين اكثر من رغبة الشاعر في ان يحقق اثرا ادبيا ، يبين ارادة الرجل المهتم ببلوغ قطاعات

مملوءة بالمكائد والظلمـات . والعبـارة الشعريـة التـي يستعملها ، لا تتناسب ، حسب رأي البعض ، مع العبارة الفلسفية » ولكن هل يجب ان يوجد اسلوب خاص بالمراسلة ، واسلوب وصفي الخ ؟ اليس الاساس اولا ، الفكرة التي تتجه اليها المسيرة عن حسن نية ؟ ثم ، هل يوجد تنافر بين الشاعر والفيلسوف ، اليست مهمة كليهما محاولة النفاذ الى حقيقة العالم ؟)

المبادىء الواردة في « الفن الشعري » تخيم على عمل « كلوديل » الادبي كله ، الذي يوضحها ، ويزينها ، ويمكن اختصارها بتعداد تخطيطي مفيد لفهم فكر الشاعر :

أ) كل كائن او شيء ، حي ليس كذلك الا ضمن ومع الكائنات او الاشياء الحية .

ولهذا السبب فان الشجرة ، بين رموز اخرى ، تحوز على عطف ، الفكرالكلوديلي بمقدار، فهي اولا تمثل نوعا من مادة ما قابلة بسهولة للنظر ، واللمس (الجـذع ، القشرة ، الاغصان ، الاوراق) ، انها تستمد غذاءها من الارض (الغبار ، الحجر ، الماء) بواسطة جذورها ، ومن السماء بالانطلاق الذي تقوم به نحوها ، وبطريقة ما ، انها تتجاوز الفهم البشري لانها تتفوق على الانسان . انها تستعمل مجموعة حواسنا : ليس سمعنا غريبا عنها ، اذ اننا نسمع

انين الريح خلال ذاتها ، ولا الشم ، اذاننانتنشق عبيرها ، ولا الذوق اذ اننا نقدرثمارها ، ولاالنظر ، ولا اللمس ، وهكذا نفهم احسن صورة الشجرة البشرية المكونة من العظام والثمار التي يحدثنا عنها : « راس من ذهب » والذي يثبت لنا ، اكثر من تشبيه ، وجود شبه يسميه كلوديل ، ويريده ويتمسك به :

اشعر به اخيرا وقد استيقظ ، التنفس العميق الاجماعي .

ب) التداخل العام ظاهر للعيان ، والتزامن ثابت .

« تمطر في « لندن » ، وفي « بوميرانيا » بتساقط الثلج ، بينما « الاوروغواي » ليست سوى ورود ، وبينما في « ملبورن » الحرارة تشوي . ويظهر ان ما يوجد لا يستطيع ان يكف ابدا عن ان يوجد . وان كل جزء من الزمن المخصص لترجمة الوجود بالشكل العابر ، كل جزء لتمتعه كما قلنا ، بشكل محسوس وصورته كصورة المرآة ، يتضمن حتمية دائمة ، لا مفر منها » .

ج) التوالد يحتم الحميمية ، والحياة مع وفي داخل ، « الارض تتمسك بالسماء ، والجسد يتمسك بالروح ، والاشياء جميعها التي خلقها معا يتصل بعضها بالبعض الآخر ، وجميعها في وقت واحد ضرورية احدها للآخر » .

لسنا مشاهدين ابدا بل مشاركين .

د) بالنسبة للكائن الحي ، « ان يعرف نفسه ، يعني ان يتوالد ، ان يعد نفسه للتوالد ، ان يولد بنفسه ، ومع نفسه جميع الاشياء التي يعرفها » .

ومن هنا ضرورة الوعي ، اذا كنا نرغب في ان نحقق انفسنا .

ولهذا السبب لم يرد « كلوديل » ان يكتب ما لا يظهر الى الخارج شخصه الخاص ، مكبا على ذكاء الكون ، وسواء اخذنا « الاناشيد الخمسة الكبيرة التي تعبر عن ارادة حازمة في الانضمام الى جوهر الاشياء، عن طريق اعمق التقشفات ، ام اخذنا شكلا آخر من الشعر ، حيث القول ، والاحتفاء ، والتغني تشكل مظاهرا لحالات داخلية لا تتناول الاشياء الا من أجل بلوغ الهدف احسن ، وسواء اتبعنا السبب العام لمختلف المواقف والمقترحات ، ام دخلنا اخيرا في القطع الدرامية او في التعليقات على النصوص المقدمة ، سواء فعلنا كل ذلك يظهر دائما ذلك البحث عن الكائن الكلي الذي يجيب على نداء الكون ، وبتوظيفه قبل كل شيء وعيه الخاص خادما له باستخدامه اياه ؛ يظهر ذلك البحث دائما اكثر فاكثر الحاحا .

هـ) الانسان هو شاهد .

عصا المتنزه .... « تسمح لي بان المس ذلك الطريق حيث

يحملني اندفاع ارادتي ، وان اتلمسه ، وان اعود فاحسن به ، واجده ، واضربه » .

و) الرجل عندما يدرك ان عليه ان يكمل نفسه، يصبح خلاقا ، والشاعر ايضا اكثر من اي شخص آخر .

الجذب الذي يوجهه العالم تجاهه ، والجذب الذي يوجهه هو من جهته الى كل ما هو خارج ذاته ، تلك الحاجة التي تلتهمه، الى المشاركة في الحضور العام ، تثير بنوع من التسرب ، ولادة جديدة لهذا العالم الذي يتحمل اعباء ابوته :

هكذا ، عندما تتكلم ايها الشاعر ، في تعداد

لذيذ ، ذاكرا كل شيء باسمه .

مثل اب ، تناديه باعجوبية في

مبدئه وتبعا للماضي

حيث اشتركت في خلقه ، وتشارك في وجوده

في وسط الجهد الكلوديلي ، نلاحظ فكرة الغزو : غزو يهدف الى المطلق عن طريق الكلام ، الذي يتضمن ، كما هي مهمته ، العمل ، اذ ان كل كلمة كانت قد دخلت في التحرك ، وسبق لها ان اصبحت اذن طاقة .

الشكل وحده للمقطع الذي يتجه ليكون جزءا من الشبكة

المنصوبة كفخ ، يمثل ماديا ، كما يمكننا ان نكتب ـ تلك الحركات التي تتناسب والخطف ، هل ان منظر قصيدة لكلوديل ، لا يوحي لنا صورة ضفيرة من العرائش والحبال ، منصوبة عن قصد ، وسابق تصور ؟

« الحياة كلها ليست كثيرة للقيام بالغزو الروحي لهذا الكون المنفتح من قبل مكتشفي العصر الذي ينتهي ولانضاب الخلق ، ولمعرفة بعض الشيء عما يعني ، واخيرا لمنح بعض الكلمات لذلك الصوت المعذب في أعماق نفسه » .

ان ما يقوله ايضا عن « ريمبو » في مقدمة « المؤلفات الكاملة » يقصد به نفسه هو ، لاننا في بعض الاحيان لا نعبر عن انفسنا الا اذا تحدثنا عن الغير ، وهنا ان ما اراد مؤلف « الفن الشعري » ان يعترف به في شاعر : « فصل في الجحيم » يمكن ، كما نقدر ، ان يطبق على الذي ينسب لهذا الاخير الدافع له في دعوته .

كل ما يعبر عنه كلوديل يميل الى ان ياخذ ، الى التعميق لكي يتملك لنفسه ، وعنفه يؤلف جزءا من نظام جمالي ، واذا كان صحيحا ، كما كان يحلو « لماكس جاكوب » ان يردد ، ان كلمة واحدة من الرجل تسلمه كله ، فنحن نسلم دون عناء ان الاخذ ، وتاكيد القوة ، والاسراع بالخطو الى امام ، كذلك الازدراء للصعود بسرعة وعلى احسن ، تشكل النتائج الاكثر

ملموسية في فنه ، بشكل دائم . وان مبالغاته ، واتهاماته ، وصرخاته ، وحتى شتائمه تبدو كانها بدون فائدة ، وفي بعض الاحيان تعيق المعجب الاكثر صبرا ، الذي يعرف اذا لم تكن وسائل لدى كلوديل لصنع حقيقته .

« مبدع وشاعر »

« اليس من الافضل امتلاك مجموعة الوان بدلا من لون واحد ؟ اليس من الافضل الاشتراك في تخت موسيقي بدلا من النفخ وحيدا في زمارة بصل ؟ »

(محادثات في « اللوار ــ اي ــ شير »)

« لنعد الى اسئلتنا المضجرة عن صناعة الشعر ، بعدما جعلنا فكر قارئنا يقوم بتينك الدورتين او الثلاث دورات ، ربما كان يعرف احسن اين هو » .

(مواقف ومقترحات ــ ١ ــ)

لنحذر الخطأ في الاعتقاد ان طريقة الكتابة لدى « كلوديل » كانت عرضية ، ففي العبارة الشعرية كما في النثر (وفي الدراما ايضا بداهة) ، نجد فنه نتيجة تفكير عقلي مجرد موافقة . ونستطيع ان نتصور بدون عناء ان الاستعداد المسبق لطبيعته كان يحمله على ان لا يقبل القالب الذي لكل الناس . الصفة التي بها يختلف انسان عن آخر كانت ظاهره

عنده بعلامة التشبث والعناد ، اعني بارادة ، اي بهدف مرسوم لاعمال فكره العقلية،والاتجاه نحـوه بنـوع من الهيجان لاتمامه . الامانة نحو نفسه ، هي الجزء المطلوب من ذكائه،اما التعاون بين كائنه الجسدي ، ونشاطه الفكري ، فهو الجزء من استعداد طبيعي . في الحقيقة ، ان الميول لدى شخص ما ، التي تنطبق على اشياء عامة جدا ، وعامة جدا (ولنسمها يومية ، كالحياة العاديـة مثـلا) والخيـال ، والرغبة ، كان يجب ، تبعا للمواهب الخاصة لكلوديل ، ان تحمله على ادراك مجموعة وجوده المادي والمعنوي ، الجسدي والفكري .

الرغبة في الايضاح، هي احـدى خصـائص الفـكر الكلوديلي . وقد اعد لها تاثره « بمالارميه » و « ريمبو » احدهما يحاول تصفية الاشياء المعتبرة ككائنات تتمتع بموهبة الحياة ، وبصعوبات بينة ، والآخر (لنضع جانبا التاثير الديني ولنتوجه هنا بكلمة عرفان جميل لريمبو ») يحمل له ينابيع استخدام جديد للكلام .

كان « كلوديل » يصغـي ، منتصبـا كالجـدار امـام مخاطبه ــ سواء كان استاذه للفلسفة « بوردو »(Burdeau) او « جاك ريفيير » ، كلوديل الذي يقولون عنه : متوتر ، عنيد ، ويؤلف جزءا لا يتجزأ من البكم ، كان في الواقع يأخذ نقطة ارتكازصلبة . اننا اذا قراناه ، وجدناه حساسا

للشكل السريع والفوري الذي بواسطته يعالج موضوعه واول حركة يقوم بها هي ان يؤكد . ولكن بدلا من ان يكون ذلك التاكيد الاصلي ترجمة مزاج ، فهو بالاحرى اتخاذ وضع يكشف صفاءه تتابع النص ، والقصيدة او النثر ، حتى ولو لم يكن سوى مقالة صحفية .

وبينما آخرون يستخدمون تجربتهم للعرض ، قبل الاستنتاج ، يفضل كلوديل ان يؤكد استنتاجه قبل ان يسهب في الشرح ، وهو لا يحتفظ للمرحلة الاخيرة من القصيدة بصدمة فكرة ، مضروبة جيدا ، ومفصلة بعناية تكاد تكون عدوانية ، ولا يرسل بضرية بوق او بخافضة صوت ، نغما يحدد المدى الديناميكي للاثر الادبي (هكذا « هوغو » او « بودلير » ، ولا نذكر « البارناسيين » هنا) ، انه يصل ، ويبدأ تحليقه بقوة الثقة ، وعندما يعود الى الارض بعد ارتفاع لا يترك فيه شيء للصدفة ، وينفى منه كل ما لا يفيد ، فان علما متعمقا بقيم الاسلوب يسمح له بالاقتراب من ذلك الشعور الذي لا يوصف بالاسرار الشعرية التي لا يمكن الا افتضاضها اذا ما حاولنا دراستها .

وايضا ، وبدون ان نتوقف عند ما يستطيع كل واحد ان يعرفه او يشعر به ، لن ناخذ كمثل مضاعف سوى واحد من الاناشيد الخمسة الكبيرة ، والنص النثري : شجرة السرو .

هوذا اذن النشيد الاول :

آلهات الوحـــي التســـع ، وفي الوســـط تيربسيـــكور !
Terpsichore.

في بادىء الامر عبارة تعجب وانبثاق ضوء من خلاله تنطلق صورة تيربسيكور التي كانت الاولى ، المفضلة بسبب موافقة سرية مع الفكر .

ومنذ دخول الشاعر الى داخل جماعة آلهات الوحي التسع فان التي تظهر هي تلك التي كلها حركة ما يشكل اشارة لها وزنها :

« تيربسيكور يا موجدة الرقص ! اين ستكون فرقـة الموسيقى

دون الرقص ؟ اية واحدة اخرى ستاسر

الاخوات الثماني المتوحشات مجتمعات ، لقطاف

النشيد المتفجر ، مبدع الصورة المبهمة ؟ »

وهكذا فان الشاعر فور ان يبني بدون كلمات غير مفيدة نص النشيد ، يدرك بحيوية موضوعه ، ويفاجئنا بوضحه في ضوء كامل . وعندما يتم شرحه ، يستخدم لهجة اقل بريقا ، مستندة الى رقة اقل ، تحمل كل تـأمل السنوات الاربع

الفاصلة مطلع القصيدة عن نهايتها ، وعندئذ تظهر « ايراتو » (Erato) ، ولكنه لا يعتبر هذه الالهة كممثلة ، بل يعتبرها كشخصية حية ، تنادي وتجيب ، وماخوذة كليا بحدث اكتشافها عالما تجتاحه ، وينهي قصيدته بهذه الكلمات :

« جواب في عينيك ! جواب وسؤال في عينيك »

وحيث آخرون ، وحيث الجميع يمكن ان يستغلوا الشريان الاسطوري المد بالتضمينات ، والتناغمات العالية من البريق والذهب ، يستخدم كلوديل ذلك التلاقي مع موضوع آلهات الوحي ، لكي يحتفي اكيدا ، بخلود رموزهن ، ولكن فضلا عن ذلك لكي يجابههن بالكون الذي يشعر انه متأصل فيه ، غير منفصل عنه ، ولكن اذا لم تكن اية ضربة صنج تصيب النشيد الذي يكتمل ، فلنتصور على الاقل ذلك الانتظار . وذلك الامتلاك اللذين كانت « ايراتو » المتقلصة الى دور عارض ثانوي ، رمزا لهما . ان القصيدة ، هي ، لا تموت مع المقاطع الاخيرة ، لان في البياض الذي تتركه وراءها ينتصب العالم باكمله ، والحقيقة الخصبة لوجوده .

في شجرة السرو ، يوجد التاكيد ، المحسوس جدا دائما ، الذي يشكل لنا مدخلا .

« الشجرة وحدها ، في الطبيعة ، لسبب تيبيفيكي ، تقف عامودية مثل الرجل » .

عرض حقيقي يمكن ان يحتوي بايجاز قوة التشبيه ، او اذا اعتبرنا انه يحتوي على الطرف الاول منه ، فان الاثنين الباقيين سيستنتجان فورا . اذن ، انه تشابه الشجرة بشكل عام مع الرجل ، وشجرة سرو من اليابان بشكل خاص ، هو الذي يثير انتباه الشاعر . اننا ننفذ الى الحجج المعروضة بوضوح ، متخذة كاساس الجسم والجذع ، ومن ثم تاتي مسألة الاوراق ، والصفة الخاصة للشجرة المسماة سروا مرسومة بدقة في الفقرة الاخيرة من النص ، لتتيح لنا مناسبة الاشتراك في علاقة مطاطية تفتح المجال الخصب لتصورات اخرى .

فاذا تابعنا التجربة حول نصوص شعرية جديدة لكلوديل ، توصلنا الى ان نسند استنتاجنا فيها على ارادة تركيب قاسية جدا الى درجة انها تساوي ارادة العالم الذي يضع بحثا طبيعيا لان ذلك الدفق من الفكر التحليلي ينطلق في الواقع من ارادة . وفي هذا تكمن طريقته .

ننفذ باجتهاد اكبر الى بحث شاعرية كلوديل ، فنستنتج انه اذا كان غالبا ما ينطلق من القمة ليصل الى القاعدة ، الى قاعدة ما ، فذلك لان هذه الاخيرة كانت موجودة سابقا ، ربما غير مرئية بالنسبة للبعض ، ولكنها اكيدة بالنسبة اليه .

هو يسلم مرة واحدة ونهائية ، بتلك الفكرة عن الكونية

الفضائية ، وبالحاجة المتبادلة لعناصرها ، ثم يميـل الى تفسيرها لانه وهو يمتلك نوعا من الشعور بالعالم ، يتوق الى اكتشاف فضيلته في كايته الديناميكية . ولهذا السبب مثل « بودلير » « وريمبو » يتناول المظاهر ، جاعلا فيها نشاط وعيه الباطن ، وبابداعها من جديد في اسلوب تظهر فيه الكلمات ، كائنات عاقلة . وفوق ذلك ، وحتى لو تنـاول مواضيع تبدو خارجية (مثل : ترنيمة عيد الغطاس ، ترنيمة القربان المقدس ، انشودة الرون ، مقدمة القداس ، درب الصليب ، اناشيد ، تفكير في البحر ، الارض مرئية من البحر) فهو يختصرها الى عبارة ينسبها اليها ، عن تبـصر ويضع نفسه هو شخصيا فيها ، وهذه العبارة تحمل افضل من دفقة ، تحمل تاكيدا لفرديته الخاصة . فكلوديل المنشغل في وقت معا باللمس والامتصاص المؤكد والواثق والمليء بالرغبة في الاتصال ، فاتحا ايضا ومتحمسا ، كما نجده في اقل كتاباته . من « راس من ذهب » الى « وجوه مشرقة » وهو آخر مؤلفات الشاعر المنشورة ، رجل يتكلم ، واحسن ، يجعل النـاس يسمعونه ، واذا كان يدعو الى هزة دستور ايمان الاشياء المنظورة وغير المنظورة ، فهو يعبر عن حاجته الى وسمها بكلامه وعواطفه ، « وادخاله ، في مؤلفاته حيث يتميز الجسد بكامله عن التقليد ... شخصانية غنائية لا يمكن الاطلاع عليها . كما اكد « هنري ماسي » (احـكام ٢) يعنـي

الاصطياد بدون تبصر . فالناقد يقــر بوجــود الغنائيــة الكلوديلية ، او انه ينفيها ، ففي الحالة الاولى كان يعتقد ضمنيا ان الشكل لم يكن عائقا في سبيل ما يريد ايصاله ، وفي الحالة الثانية يرتكب على الاقل خطأ في النظر ، اذ لو استطعنا ان نميز في أثر ادبي « جسدا كاملا تقريبا » فذلك يكون لأن هذا الاخير منظور .

وصحيح ان « ماسي » قد اكد منذ ذاك ان احكامــه الموسومة كليا بالكتلكة والتوماوية والتي تريد الظهور ، خاطئة بعض الاحيان . وبما انها صادرة عن رجل يمتهن الفكر ، فان هذا يحمل على الاسف وحتى انه يستحق الادانة ، الا انه يعكس كفاية المعارضة الجمالية لكلوديل وقسم من الجمهور الذي يستحق ان نتحدث عنه بكلمة عابرة .

كلوديل بصفته رسولا من رسل الايمان الكاثوليكي يعتبر من انصار النظام ، والتقاليــد ، والسلطــة والملكيــة ، واللياقة ، والاتفاقات . ومؤلفاته جميعها تشهــد على ذلك الموقف .

فكيف حدث ان تلك المؤلفات (المستندة الى ائمة جوهر الدين او ما هو جانب الدين) تبدو في بعض الاحيان مغلقة تحت تاثير تيار الرموز ، وانتشار التشبيهات ، وتبدو بمظهر

خال من الحزم الثابت ، كي لا نستعمل بالنسبة اليها عبارة : الفوضى ؟

تحت هذا التساؤل المتضمن تحفظا ، يرتسم خلاف ، يبدو ان كلوديل كان مناسبة لقيامه ، اكثر مما كان القائم به . وهو ما لاحظه « راموز » «Ramuz» عندما استجوب من قبل « فريدريك لوفيفر »(Fréderic Lefèvre) اذ اشار الى الخلاف الناشب من عصر الى عصر بين « الادب الكتابي ، وادب البديهة ، بين الادب الذي يخضع تماما للقواعد ، والادب الذي لا يريد ان يخضع الا للقانون » . وكلوديل لم يكن يخضع الا للقانون

وباكثر دقة ، فان كثيرين من خصوم كلوديل ذوو اسماء محترفة ، وليسوا دائما من انصار الادب الكتابي ، هل يمكن الحديث عن خلاف قديم ودائما محتدم بين القدامى والمحدثين ، او ايضا ، ولتجنب مثل تلك التعابير التي ربما اعتبرها المتخاصمون جارحة ، هل يمكننا التحدث عن انصار للنظام الادبي القائم وانصار التطور . لقد برز ضد كلوديل في فرنسا خصوم لهم شانهم : « بيار لاسير » و « هنري ماسي » و « فرنسوا بورشيه » و « رينه جوهانيه » (وقد عدل فيما بعد موقفه) ، وجماعة من الجزويت امثال : الاب « دي تونكيديك » والاب « مونتاندون » والاب « دي فرين » ، يضاف الى هؤلاء جميعا عدد لم يعرفوا الا بشكل خاص ، او

عابر ،كالشاعر النبيل الكلاسيكي التقليدي ، « فرانسوا ـ بول الييير » الذي سمى كلوديل : « حيوانه الاسود » وهذا صحيح لانه اصطدم ببعض التشبثات اللغوية ، او العنف الزائد ، لكنه لم ينكر عليه عظمته .

« طرافة فاقعة، بلا اساس وبلا مادة » (رينيه جوهانيت » الرسائل اول ايار ١٩٢١) ؛ « تراكيبه الشعرية ... مفعمة بالغرائب » (بيار لاسير ، كنائس ادبية) ، من الظاهر ان تلك الاتهامات تتطلب محاولة تقويمها اذا لم يكف قبولها بصمت .

نجد انفسنا امام خلاف حول الشكل ، وسنرى ان كلوديل يشترك فيه (راجع ، « افكار ومقترحات حول الشعر الفرنسي : في الكتاب المسمى : « مواقف ومقترحات ـ ١ ـ) ، زاعما انه ينقل الخلاف الى مناطق اقل ابتذالا .

في بادىء الامر يقدر الشاعر اهمية قلبنا ، العضلة التي تضخ الدم ، والميزان الذي ينظم في داخلنا تتابع الاوقات الضعيفة والقوية،الركيزة الاساسية،المادة الرنانة (الهواء الذي تتنفسه رئتانا) التي تتيح لنا ، تنظيم اطلاق الكلمات .

في الابيات الشعرية ، حتى المسماة حرة ، (اناشيد ، انبياء بيندار ، التخت اليوناني ، الابيات البيضاء لشكسبير) ، نستطيع ان نتميز ترجمة للتناغم المركب الذي

يساند رأينا . لقد ساد لمدة طويلة « القياس المتري المنظم » مطبقا على عدد دقيق من المقاطع والاجزاء ، ان مثل هذا الترتيب يقود بعض الاحيان الى الرتابة ، والتشابه ، وفي اثناء العصور الكلاسيكيـة (يلاحظ كلوديل) كان ذلك المظهر الخارجي للنثر الكلاسيكي الفرنسي ، يستجيـب « لبعض الخطوط الاساسية لنفسية شعبنا ، ما دام البيت الشعري ليس بعد كل شيء الا تنميق اللغة ، والتعبير عن موقفنا الموسيقي » .

توازن ، قياس ، تحليل ، وصف ، تواز ، تشكل العبارات الرئيسة ، التي يمكن ان نصف بها النتاج الشعري للعصر الذي ولد فيه كلوديل ، والتي رغم ريح الرومانطيقية ادت بشكل عام الى الجفاف المجسد الذي يختصره مؤلف الاناشيد الخمسة الكبيرة بما يلي : « رباعية او خماسية » ليكونت دي ليل » « سونيتة » (اربع عشرية) « هيريديا » ، « كوبيه » (اثنتا عشرية) موشـح ، قطعـة » . ونعـرف جهـود « مالارميه » للتخلص منها

الشاعر المتشبع بالنقد يرفس برجله الوزن الذي يعتبره على الشكل المتبع ، منيعا لافظع الحواجز ، مثلا الابتذال الذي يؤدي اليه جمع بعض الاوزان الرنانة التي افرغها الاستخدام الطويل من طعمها ، او بعض القوافي اللغوية

مثل : (اي ، اين ، او ، اون .... الخ) ، مما ليس مفيدا . لتزيين « جلده » العبارة .

انه لا يدين ، الوزن بدون استئناف ، بل يترك له امكانية البقاء ، بشكل حادث ، « كعنصر مغامرة وغرابــة » . في الواقع ، انه يبتسم له ويحتقره ، وبرايه ، يجب ان لا يكون الزاميا في البيت الشعري ، او يشكل المستند الوحيــد ، والموسيقى المنتظرة ، بل يجب ان يكون مثل ضوء المنارة ، يلمع على طرف رأس ويرد على ضوء منارة رأس آخر . ويوصي ايضا بالغائه من الدراما ، والقصيدة الكبرى الغنائية كي لا يضر ابدا بالشعور الذي يسيطر على كل شيء .

غير ان كلوديل لا يقوم بمشروع عقيم من الهدم ، فاذا كان يرفس ، فهو يفعل ذلك في الزجاج ، في السياج ، في الجدران انه لا يهاجم البناء الشعري نفسه .انه يريدان يجد من جديد، ان يأسر ، ان يثبت (مثل الكيمائي) الشعر . ولهذا السبب يمدح عطاء اللغة المحـكية، الحرة ، المنطلقة ، النشيطة ، ولكنه يطلب منها « تماسكا »-« وترتيبا داخليا». انه يرغب في بلوغ موسيقى لا تقيم ــ بل تنطلق ولا تقنع ابدا باية نقطة وصلت اليها عن قصد ، يرغب في جعلنا نشارك في حلم له خصائص الغذاء ، كل موسيقى ، او حلم ، يجب ان يستند الى « شيء محسوس وغير ممكن الوجود في وقت معا ، مثل القلب » .

هل ان المحاولة الكلوديلية كانت فاضحة الى تلك الدرجة ؟ انها تزعم قطع العلاقة مع التقليد ، ذلك صحيح . انها تدين قسما من نتاج آخر الكتاب الكلاسيكيين ، وتتهم تقريبا جميع الشعراء الامناء للشعر الفرنسي القديـم ، وللملاحظـات والقواعد الموضوعة من قبل « بوالو » .

ولكن رغم لهجة المتأمل المذوبة في نوع من السخرية الباردة التي تسمح بالردوتجرح،فان كلوديل يضيء قابوسه اكثرمما يشعل حريقه . ويعد حملته على الوزن يعلن مستنتجا : « على الاقل ، تلك فكرة اقترحها » . وبنتيجـة تحقيـق ادبـي (« ساعة مع ») يخفف لهجته ايضا فيقول : « عن النثر ، عن الشعر ، عن الوزن الخ ... لي افكاري التي اظنها جيدة لاني فكرت بنضج في تلك المسائل جميعها ، ولكنها أخيرا ، ليست من الاشياء المصنوعة من فولاذ مذوب بل هي على الارجح مواضيع للمناقشة الاخوية ، وليست تاكيدات جامدة وباتة » .

غير ان ما قيل قد قيل ، وكتب ايضا ، فهو في الحقيقة قد هاجم بقساوة القياس والوزن ، والضغط الذي تعرض له شخصية معروفة مثل بول « فاليري » ــ ومثله كثيرون ــ عندما حاول بوعي يستحق الاعجاب ، تحرير دفق وحيه وتقويته . التقيد ليس الاساس في شعرنا ، شعرنا الحقيقي ،

ولكنه يعني عنصرا من عناصره : كل شاعر خضع له دون ان يخيب ظنه في النجاح .

ينفجر كلوديل ضاحكا ويؤكد مازحا : « يرد بان التقيد بالقواعد الشعرية لم يتناول شاعرا حقيقيا ، مثل قانـون العقوبات الذي عكر فقط صفو المسيئين ....انه رد «جميل رائع ! » لكن لا باس ، ان تقييدات « بودلـير » ليسـت مضحكة ، وكذلك الواردة في « المركب الثمـل » ، وكذلك تعقيدات « فيرلين » في « الفن الشعري » ، او قصائد من امثال : « الحكمة » او « الكريمين اموريس » الغريبة او « بعد ظهر حيوان » او « المقبرة البحرية » ، وفي نشيد مثل : « تسبيحة البتول » هي موجودة مختلفة ولكنها حقيقية ، انها تعمل في نطاق وعلى مستوى ضيقين جدا رغم ان مسألة العدد هنا ليست من صفات نثرنا الكلاسيكي ، وان الوزن غائب عنه ..

بدون التقيد ، فان قصيدة تسبيحة البتول شأنها في ذلك شأن كل قصيدة كبيرة ، لا تستحق ان تعتبر رائعة ، ويمكننا ان نضيف :ولا تلاقي النجاح لا في الاسلوب ،ولا العدد ،ولا الوزن والفكرة .

* * * * *

عندما يصف كـلوديل البيت الشعري بهذا الوصف « قبل

كل شيء ، رنة ذكية ودائمة » فان هذا الوصف يمكن ان يطبق على البيت الكلاسيكي في شكله ، بقدر ما يطبق على البيت او يسمونه « الفيرسيه » Verset ، الكلوديلي .

صحيح ان ــ الاليكساندرين *Alexandrin* ــ مثال البيت الكلاسيكي ــ يمكن ان يمثل بالنسبة لكثير من العيون والآذان خليطا غريبا من المقاطع ، غير ان الاجيال التي استخدمته قبلنا ، قد اوجدت نوعا من التقليد يجعلنا نجد انفسنا بدون جهد ، وبشكل الزامي مقادين اليه . ومن خلال انتاج غير ثابت حيث تلمع هنا وهناك بعض الطرائف، نجدبعض أحسن اشكاله ممثلة في : « رونسار » و «دوبيليي» و « كورنيل » و « راسين» و « لافونتين » و « اندره شينيه » و « لا مرتين » و « فينيي » و « نيرفال » ونوعا ما « هوغو » (ليس هوغو صاحب اسطورة الاجيال ، ولا العقوبات) و « بودلير » و « ريمبو » و « مالارميه » وغيرهم .

غير ان كلوديل يؤيد نوعا كلوديل : فهو نفسه لم ينجح كثيرا في الشعر الكلاسيكي ، سواء في بدء حياته الادبيــة في الرسائل ، حيث يظهر بوضوح « تأثره بمالارميه » ام في المؤلفات التي كتبها منذ بضع سنوات . ليس فيها سوى مجموعة صغيرة من « اثريات الرفوف ، ومواضيع رقاص الساعة ، وذكريات من « دياب » Dieppe ، واكيــاس من

الموسيقى ، وما تحت مصباح ، وبطاقات شفافة ، وبيوض خشبية،ظهرت دائما في ادبنا بغزارة تسرالقلوب » . غير ان كلوديل ، السيد كلوديل ، صاحب الاناشيد الخمسة الكبيرة ، والنغم ذي الاصوات الثلاثة حرمنا منها بدون ضرر ، رغم ان لا شيء يقع من ريشته يكون موضع اهمال . ولكن ، تلك الموسيقى اللحنية !

من « تقدير لمالارميه » مع هذا البيت :

حارس لذهب ثابت حيث العواء الغامض يشتم

ومن « ابيات في المنفى » :

هوذا الساعة المحرقة ، والليل المضجر !.

هوذا القدم ، هوذا التوقف ، والتعليق .

« ماخوذا بالرعب ،هوذا من جديد اسمع

النداء القاسي الصادر عن صوت رائع .»

وتسليات مثل :

ايها القلب الضائع

اين انت ؟

انا اناديها

هي تثغو

ايتها السيدة

نفسي المسكينة .

(وجوه مشرقة)

لا شيء يمكن ايقافه طويلاعندما تسمو ايضا عبارة غنائية وترفعنا معها في انطلاقها مثلا :

« وتحت الموسيقى في الوسط المشع ذهب وقنب والسجادة الكبيرة مع ذلك العرض من المحتفلين بالقداس ذهب وقماش حتى المذبح » .

(وجوه مشعة)

وهذه الاخيرة حديثة لانها كتبت وارخت في برانغ ١٩٤٢ ابيات تطبيقية ، او ابيات مناسبات ، او انسكاب الذات ، مهما كان المدى الذي عينه لها مؤلفها ، تؤكد فقط الاستحالة التي كان فيها رجل مثل كلوديل ، بحيث كان يستحيل عليه ان يستخرج منها ما يكفي من التناغم ، والنار ، والعدد ، والتعبير الا اذا قلص قسما من طاقته الغنائية ، وخنق لباب فضائله التأثرية ، اي ان لا يبقى كلوديل .

انما كلوديل لا يلوم الشعر التقليدي الا من حيث اطاره ، شكله ، متطلباته الضيقة ، وشكله المشدود ، وامتيازاته ، وبالاجمال حصانته في عالم حديث استطاع خلال خمسين سنة

ان يبلغ من التقدم بقدر ما بلغه في خمسة اجيال . انه يثير مسألة الوزن .

التفكير ليس مستمرا (كذلك الحياة) ، انه يتغـذى « بالومضات » « وبالهزات » « وبمجموعة غير متماسكة من الافكار،والصور،والذكريات ، والمبادىء ، والمفاهيم » ، انه يتمدد ويتقلص « قبل ان يتحقق الفكر في حالة الوعي ، في عمل جديد » . بين الافكار ، وبين الاعمال ، يظهر البياض ، الانقطاع . فالعنصر الاصلي ، الاولي للغة هو اذن نتاج روحي يبدو منعزلا . وذاك ما اراد كلوديل ان يدركه لكي ينقله بنصه وفصه ، إلى الصفحة حيث يجب ان يساهم بجوهر اثر ادبي كامل . العبقرية الخيالية « لريمبو » ، العبقرية التعليمية في الادب بمالارميسه» تلتقيان في المصير ، الذي رفع كلوديل من قيمته ، ذلك انه بواسطة الكلام ، وبواسطة تعبيره التشبيهي بالدرجة الاولى اعاد انتاج « توتر الفكرةوحركتها » . ولكن رب معترض يقول : هل تتكلم عن الشعر ام عن النثر ، فاجيب متحدثا عن « انيموس وانيما » .

« كل شيء لا يسير جيدا في منزل « انيموس » و « انيما»، « الفكر والروح ، الوقت بعيد ، ومنذ قليل انتهى شهـر العسل ! الذي كان يحق « لانيما » فيه ان تتحدث كما يحلو لها . وكان « انيموس » يصغي اليها باعجاب . وبعد كل شيء ، اليست « انيما » هي التي جاءت بالبائنة التي تقوم

باود الاسرة ؟ غير ان « انيموس » لم يترك نفسه لمدة طويلة متقلصا الى ذاك الوضع التبعي ، وحالا كشف عن طبيعته الحقيقية ، المتكبرة ، المتحذلقة ، المستبدة . انيما كانت جاهلة وحمقاء ، لم تدخل المدرسة اطلاقا ، بينما « انيموس » يعرف كومة من الاشياء ، وقد قرأ كومة من الاشياء في الكتب . وتعلم ان يتكلم وهو يضع حصاة صغيرة في فمه ، فهو الآن عندما يتكلم انما يفعل جيدا الى درجة ان اصدقاءه جميعهم يقولون ان ليس بامكان احد ان يتكلم افضل مما يفعل هو . لا ينتهون من الاصغاء اليه . الآن « انيما » لا تملك حق ان تفوه بكلمة واحدة ، انه ينتزع كما يقولون ، الكلام من فمها . انه يعرف احسن منها ما تزمع ان تقول ، وبالاستناد الى آرائه وتذكراته يحتوي كل ذلك ويرتبه بشكل جيد الى درجة ان البسيطة المسكينة لا تعرف شيئا في ذلك . « اينموس » ليس امينا ولكن هذا لا يمنعه من ان يكون غيورا ، لانه في العمق يعرف جيدا ان « انيما » تملك الثروة كلها ، اما هو فهو معدم ولا يعيش الا مما تمنحه له ، وهو لا يكف عن استغلالها ، وتعذيبها ليستل منها الدراهم ، ينخزها لكي يجعلها تصرخ ، وينسج احابيل ، ويخترع اشياء لكي يلحق بها الاذى ، ولكي يرى ماذا تقول . فاذا جاء المساء يقص كل ذلك على اصدقائه ، في المقهى ، وفي اثناء ذلك الوقت تبقى هي صامتة في البيت ، تقوم باعمال المطبخ والتنظيف ، بقدر ما تستطيع بعد تلك الاجتماعات الادبية

التي تنشر القيء والتبغ . وعدا ذلك (بشكل استثنائي) فان انيموس في اعماقه بورجوازي ، لديه عادات منتظمة ، يحب ان يقدموا له دائما المآكل نفسها . انما حصل شيء مستغرب . ففي ذات يوم ، بينما كان « انيموس » يعود خفية ، او يمكن ان يكون حدث عندما اغفى بعد الغداء ، او ربما عندما كان ماخوذا بعمله ، سمع « انيما » تغني وهي وحيدة ، وراء الباب المقفل ، اغنية تسترعي الانتباه ، شيئا لا يعرفه ، لا سبيل لايجاد الالحان او الكلمات او المفتاح . اغنية غريبة ورائعة ، ومنذ ذلك الحين ، حاول وبخبث ان يجعلها تعيد غناءهـا ، غير ان « انيما » تظاهرت كانها لا تفهم ، كانت تصمت حين ينظر اليها ، النفس تسكت حالما الفكر ينظر اليها . عندئذ وجد « انيموس » حيلة : رتب اموره بحيث تظن انه ليس موجودا . ذهب الى الخارج ، وتحدث بصوت مرتفع مع اصدقائه ، وصفر ، وضرب على العود ، ونشر اخشابا ، وغنى اغنيات حمقاء ، شيئا فشيئـا اطمأنـت « انيما » ونظرت واصغت ، وتنفست ، وظنت نفسها وحيدة ، وبدون ضجة ذهبت تفتح الباب لحبيبها الالهي ، غير ان عيني « انيموس » كانتا كما يقولون ــ في قفا رأسه .

مثال « انيما » « وانيموس » لافهام بعض قصائد « ارتور ريمبو » (مواقف واقتراحات). « لانيموس » جسد ، وهو جسماني عنيف ، قلبه يعيش ، ويعيش بقوة . انيمـوس

يتنفس برئتيه جميعا . وبنغمته يبني . « انيموس » يعرف وهو الذي اعد الادوات ، والمعدات . انيموس ، قرأ ، وعاشر وسكن التوراة . وسار متنزها من « هامبورغ » الى « بوسطن » ومن « فوتشييو » الى براغ مرورا « بنيويورك » « وطوكيو » « وريودي جانيرو » واماكن اخرى . وفكر . ووازن ، ووزن ، ووافق ، وقبل — هو الذي فتح « الفوغ » يوما حيث ظهرت « الاضواء للشاب « ريمبو » : اما « انيما » فهي التي عملت الباقي . انيما ضعيفة ، غير مرئية تقريبا من العيون البشرية ، « انيما » او العطاء ، « انيما » او سر الشعر . « انيموس » « انيما » .

خفقة القلب ، والنغمة المستعجلة سمحا لقطعة كلوديل الادبية « الفرسية » ان تنبثق اذ ان « الفرسيه » تلك تشكل اسهاما من الشعر في الحياة بما فيها من عفوية : ونبض القلب والحركة التنفسية محتويات في اللغة ، او اذا شئنا ان اللغة التي هي أبعد من ان تشكل وحدها عنصرا حيويا ، تصبح كذلك لانها تستند الى الوسائل المقدمة من الجسد . يوجد من طرف الشاعر محاولة للتعبير عن الانسان كما هو ، عن طريق التعمق في مادته الطبيعية وفي بعض الاحيان بيان التناقض النائم في ذاتنا بين الجسد والروح ، الذي يمزقنا ابدا .

اهمية الجسد بالنسبة « لكلوديل » تبلغ حدا نجد معه في

احد مؤلفاته التأكيد الآتي :

« الجسد صنيعة النفس ، انه اداتها العملية ، انه تعبيرها وامتدادها في ميدان المادة ... وهكذا فان الوسيلة الجيدة لمعرفة النفس تكون في ملاحظة الجسد ، وانطلاقا من اجهزتنا الخارجية ، ومن التصور والفهم تستنتج العملاء الداخليين الذين تستخدمهم تلك الاجهزة بعدما تكون قد كونتهم » .

« حضور ونبوءة »

الدفعة قد اعطيت : فالكلام ينطلق الى العمل . انه يسير ، والتأثر يزيد من تدفق الدم ، وحالا تتنشط النفحة ، وتتلاحق الكلمات ، وتمشي ، وترحل من جديد ، وتتوقف ، وتنطلق من جديد ، وتتسلق ، وتصل ، وتتوقف تبعا للنغم الانساني الذي تتغذى منه. الاجزاء تتلاقى في التنقيط ، والتوقفات في البياض الواسع الذي ينحفر فجأة ويظهر انكسار النغمة المستعادة ، لا استقامة في خط التطور « والفيرسه » تولد ، وتسمو ، وتنخفض تبعا للعبـة الفيزيولوجية . اسلوب « كلوديـل » الغنائي مخصص للصوت ويمكن ان يعتبر من نوع الاسلوب الشفهي البدائي حيث التوازن ، والتوازي يشـيران الى الاختلاجات المادية والتنفسية التي تظهر شهيقا وزفيرا (لكي نذكر ذلك التتابع المنتظم الذي حافظ الشاعر في بعض الاحـيان على سجعه وفي احيان اقل على القافية التي لا تشكل

رغم ذلك عبئا) . ومن الوجهة الطباعية ان البيت الشعري الكلوديلي ، اذ هنالك بيت شعر كلوديلي ، يمكن ان لا يحقق ما يريد ان يعبر عنه الكلام . اي في الحالة التي تفرض فيها الفكرة نفسها على فكر الشاعر وحيث هي اقوى وأثقل لا تنجح في ان توفق الحركة الفيزيولوجية معها . حينئذ « انيما » الغير الراضية عن مثل ذلك الخلاف ، تفضل الابتعاد ، ويكون لدينا في منتصف المرحلة مادة محملة فجأة بالاشياء المبتذلة ــ جزر من الرمل في وسط النهر .

في اي مقياس ، ولماذا يتم الحصول على الوزن الكامل او لا يتم ؟ من الصعب تحديد ذلك . ان « صانع » الابيات الكلاسيكية يستخدم ميزانه الذي ليس قلبه او نفحته بل هو عبارة عن علبة اوتوماتيكية . وتلك القضية لا يمكن ان تحل عند كلوديل بآلة بديلة ، لانه يدرك في شخصه الوسائل التي بواسطتها يزيد من غزارة ينابيع لغته . انه يؤمن بالأوقات القوية والاوقات الضعيفة لانه يؤمن بجسده ، ويثبت ذلك ، فلنشاهده يدرس خصائص نثر « باسكال » و « بوسويه » و « ريمبو » وجملة « فلوبير » (آراء ومقترحات عن الشعر الفرنسي) ، او افضل ، لنفتح قصائده .

في نشيد : « الفكر والماء » نجد مقطعا كالتالي قمينا للوهلة الاولى باثارة الاعجاب :

لا
البحري ، ولا
السمكة التي سمكة اخرى للاكل
تجرها ، لكن الشيء نفسه ، والبرميل كله
والشريان الحي
وحتى الماء ، وحتى العنصر ، انا العب ، انا اتألق
انا اشاطر حرية البحر الكلي الوجود .
الماء
دائما يأتي ليجد من جديد الماء .

التقسيم العباري لا يعتبر حجر عثرة ، فابراز الحروف الاولى يتيح لنا ان نعزل ، كملاحظة اوردت بفرض النداء ، حدثا يدعونا الشاعر الى الانتباه اليه . سيقال بعد هذا التوضيح ، ان الصوت بحاجة الى تعليق الخطاب لكنه يعود فيستمر فيه ، وفور ان يعبر عن الموضوع الذي يعنيه فذلك لكي يتردد امام وجوده وثم في اندفاع يتوطد الكلام ويكتسب وزنــا اكثر تــاكيدا ويستمــر(لكن حتى الشيء ، والبرميل كله والشريان الحي) توقف جديد ايضا قبل بلوغ الماء (احد احب الرموز للشاعر) الذي يرغب في التأكيد عليه ، ولكنه لا يستطيع ذلك الا بعد جهد آخر من التنفس الذي يزفره من اعمق اعماق ذاته (وحتى الماء ، وحتى العنصر) . عندئذ

تبدو قدرة الجسد بارزة جدا للعيان : فهو قد فتح « الفيرسة » (المقطع الشعري) التي لا تتوقف الا لتنطلق من جديد تلبية لنداء الماء . والفصل بين البيتين الاخيرين من القطعة المذكورة ليس ايضا كسرا ، بل اثباتا ليقين ، لا عجاب (مثل الطفل ، ذلك الكائن العذري ، الذي يجهل اصطناع التصرفات الكاذبة ، يتوقف في صمت امام شيء يرغب فيه) .

لدينا هنا المناسبة لنستنتج كم تقترب النية الغنائية من التعبير الفيزيائي . فهذا الاخير يسند ويثير الآخر اي ما هو مفيد في الماء ، وان القسم الاخير (اشاطر حربة البحر الكلي الوجود) تعرض الفكرة بكثافة رنانة ليست عادية ، الا تثير باتساع المقطع الثاني في كلمة « اشاطر » المكتسب قيمة كبيرة تبعا لسقوط الابكم الكلي ، تثير مدى الحرية المتماثلة مع حرية البحر الكلي الوجود ؟

* * * * *

يبدو من الاسهل ، اكيدا ، سماع سلسلة من الاوزان الالكسندرينية ، باعتبار ان تقاليدها العددية والوزنية قد سبق لها ان انطبقت في فكرنا وعلى لساننا. ولكن ما ان تدرك العين والاذن اسباب ظهور الفن الكلوديلي المبينة بواسطة الطباعة ، حتى يتكون اعتياد جديد بسرعة كبيرة . فعلى القارىء الذي يريد بفارغ صبر ان ينفذ الى الآثار الادبية

لكلوديل ان يخضع لمثل هذا الجهد من المقدمات.اما اذا شئنا ان نحكم مسبقا على الصفة الهرمسية ، فاننا نجدها اقل مثولا في تقسيم البيت ، مما هي في تكثيف الفكرة ، ان شعر كلوديل يتطلب في بعض الاحيان نضالا ولكن مساويا للنضال الذي يجب بذله لاقتحام قسم هام من انتاج عصرنا . وصحيح جدا ان الجهـد المشترك في سبيـل ذلك ليس سهـلا . (والمسألة تتجاوز نطاق هذا البحث) . اما بالنسبة لكلوديل ، فما دام شكل القصيدة ينطلق من وظائف الحياة الفيزيولوجية يصبح من السهل علينا ان نتفق معه وان نجد انفسنا فيه باعادة خلق التفهم والمشاركة الضروريتين من قبل القلب والفكر .

وبالاجمال ان وجه الطعن الموجه الى محاربة الشعـر الكلاسيكي (الذي ليس الكلاسيكية) لا يمكن ان يوجه الى كلوديل ، الا اذا اعتبرنا انه لم يحدد بعض الحقائق المعقولة . وعلينا ان ننطلق من « سيريوس » لا من وجهة نظرنا التقليدية الراسينية لكي نحكم ، لاننا بمدى قليل او كثير نجد انفسنا كلنا في فرنسا فرقاء في القضية .

وفوق ذلك اذا كان الافراط ، والشحن ، والسخرية ، لا ترضي لاول وهلة لمن يعتبر نفسه في المعسكر المعارض ، فان ذلك يتيح لنا الفرصة لان نستخرج سيئات الاسلوب لاثارة الحيوية في الشيء الشعري .

اما الطعن الآخر الموجه لاستخدام طريقة جديدة في التعبير فلن يكون مقبولا الا بالنسبة للقيمة او اللاقيمـــة الشكلية لذلك التعبير . ثم الا نكون صادقين اذا تمنينا ان يجري الحكم على عمل الشاعر بواسطة « الفيرسة » الكلوديلية » ؟

تقنيا وشعريا يظهر ان قيمة مؤلفات كلوديل تتاكد في عدد من صفحات تلك المؤلفات التي وصل الينا الاساسي منها . ولا ينقص من يتنفس ويجري الدم في عروقه شيء آخر سوى ارادة الفهم وقليل من الشعور لكي يعيش ، (من خلال تعقد الفكرة والايجازات ، والابتكارات اللفظية ، وشطحات الفاتح) ذلك الشعر في حرارته وقوته ، وروعته .

نحب كلوديل اولا نحبه ، كلتا الحالتان مسموح بهما جدا ، بشرط ان لا ينكر عليه احد ، لا ابتكاره لاداة خاصة ، ولا كونه شاعرا ، وان لا يسهى عن بال احد ما لم يرد هو ان ينسى : *Poein ,faire* .

من خلال المؤلفات :

نقبل عملتنا المزيفة ، وقيمتها الابرائية بين يدينـا لا تنضب ، لان الذي يمكن الحصول عليه بواسطتـها لا نهاية له . (محادثات في اللوار اي شير)

المختارات التي انتقيناها هنا محصورة بمؤلفات مكتوبة

شعرا كلوديليا او على طريقــة الفرسيــه « الكلوديليــة » وبمجموعة القصائد النثرية الواردة في كتاب : « معرفــة الشرق » و « الفن الشعري » (القصائد التي رأينا ان انتقادها ذو اهمية لاعطاء فكرة عن لهجة ذلك الكتاب والتي بامكانها ان تنير تعليقاتنا) .

وضرورة الايجاز حتمت علينا ان لا نلجأ الى غيرها من المؤلفات النثرية اوالتمثيلية. الا ان المسرح الكلوديلي شعر ، وليس فقط دراما ، او تمثيلية تهريج. ولكننا اضطررنا ان نتحجج بطريقة سبكها وبسياقها الروائي اللذين يتطلبان شروحات تخرج عن هدفنا . وكنا نحب ان نخصص مجالا ايضا لصفحات قريبة من الغنائية ، نختارها بشكل خاص من : « العصفور الاسود في الشمس الشارقة » و « مواقف ومقترحات » و « محادثات في اللوار اي يشير » و « اتصالات ومناسبات » و « العين تصغي .» وكنا حتى جربنا لو كان ذلك ممكنا ، ان نقتصر فقط من بين تلك جميعها على : « العصفور الاسود في الشمس الشارقة » (حيث يمكن ايجاد تمثل اليابان من قبل الشاعر) وعلى المحادثات وتلك المجموعة الضخمة التي تؤلف يومياتي : وهي عبارة عن محادثات ثنائية،وشتيت من الافكار» (كلوديل : اخبار ادبية ٤ آب سنة ١٩٢٨) . وهذا الكتاب الاخير المناقض تماما للانشـاء

الكلاسيكي ، يشكل ينبوعا من الحلاوة ، اذ نعيش فيه الفكر الاخطبوطي للكاتب مضافا اليه مقدرته التركيبية ، وفيضه الغزير ، ونتوءاته ، والسامي والمبتذل مشتركين.وفيه تكمن الفائدة الكبرى لمن يريد ان ينفتح على كلوديل ، ويأتي بمثل نظرية « الفن الشعري او المادة الفكرية » « للاناشيد الخمسة الكبيرة » ، او السلام العظيم في « النغم ذي الاصوات الثلاثة » او نثره الخصب الخاضع تماما لوزن داخلي . اذ بين كل ما كتب كلوديل ،تظهر المحادثات ، على علاقة مباشرة مع عصرها (الذي هو عصرنا) كتاب صغير ، ولكنه مدعو الى القاء النور امامنا على بعض الآراء الفورية عن العالم ، بانتظار ان تصبح تنبؤاته ثمينة جدا لاحفادنا ، بمقدار ما هو كذلك : انشودة الرون » او وميض « الاناشيد ».المخاطبات الاربع في تلك « المحادثات » كانت مناسبة لكلوديل وهو على عتبة الشيخوخة ، لكي يضع خطوطا واسعة لبعض الافكار عن اهم قضايا عصر تسيطر عليه الفوضى . واذا كنا نقبل ان نتوقف عند الافكار الكلوديلية ، فاننا سندرك بسرعة ان مواضيع بديهية جدا تتخللها وتستجيب لفكرة المؤلف مطبقة بشكل خاص على الحياة الاجتماعية بدقة تكاد تكون رياضية .

« باريس » سنة ١٩٠٠
« فوتشيو » سنة ١٩٠٤
« بيكين » سنة ١٩٠٦.

« تيانتسين » سنة ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨

هي الامكنة ، والتواريخ للاناشيد الخمسة الكبيرة .

اول مجموعة منها سنة ١٩١٠ ، استرعت انتباه نخبة الى كلوديل الذي كان قد بلغ عندئذ الثانية والاربعين ، واصبح يملك النضوج الكامل . وفي سلسلة مؤلفاته الغنائية تؤلف تلك الاناشيد النصب التذكاري الذي يجسد نفحته الشعرية العاقلة والذي فيه تتركز نظرته الاكثر واقعية نحو العالم .

كتاب « الالهات » يغني الوحي ودور الشاعر الذي اعطي كلمة العقل، كي يدرك العالم في كليته ويقينه .

في « الفكر والماء » يختلج البحر حيث تتمدد المياه وتنجزر . رمز الماء هنا اورد للتاكيد على التحرر .

« تسبيحة العذراء » وهي تعظيم لعرفان الجميل ، تمجد انتقال الشاعر الى الغبطة ، باكتشافه الله .

« الالهة التي هي النعمة » تسمو بمحادثة ثنائية بين الجسم والذكاء ، بين الجسد والروح ، بين الوضعية الاصلية للانسان والنعمة التي تساعده على اكتشاف دعوته .

« البيت المغلق » وهو النشيد الخامس ، يشرح لنا فن كلوديل ، الذي يصنع حقيقته دون ان يسمح لنفسه بالذهول بسبب الافخاخ التي تنصبها له صعوبة التعبير ، وظلمة بوح

يفوق الطاقة البشرية . انه يثير قضية الفرح بكونه ليس « وحيدا واحدا » في النغم العام .

« القداس هناك » شاهد النور في « ريودي جانيرو » كما علمنا . في نطاق الاجزاء الرئيسية من القداس الكاثوليكي كان ممثل فرنسا ما وراء الاطلسي الغارقة في الحرب يشارك بقلب الوطن المعذب . وكتاباته تستعيد الذكريات التي يحتفظ بها عن وطنه البعيد ، والصداقات التي تركها فيه ، وعن زوجته ، واولاده ، وعن كل ما يشكل له حياة متعددة الوجوه مشبعة « بنفحة العالم الفاقدة الصبر » .

« قصائد من الحرب » تجمع قصائد مناسبات يستعيد اكثرها جو السيف ــ الخشب لعصر كانوا لا يزالون يؤمنون فيه بالحرب الطيبة والمقدسة والعادلة .

« كورونا بينينيا تيس اني داي » تقدم خمسة انواع من القصائد : عشر منها « للقسم الاول من السنة » (بينها : ترنيمة عيد الغطاس » « وترنيمة للقربان المقدس »). وعشر اخرى تشكل « صورا ودلالات بين الاوراق » (بينها « انشودة الخريف») وتسع منها تتضمن « القسم الثاني من السنة » (حيث نجد « ترنيمة مسيرة عيد الميلاد » « ومجملا (ومومنتو) لمساء السبت ») واخيرا ياتي « درب الصليب » .

الكتاب يشبه اكليلا مقدسا ، حيث تذكرنا بعض الزهرات بكلوديل فصل الرمزية ، مثلا يقول :

الاميرات بأعينها الشبيهة بعيني الابل كانت تمر
راكبات الخيل على الطريق بين الغابات .
في الغابات المظلمة كانت الكلاب تصطاد
بنباحها الاصم .

« انشودة الخريف » (المنشورة ادناه) تحمل تاريخين يلقيان نورا على الطريق الذي سار عليه الشاعر، واذا كانت لحمة تلك الابيات هي ايضا تعود الى سن التاسعة عشرة (١٨٨٧) فان كلوديل الحقيقي الذي نعرفه يظهر منذ المقطع الثاني ، وينطلق بشكل رائع في الثالث ، في وزن جسد ذي روح .

ومثل ملاك مزين بالاحمر مع شجرة
مثل شمعة وضاءة ..

اما « النغم ذو الاصوات الثلاثة » فقد سمي في بادىء الامر « الساعة التي هي بين الربيع والصيف » فهي الاغنية المتعددة للاخوات الثلاث : « فوستا ، وبيباتا ؛ ولاييتا » اللواتي يعبرن عن الاعجاب المنذهل بالعالم في كليته .

في « اوراق القديسين » يبرز من بين سائر الوجوه : « فيرلين » و « جاك ريفيير » مع قديسين اقحاج او ذكريات اعجاب . ويمكن ان يبدو غريبا ان نرى بين « القديسين » من لم يكونوا « قديسين » ابدا ، مثل « فيرلين » الذي كان في حياته ميالا الى اللذائذ الجسدية . غير ان ليس للعبارة هنا المعنى المطلق الذي ينسبونه اليها : انها ترمز هنا الى الفضيلة التيولوجية التي تعتبر المشاركة مع القديسين وحدة روحية تجمع الكائنات التي خلقها الله احياء وامواتا ، بعضها مع البعض الآخر .

« مائة جملة للمراوح » المخصصة لعدد قليل فقط ، مما يدعو الى الاسف ، تحتوي قصائد قصيرة شبيهة بالكاي كاي ، معادة كتابتها تجاه النص الياباني بيد الكاتب نفسه ، وقد قال « جاك مادول » عن هذا الكتاب العبارة الآتية : « اثر ادبي رئيسي » .

« قصائد وكلمات خلال حرب الثلاثين سنة » هي ايضا كتابات مناسبات تستجيب بالتفجرات الغنائيـة ، المثـيرة للاعجاب بعض الاحيان ، لقصائد الحرب .

« المزامير السبعة للتوبة » تحمل عنوانا معبرا تعبيرا كافيا : انها حسب رغبة الشاعر « ترجمة شخصية جدا لكلمة الله » .

اما بشأن « وجوه مشعة » فان هذا المجلد يجمع قصائد يعود اقدمها الى سنة ١٩٣١ ، وكتابات شعرية منتظمة والجميع يظهر لنا كلوديل ــ كان سبق لنا ان عرفناه عن طريق تعليقاته على الكتب المقدسة ، متجها فقط نحو الجهة الدينية من التفكير ، ربما حقق بذلك الهدف الذي وضعه امامه منذ مطلع سنة ١٩١٤ وهو ان يؤلف على اساس حيثيات دينية « فردوسا » كان يجب ان يكون قصيدة شيخوخته ، وقد وضع منذ ذلك التاريخ ملاحظات مرجعية ، اودعها في احدى حجيرات دير سولشوار » الدومينيكي ،فانقذت بذلك من فظائع الحرب الكبرى لكي تلقى بعد ذلك مصير السفارة الفرنسية في اول ايلول سنة ١٩٢٣ .

عنف ، الحاح ، امتلاك ، بريق ، تبديل ، ضوء ، لون موسيقى وهي خصائص الاثر الغنائي الكلوديلي ، تظهر مرة اخرى اكثر تحررا ، واقل صرامة في نثره ، ولا سيما في تلك القطع ذات السبك المضغوط الذي يسود كتاب : « معرفة الشرق »، وتلك الخصائص تؤكد الفكرة التي يمكن أن نكونها عن الشعر الحقيقي المنثور الذي يقول عنه « ماكس جاكوب » انه قد احتل مركزه ، وانه من نوع الانشاء . انما يطلب منه فوق ذلك التاثر الفكري . وبين القصيدة الشعرية والقصيدة النثرية لا تعتبر مسألة الترتيب الكتابي الفرق الوحيد ، كما يذهب التعليم المدرسي . يمكن

التقدير ان التماس وسائل عمل مخصصةاساسا للنثر ، ان التماسها للقصيدة (والتي يمكن ان تكون مهيئة ولكن نادرا لكي تستخدم في القصيدة الشعرية) يؤدي الـى التفريق بينهما ، ولكن اية وسائل عمل ؟ تقديم الافكار باشـكال متراصة ، الترداد ، « دبلجة » بعض التاثيرات . انما لا اهمية هنا للقضايا النظرية فغالبا مـا نقع في نثر « كلوديل » على قصائد ترتدي صفة محاولة اعادة خلق ابتكار اصلي اصابه الضعف بسبب الاستخدام السيء لوضعنا الانساني ، او التفتت كغبار الزمن .

حتى عندما الطير يسير .. يكون كلوديل شاعرا . فكتاب مثل « العصفور الاسود في الشمس الشارقة » يظهر لنا من خلال النصوص « المفروضة » مثلا قصة الزلزال الارضي في اليابان ، او خطاب السفير الفرنسي امام طلاب « نيكو » ، صفحات اقل انفتاحا واكثر صرامة ، كانها مشدودة في راحة كف تضغط بنفسها على نفسها بشكل ارادي وعن طيبة خاطر . كيف يمكننا ان لا نذكر هنا لتوضيح فكرتنا قطعة من تلك « الهوة الشمسية » التي لها تلك الكثافة ، وذلك اليقين ، وتلك اللهجة ، وذلك الوزن من الشعر ، التي لا يمتلكها الا كلوديل؟

(بعد الفصل الجميل) من المستحيل الصمود مدة اطول امام حتمية البديهة ، ورفض ذلك الضوء الذي لي ، والذي

كنت مدينا به .لقد استجويت مع النار واتهمت نفسي في اللهيب وتحت الحاح الفكر ، كل ما كان وجودا في ذاتي قد اصبح لونا ، وكل ما كان عملا اصبح ذكاء . لن اعيش الى الابد بعد عالم ياكله مجده ؟

انى متواطىء باندفاع مع النار التي تحطمني . لقد رموا كل شيء ، انهم يسيرون فوق الاقمشة والكنوز،وسحابة طويلة من الدخان الازرق تنطلق من مرابط الشمس . لقد فتحوا من اجل بعد الظهر سياجات حدائق الاسطورة . ثنايا فوق ثنايا ، والجبال ، والوديان على مدى امتداد النظر تختفي تحت مقبرة من الارجوان . وفي بعض الاحيان عندما تحرك احـــدى النسمات تلك الدنان المعمية ، يظهر بطن الجبل ، ونرى مسوخا سودا تتحرك في قعر الهوة الشمسية » .

اما المحادثات في اللوار ــ اي ــ شير » فتتضمن صفحات من النوع الذي لم يستنكره مؤلف « جام النرد » المبتكر « ماكس جاكوب » رغم قساوته فيما يتناول ميــزة الاثر الفني « الكبرياء هي ورك المثقف بواسطتها نصنع منه ما نشاء وهذا ما رآه الصينيون تماما بفكرهم العملي والواقعي حتـــى السذاجة .. في كل عام ، وفي كل مقاطعة كانوا يقومون باحصاء المثقفين وجميع الذين يظهرون تذوقا للافكار ، وفي ايام الحرارات المرتفعة ، عندما يهبون في ثورات ، كانوا

يحسبونهم بعناية في حظائر كبيرة حفرت فيها سبعة ابار على شكل الدب الاكبر ، وكانوا يعطونهم ورقا للكتابة وحبراً . وفي كل صباح كانوا يحضرون لهم الطعام والغازا ليحلوها ، والغازا من الصور الرموز ، وكلمات متقاطعة ، ومواضيع ادبية ، مثل قطعة تحتوي على عدد كبير من الاستشهادات ، والاشارات التاريخية ، واملاء من الجمل الصعبة ، وموشحا من الأبيات المتعددة الاوزان ، والمقلوبة ، لان الناس جميعهم يعرفون ان الضغط هو بهار الفكر ، والمقوم الاكبر للجمال ، كانوا ينظمون مناقشات كبيرة ، ليعرفوا ما اذا كان من المسموح تثنية المفرد مع الجمع . وفي كل يوم كانوا يخرجون عددا من الجثث ، دون ان ندخل في الحساب ان الطاعون او الكوليرا نادرا ما لم يكونا من وقت الى آخر يقومان بتنظيف واسع .

لم يكن ذلك حتى شعرا منثورا ، انما كان من الشعر ، لا شيء غير ذلك ، من الشعر الصافي ، انه قطرة من الندى ، انه نار الصباح ـ يجب ايضا ان نقدر باعجاب الهبة التي يقدمها لنا كلوديل كاتبا (العين تصغي) :

الحجر الثمين ، كما هي النفس الصافية ، يقرأ في كمال ما هيته .. نمسك بيدنا ندعك تلك القطع من الضوء جميعها . وعندما نتحدث عن سماء صيف جميلة ، فلا نظن اننا نفعل احسن من تشبيهها بالياقوت الازرق ، (السفير) . اما

اصفرارها فهو الزمرد ، البحر عميل نماذجنا جميعا المصنوعة من الزمردالريحاني . ولازورد السوائل الثقيل والكثيف الذي تصرعه الشمس الاستوائية ، انها معدن النحاس ، انها الزبرجد ، انها الصحراء وجميع اطياب الارض التي تلتهب ، انها اصغر حبة معقدة من العنب مضافة الى حبة المشمش الناضجة ، انها العقيق ، انها جميع تعرجات الارض والحراثة . وفي قلب الصخر ، تدفع الينا تجمدات الذكاء ، الترسبات (ستالكتيت) الابدية ، وجميع مسائل الزاوية ، والمساحة ، والموشور . الزمرد ، هو شهر ايار والفيروز ، هذا شهر حزيران ...حياة الكرمة تصل حتى الى الخمر ، وحياة الجسد تصل حتى الى الدم دون ان تتمكن من مساواة الياقوت . الخلق كله جاء بتشابه مع مجموعتنا من النماذج ومع تلك القيم المقررة مسبقا . كل شيء منبثق من الماء والنار كان يعلن الفلاسفة القدماء . ولكن اي ماء واية نار ، ارجوكم ، يمكن مقابلتهما بالماس ؟..

ان القطع الواردة فيما يلي قد اختيرت مع الاخذبعين الاعتبار المعطيات التي نجد من المفيد بدون شك تحليلها .

وبما اني ارغب في تقديره كشاعر عصري فمن الطبيعي ان انقل بالدرجة الاولى كتنبيه بعض الاسطر المعبرة من « الفن الشعري » .

والموشح الموجه الى « مالارميه » **يأتي** بعد ذلك . وقد نقله عن رسائل « كلوديل » الى مؤلف « هيروديياد » البروفسور « هنري موندور » ، وقد سبق ان نشر في كتابه القيم : « حياة مالارميه » (غاليمار) . وقد رأينا من المفيد ان نخصص له مكانا هنا ، حيث يقدم شهادة ذات مظاهر متعددة عن شخصية واحد من هؤلاء الشباب ذوي العبقرية « الذين نضجت عبقريتهم بدرجة مختلفة لدى اجتماعهم المحبوب معك» .. كما كتب« كلوديل » قصيدة مؤلفة من « اشعار المنفى » تسمح بتثمين المحاولات الاولى للاداة الكلوديلية ، ومنها « الاناشيد الخمسة » الكبيرة » التي تكشف عمقا آخر كما تثبت المظاهر الثلاثة للحركات الداخلية للشاعر التي نعيد ذكرها : في اول الامر القسم المستخرج من « الفكر والماء » وعن العاصمة الصينية يكتب « كلوديل » « النشيد الكبير الحديث » الذي يضع قدمه على ارض امبراطورية عجوز يصيبها الانحلال فوق ثروة خرائبها . الا ان الشاعر عندما تركها ادرك فكرة الماء ليسمو من رمز ، الى الفرح بالتملك . ثم « الالهة التي هي النعمة » تنير وجهها اذ نشاهد الضغط الذي تحدثه باستخدام لغة تكاد تحفظ نفسها من الدخول في الحدة الضاغطة بقدر ما هو التشبيه . واخيرا فان الصفحات الاخيرة من « البيت المغلق » تاتي باستنتاج للاناشيد ، وتثمين لمجموعة الابتكارات والمتطلبات التي كانت مناسبة

لها ، والتي تعبر عن الكمال الحيوي للانسان الذي استولى على سبب وجوده .

والقصائد المنثورة الماخوذة من « معرفة الشرق » تترجم مظاهر مختلفة جدا من عمل كلوديل وفنه ، هذين العمل والفن اللذين هما عبارة عن نسخات مراجعة ومصححة عن حضارة لا تعتبر فيها الأصالة الشيء الرئيسي ، وعن ضربات « مجس » في هذا الشيء (خنزير) او في وعي من يقول : « أنا ».

« مقدمة القداس هناك » تضع الشاعر في موقف المرارة بسبب دوره كمنفي رسمي : انها في الواقع مقدمة ، نسبة الى الاسرار التي يغذيها فؤاد مجروح ولكن واثق بعالم الاشياء المركبة والغير المرئية .

« وراءهم » احدى قصائد الحرب التي تحافظ على تتمة حقيقية حديثة تسندها الغنائية .

في « الكورونا » القطع المميزة . ما عدا « انشودة الخريف » يمكن ان تدخل الى حياة الكاثوليكي المؤمن كلوديل النور . وهي من طبيعة ان تلقي ذلك النور على الرسالة الشعرية التي يكتشفها في انتشار الطقسية الكنسية .

« انشودة الرون » من « النغم ذي الاصوات الثلاثة » يغني النهر الذي اختار الكاتب بقربه مكان تقاعده ، ذلك النهر

الذي يقول عنه ان « الفصاحة محقة جدا عندما تجعله يتمثل الحياة البشرية » .

ترجمة « عزق الخريف » قادر على ان يدخل في مجال الفن النقل من لغة اخرى. فكلوديل دون ان يتصرف بعبقرية « توميسون » الاصلية ، عرف كيف يفجر في اسلوب قريب من اسلوب الشاعر الانكليزي ، شعرا ، هو فوق ذلك جديد وشخصي .

« فيرلين » نشأت من مناسبة تكريم « ريمبو » في لقائه مع البوهيمي العبقري في « الاعياد اللطيفة » «والحكمة» . « فيرلين » ذو روح ، « فرلين » ايضا « وكلوديل » يعرف ذلك .

في المقتطفات الاخرى من الشعر الكلوديلي ، نجد ايضا اللغة نفسها ، التي بفكرة دائمة ، وباسلوب لا ينتقص تلطف من كتاباته وتؤدي الى افضل من الترجمة ، اذ انه يعمل .

اما الترجمة غير المنشورة للمزمور ٨٦ الذي نفتتح به المختارات ، فهي تسمح لنا بان نسجل هنا لمصلحة مؤلفها مشاعر احترامنا المعترف بالجميل .

« نحو ارض موعودة »

الامر لا يتناول صناعة ، ولا جلبا لعدد غير متناسب من المواد المعدة للعمل الذي يستطيع ان يقوم به مهندس على نفسه ،على قدر ما من الموهبة والمقدرة ، انما الامر يقوم على ان نسمو وكشجرة نصعد عن طريق قوانا الذاتية -

« الوردة ومسبحة الصلاة »

عندما نقرأ « كلوديل » ندرك سريعا ان الصور المنتشرة باسراف في مؤلفاته ، لا تنبعث من الصدفة او من كلمة وتقوم باكثر من الدلالة ، والتذكير : انهـا تلقـي ضـوء على المشاهدة . انها تقوم اولا بتعميق فكرة ، وقولبة تعبير . ثم تثير يقينا اقوى . انها تؤكد ، غير اننا نلاحظ ايضا العودة المتواصلة لعدد منها كما لو ان رؤيا الشاعر كانت ترغب في ان تتركز حول بعض الآفاق وخاصة تلك التي يجب ان يرجع اليها .

ان تكرار الصور يسمح لنا بان نجابه ، الشاعر ، بوضوح اكثر ، اذ انه يظهر بتلك الطريقة لا شعوريا او عن تصميم ، الاهتمامات التي تستغرق قدراته ، ويفتح لنا وجوده . وهكذا

عندما نجد فكرة الماء مسجلة ، او مشارا اليها اكثر من مائة مرة في « الاناشيد الخمسة الكبيرة » التي تعد اقل من مائتي صفحة ، نستطيع ان تستنتج ان هذا العنصر قد اصبح بالنسبة اليه حضورا ضروريا ، واذا انطلقنا من المعنى الذي يعطيه التحليل النفسي كأن الماء يمثل صورة الام ، واذا تذكرنا الخصلةالحميدة التي اكتسبها الماء من الصوفية المسيحية ، ثبتت لنا فكرة جسد نسائي (افروديت ولدت من الزبد) وابنة فرعون تستحم « نوزيكا » Nausicaa ، ومن هنا تتثبت فينا فكرة شراكة الرجل ــ الامرأة ، ثم ــ الطبيعة ــ النعمة (الماء ينطلق ليمتلك ، انه يجتاح وهو يزداد ، انه يغري بالرغبة في الرحيل ، وهو المدى الذي لا يمكن بلوغه في حدوده) ، ويمكن ان يوحي لنا بالكلمات الآتية : حالا ، توازن ، حرية ، مسافة ، طاقة ، مدة ، مستقبل ، هروب ، موت ، وبعدما اعطينا لما تنطوي عليه عبارة الماء ما تستحق ، سننتقــلبتاثيراته ، وبسهولة اكثر الى جو الشاعر . بحيث ان رسائل كثيرة تتوضح ــ وارادات تتثبت.يوجد ايضا ، وعلى القدر نفسه من الدقة ، معنى كلوديلي للغابة والحرج . ويبدو ان اوراق الشجر تشير الى ، سرداب لابيرنني للحياة البشرية ، ينبعث فوقه ، ومن وراء سجنه نور ، او شمس او قماشة ، او نقطة ذهبية، اعني علامة الخلاص او يقين « الصورة » الكونية . ونلاحظ ايضا كذلك بوضوح في احدى « الجمل المائة للمراوح » هذا التفسير من ان « الها يظهر من خلال اوراق

الشجر ، وفي برهة ما نرى مركبته تقدح شرارا » . اما بالنسبة للشجرة الماخوذة منعزلة ، وقد اتيحت لنا المناسبة سابقا للاشارة اليها ، فهي مذكورة غالبا في المظهر العام الذي يقربها من الشخصية البشرية بسبب شكلها العامودي . ويأخذها بصفتها جزءا من نوع تعتبر متماثلة مع الانسان ومتلاحمة مع مصيره بمواقفها ، او بوظائفها الخاصة : شجرة «البانيان» *Banyan* « على باب كل مدينة،تشكل البطريرك المرتدي اوراقا مظلة » « وشجرة السرو .. تضيف فكرة جنائزية ، وسياجات السرو هي التقارب حول نهاياتنا الاخيرة » .

اهمية النار والنور انهما ظاهران جدا ، وهما في اكثر الاوقات مقترنان مع ظل ، وهوة سوداء . وليس من صفحة تقريبا الا تتضمن نداء لهما مما يثبت الرغبة في المطلق ، التي تدغدغ « كلوديل » ورؤياه للخلود ، والكامل ، والنضال ضد ظلمات الشر بسلاح الصراحة والصدق واستقامة القلب ، وبمساعدة اكيدة مهما اتت من بعيد . تثبت ايضا الحاجة التي يشعر بها للعيش في الغبطة : تلك « النار التي جميع أجزائها تئز وتنطلق لهبا وشرارات » . ولتلك الاهمية المعطاة لما يدفع الظلمة ويكافح في سبيل النور ، يجدر بنا ان نقارب اهمية الذهب ، واهمية الوردة . وهناك عدد آخر ايضا ، يمثل على قدر مساو .. الحقائق الروحية ، المتداخلة في الحقيقة

الابسط ، والاوضح التي يمكن ان تكون (مثل القمر ، الحجارة الكريمة) .

« كلوديل » اذن مؤمن بفضيلة التجسيد لدى كل ما هو موجود ، وينتظر منها (ويبلغ) طاقة للمعرفة . « يوجد في السماء حركة صافية ، تنتقل منها تفاصيلها الارضية بعدد لا متناه » .

الى مثل تلك المناسبات ننصرف لكي نميز التيارات الرئيسية من الحياة الشعرية الكلوديلية ، وعلينا ان ناخذ بعين الاعتبار شاعرا يعبر عن نفسه ، وبما ان التعبير حركة وطريقة تصرف ، فان تلك الحركات والتصرفات هي التي تسترعي انتباهنا ، وروحات الشاعر وجيئاته الأكثر حدوثاً ستثبت لنا الاتجاه الذي تمضي نحوه مسيرته ونكتشف فيها اسباب ذلك .

الموجهات المكشوفة على هذا الشكل تخضع لبحث دقيق فكل واحد يستطيع تحديدها بصفتها الاستعارية وبالديمومة والقوة اللتين تظهر بهما . وهي تسمح لنا بان نتحدث عن الموضوعات التي يسهب بها نتاج كلوديل بمجمله كالقماشة تفسر بحبكتها وكالبناء يرتفع فوق الاساسات واحجار الزاوية .

ويوجد ايضا في المؤلفات الكاملة لرجل العمل المكتوب لكلوديل ، عدد من المواضيع يشارك في بناء الكل ، ويفسره ،

باعطائه قيمة اصالته ، ومن بين تلك المواضيع ياتي موضوع المعرفة وموضوع الامتلاك ، ليثبتـا الوجود الحياتي للنتاج الكلوديلي .

« الفن الشعري » يعلم ان « فهم ، تعني شارك » وان « ولد تعني بالنسبة للجميع : توالد » اذ ان كلوديل لم يكف عن اظهار نفاذ الى الموضوع والشيء ، ولنذكر من انتاجه الاول : « راس من ذهب » . ولا نحتاج الى الذهاب الى ابعد من المطلع لنجد هبة الذات من قبل « سيبيس » Cebés .

« .... اوه ، ايتها الاشياء هنا
اني اهب نفسي لك »

ولنجد تلك الحميمية التي يرغب في تحقيقها عندما يصرخ :

اواه ايتها الريح اني احتسيك !

الشاعر يعطي وياخذ ، انه نفسه وكل ما لم يصبح ملكه بعد :

« لن يبقى اي شيء ابدا وحيدا ،
اني اشركه مع شيء آخر في قلبي »

الاستشهادات لا تنقص عند كلوديل وهي تفجر ذلك الجوع للمعرفة ، وتفسره ، فالاب « بلانشيه » في « الجوهرة السوداء » (غاليمار) استطاع ان يجمع بعض مائة منها ،

رغم انه لجأ الى الاختيار ، ولم يعددها كلها .

غير ان رغبة بسيطة ليست غذاء يقيت ، فالجوع الحقيقي يجب ان يقابله شبع . ان كلوديل ، لا يأمل ابدا ، لا يطمح ، بل يلح . الفهم يعني بنظره ان الافتتان ، اجتياح ، اختطاف ، هما من العبارات المناسبة هنا ، كما لو ان سفراته خلال الكرة الارضية كانت تجسيدا حسيا لضروريات فكره ، وانضماما كليا ، الى الكل ، من قبل طاقاته الفكرية ، وهو لم يكف يوما عن ان يبرهن بالارادة والكلام ، عن انه يستجيب ايجابيا لدعوة مكونة بقدر ما هي مقبولة . وايضا ، ان المعرفة التي يتجه اليها بجميع قواه ، لا تنفصل عن الامتلاك . انه لا يرى خلافا بين الفكر والعمل . الكينونة هي الارادة ، والارادة هي الامتلاك .

المعرفة والامتلاك ، والمعرفة في سبيل الامتلاك وليس اقل من ذلك ، تشكل اساس الابداع الكلوديلي ، وتبرره . المعرفة والامتلاك يثيران الحركة نحو الغبطة ، وانطلاقا من وجود ميل ، فانها تنار بمحاولة لا تلبث ان تضمن لها وزنا ، وانطلاقا وتصبح مسيرة . وحتى قبل أن يجد ، فان البحث شكل من اشكال الاتمام . فاذا كان توقع امكانية عمل ، يؤدي الى تحريك الخيال الساعي الى ضمان سعادته ، تحريكا مخصبا ببنائه والدخول فيه ، فحالا يفرض التكامل نفسه ، محسوسا ، باعتباره فكرا ، ويفتح المجال الفردوسي للغبطة .

موضوع الحركة ، موضوع الغبطة هما اذن : متتابعان . وبامكان كل قارىء ان يكتشفهما ، كما يكتشف اشياء اخرى بدقة المياه المنبثقة من خصب الارض ، ومن الجبل نرى صورا حيةترتسمبين التلال والوديان ، وشيئا فشيئا نعطيها اسما .

ولكن هل ان التحقق من الصفة السامية للشاعر ، وحداثته الظاهرة بوضوح شديد ، والثابتة ، والمستندة الى التوازن ، كاف لاثارة اهتمامنا به ؟ ولو كنا بحاجة الى حياة للفكر تبدي قدرتها في المناطق التي تتحرك فيها فهل علينا ان نستند الى كلوديل ؟ وبكلمة هل ان « كلوديل » ينتسب الى عصرنا ، وماذا علينا ان نفعل معه ؟

اسئلة مشروعة ، ومجرد وضعها يعني اننا وقفنا خارج تلك المادية التي تخنق الانسان بانزاله الى مرتبة الحيوانات العليا .

نحن نعيش ، ونريد ان نعيش . ونرغب في ان لا نقوم بوظيفة ، بل ان نتم دورا . الا أن عاداتنا ، واحساسنا ، واحكامنا ، وصدفية لقاءاتنا ، ولعبة المناسبات تحتفظ بنا في تبعية فورية ، وتعمل على إلا تبتعد عن الكائن الذي هو نحن . فاذا ما تساءلنا من هو كلوديل ، فمعنى ذلك في الحقيقة اننا نتساءل عمن هو بالنسبة لنا .

هنالك اجوبة بقدر ما هنالك من اسئلة . التحريات النفسانية الاكثر اتساعا لا تكفي لتكوين موقف لكل انسان ،

ولذا يبدو من المعقول ان نعرض باختصار انية الشاعر كلوديل بحيث ان كلامنا يستطيع ان ياخذها او يرفضها لاستخدامه الخاص جزئيا او كليا

باديء ذي بدء لنفر كمبدأ ، ان الآنية ليست الا برهة من الخلود ، او على الاصح لنذكر بذلك . ولنلاحظ ان النتاج الشعري لكلود ، رغم ارتباطه بمعنى ، لا يكف عن ان يمثل مدى مناسبا لكل برهة نعيشها ، ويملك ذلك النتاج اسسه المكونة من اقرب العناصر الينا . انه لا يمجد التقدم ، والعلم والانسانية بل يعالجها بابتسامة ، او بحركة مزاجية تكون احيانا غير عادلة (لنتـذكر بعض المقاطـع) . الا أن « كلوديل » يتكلم هنا كرجل صاحب تجربة ، يريد ان يتفوق ويسيطر على كمالات التقنية كي تحتفظ هذه الاخيرة تجاه من يستخدمها بدور تبعي . فاذا كانت كفاءتنا تكمن في الفكر ، واذا كنا نسلم جميعا بذلك التفوق الممنوح لنوعنا ، فلا نستطيع بالتالي ان نخضع بشكل عشوائـي الى عوامـل خارجية ، مهما بلغت من الكمال . وكلوديل الذي وعى القيمة التي لا تقدر للعمل احتقر الانظمة ، وعلم الانسان ان يتجنبها لكي يشارك سريعا في التعاون الذي يصبح حياة جديدة لا تتوقف . وهو يدعو الى هذا المخطط ، مساعدة الكون بتاريخه وجغرافيته : « المعرفة هي التوالد ، الولادة مع ... » وذلك الالحاح الذي لا محيد عنه يؤلف طريقته في الفلسفة ،

وترجمته لرؤياه الرمزية تمثل اجمال شعره المؤتمن عليه . الا ان الشاعر يصمد عند « الحقيقية المقدسة » فلا نعجب اذا كان يحذف بسهولة شكاوى الرومانطيقيين ، او تعليمية فكر لا أساس له .

بالنسبة لكلوديل ، الخلق الكامل هو قصيدة . ويغطي هذه العبارة بمعنى دقيق جدا (عن طريق الاشتقاق) ويحتفي بعامله . ونتاجه يتمسك بان يقدم وحدة تؤلف قوته ، فالقسم الشعري ليس الا جزءا من كل .

لا يهم اذا كان قد انحاز ، ما دمنا قد رأيناه يتم نتاجا حيا . حيا لانه منحه شخصه وسبب وجوده ، حيا ايضا لانه ينبع من قلقنا في سبيل ان نرى ونسمع ، ونفهم ، فلا نغلط في ذلك : الغبطة التي يعبر عنها لم تصنع في يوم واحد،انها ولدت من الغصة من كونه رجلا ، والتي بالنسبة لكلوديل قد اثيرت بالوجود الناشط للشعر ، تلك الفضيلة

مات « بول كلوديل » في باريس بتاريخ ٢٣ شباط سنة ١٩٥٥ وهو في وعيه التام . وكلماته الاخيرة الموجهة الى اسرته كانت :

« لأترك في هدوئي ...... لست خائفا »

وقد نقلت رفاته الى ساحة ملكيته في « برانغ » (ايزير) Isère بتاريخ ٣ ايلول التالي . حجر شاهد القبر الذي قام بنحته « جان برنارد » يحمل هذه الكتابة : « هنا ترقد بقايا بول « كلوديل » وبذوره » .

قطع مختارة

ـ المزمور ٨٦ ـ

لذكرى مولد العذراء القديسة

اساس، وتأسيس في الجبال المقدسة لهذه التي هي تلك الله
يحب ابواب صهيون فوق كل ما يمكن « يعقوب » ان يقدم له
من الاشياء غير المنتظرة .

اني لا اتذكر فيك راحاب وبابل اللتين تعرفانني .

الاجناس جميعها ، صور، شعب الاثيوبيين، لا ينقص
احد فيها .
اليست صهيون التي اسمعها تصرخ :لقد ولد، ولد رجل
مني ، والاعلى هو الذي جعلني احمل منه .
الله يحفظ كتابات الامراء والشعوب الذين كانوا فيها.
فيها ينبوع ، فيها مسكن كشعب في عيد .

برانغ ، ٨ ايلول ١٩٤٧
غير منشور .

ـ خطاب بدأ في الصمت والبياض ـ

قديما في اليابان ، كنت اصعد من « نيكو » الى « شوزانجي » فرأيت ولو على مسافات متباعدة ، شجيرات القيقب الخضراء المالئة التناسق المقترح من قبل شجرات الصنوبر . وهي متكدسة امام امتداد نظري. الصفحات الحاضرة تعلق على هذه القطعة الحرجية ، والاعلان الشجري من قبل حزيران عن فن شعري جديد "١" للكون ، ومنطق جديد . كان المنطق القديم يعتبر القياس اداته ، اما هذا فيعتبر المجاز والاستعارة ، والكلمة المبتكرة ، والعملية الناتجة من وجود متزامل وفوري لشيئين مختلفين .

الاول ينطلق من تاكيد عام ومطلق ، والتعلق مرة واحدة بموضوع ، وخاصة ، وميزة . دون تحديد دقيق للوقت والامكنة ، الشمس تشع ، وقيمة زوايا مثلث تساوي قيمة زاويتين قائمتين . انه يخلق الوحدات المجردة بتحديده لها ،

---

(١) Poein:faire

ويقيم بينها تسلسلات لا تتبدل . وطريقته عبارة عن تسميــة . وعندما تتحد تلك العبارات نهائيا ،وتصنف اجناسا وانواعا في عواميد لائحته ، بتحليلها واحدة بعد اخرى وهو يطبقها على كل موضوع يعرض له . اني اشبه هذا المنطق الاول بالقسم الاول من علم الصرف الذي يعين طبيعة وظيفة مختلف الكلمات ، اما المنطق الآخر فهو يشبه النحو الذي يعلم طريقة تركيبها وجمعها ، وهذا الاخير مطبق امام اعيننا من قبل الطبيعة نفسها . انه ليس علما الا للعام . انه ليس مبدعا الا للخاص . والمجاز"١" : الوتد المجموع الاساسي ، او علاقة الخفيض والحاد ، لا ياخذ مجاله الا على اوراق كتبنا ، انه الفن الوطني المستخدم من قبل كل من يولد . لا تتحدثوا عن الصدفة . ان الاشجار الموجودة في تلك البقعة من الصنوبر ، وشكل ذلك الجبل ليست نتيجة « البارتيون » او تلك الماسة التي عليها يشيخ الجوهري الصائغ لكي يصقلها ، بل هي نتاج كنز من المصائر اكثر غنى بالتأكيد ، واكثر علما . اذكر عدة اثباتات من الجيولوجيا ، والمناخ والتاريخ الطبيعي والبشري ، اعمالنا ووسائلها لا تختلف عن اعمال الطبيعة ووسائلها . انا افهم ان كل شيء لا يستمر في البقاء على نفسه وحدها فقط ، وانما في علاقة لا متناهية مع الاشياء ، الاخرى

---

(١) مع تفرعاته في الفنون الاخرى « القيم » « التناسقات » « النسب » .

جميعها . وعندما ابين الاجهزة جميعها لدى نبتة او حشرة لا اكون قد عرفت كل شيء بعد ، كما اني لا اكون قد عرفت كل شيء عن « كاره المجتمع » *Misa throne* او « البخيل » عن طريق ملصقاتها على اللوحة . بقي علي ان اتعلم ما تختلف به اساس هذه الورقة او تلك الحشرة ، ولاي شيء هما ضروريتان ، وماذا تفعلان هنا ، ومركزهما في المجموع ، ودورهما في سياق القطعة ، شجرة الكرز وسمكة الرنكة ليستا مخصبتين الا من اجل نفسيهما فقط ، لكن من اجل الناس الناهبين الذين تغذيناهم ، الزمن يمر يقولون ، اجل : يحدث شيء ما ، دراما معقدة الى ما لا نهاية يختلط فيها الممثلون بلا ترتيب من الذين تدخلهم الحركة نفسها او تثيرهم فماذا يحصل لو وقف ناقد امام المسرح المتثائب ! القضية لا تتعلق بمجموعة من الآليين المنعزلين يقومون بالحركة نفسها الى ما لا نهاية ، بل بعمل مشترك يتتابع . لي ، انا نفسي ، دخولي وخروجي ، وردودي موضحة . هناك لكل شيء ، لكل كائن اسمه الخاص ، ووزنه النوعي ، في الوسط الذي يعوم فيه ، وقيمته الكلية باعتباره اشارة للبرهة حيث يصل العمل . تروون لي « واترلو » اتشرحون لي الخريطة ، تحدثونني عن لقاء « ولنغنون » و « بلوخر » وفي الواقع يوجد رابط بين تلك المعطيات . اذ اني ارى « واترلو » وهناك في المحيط الهندي ارى في الوقت نفسه صياد جواهر راسه يشق الماء فجأة

بالقرب من طوافته ويوجد ايضا صلة بين ذينك الحدثين ، فكلاهما يكتبان الساعة نفسها . وكلاهما زخرفان يقودهما المصير نفسه .

لندر اذن مثل الراهبة « خالدة » عينينا نحو السماء المطلقة حيث الكواكب في عدد لا يمكن حسبانه ، قد نظمت وثيقة ولادتنا وتسجل مواثيقنا ، وقسمنا . ولكن بغياب غياب النجم القطبي للتحقق ، وعدم وجود كوكب لقياس العلو ، ووجود آلة قياس ارتفاع الابراج السماوية (السدسية) ودون آفاق. انظر ان مصيرك يقوم في الاجرام الفلكية ، وفي قلب هؤلاء الناس المجهولين الذين يسجلون بالقرب منك مدارها . حدوة الحصان التي تلتقطها من الغبار ، الارنب المفاجئة التي تجتاز الطريق ، انهما يتخلصان من تلك القضية التي انت هي انت دون ان تعرف،والتي يدفعك سيرها ويسبقك ، «كراس» يقول الغراب ، غدا ! والعصافير التي تصل الينا بعد طيران طويل من « السند » و « الكورلند » ترمي الينا في صرخة بعيدة ، بخبر ناخذه معنا ، لنناقشه هذا المساء بكآبة مع نارنا : (خلق « عين ؟ » انتقال صورة على ارض مملوءة باناس مستقيمين؟).وقديما لم تكن محادثتنا الا من ضمن نطاق هذه الحلقة الاكثر ضيقا التي تحيط بنا الحجر حيث قدمنا تتعثر عند خروجنا ، وهذا الرجل الذي يعطس في مرفقنا . لكننا اليوم نستطيع ان نضم حولنا ، صورا اكثر اتساعا وغنى . كل صباح الجريدة تعطينا شكل الارض ،

والحالة السياسية وحساب المبادلات . نحن نمتلك الحاضر في كليته ، كل الكتاب يتم تاليفه تحت انظارنـا ، وكل خط للمستقبل يظهر على لفافة الطابعة التي تسجله .

ولكي اعيد ، ان الماضي هو الشرط المتضخم باستمرار للمستقبل ، هو الاقتراح الخلاق من الاساسي الى المسيطر ، لنقطع اذن الصلات التي جعلتنا تلك المدة الطويلة ، اسرى ، ولنرفس برجلينا هذا الشعار الحزين :

الاسباب نفسها تؤدي الى النتائج نفسها . نرد اولا ان ليس سبب الا كاملا ، وان كل نتيجة هي التقدير المتعدد لكل البرهة ، وان كل سبب خاص ليس الا تخيلا يتناسب وراحتنا ، بواسطته نعزل ، مجردين في المطلق ، ونهب وجودا نهائيا لمقدمات معينة لنستخرج منها عشوائية قاصرة ، وثانيا وبالتالي ان السبب ليس دائما نفسه ، بل هو عبارة عن عملية كقجة تزداد نموا .

لم يبق لنا ان نضع تحت هذه السطور اي خط : وان هذا الخطاب ينطلق من الصمت والبياض ! حيث لا يمكن للمسألة ان تحل نفسها ، وحدها ، ولكن اخيرا ، الاتجاه ذلك الاتجاه للحياة الذي نسميه الزمن ، ماهو اذن ؟ كل حركة ، كما سبق لنا ان قلنا ، هي من نقطة لا نحو نقطة ، ومن هذه النقطة ينطلق الاثر ، وبها ترتبط كل حياة يسيرها الزمن ، انها الوتر

الذي تبدأ عليه الدولة مسيرتها وتنبيهها ، الزمن هو الوسيلة المتاحة للجميع لكي يموتوا ، ولكل جملة ان تتفكك في الاتفاق التفسيري والكامل ، وان يستهلك الكلام العبادي في اذن : « سيجة لابيم » *Sigé Abime* ...

(الفن الشعري)

تقدير «لمالارميه»

ذاك وحده سيعرف ان يبتسم ، اذا ارادت الالهة نفسها ، المعلمة والام ان تشكل ، فاتحة له الحرف والصرف، شفتها ذات الشعر الصحيح والكلمة المطلقة .

امن الاحتفال الذي انتخبه يضحك من ان لا شيءخالداً ولا شيء لا يتخلص من المقياس الكامل والاجمالي للصوت الذي ينتهي حيث الفعل يستنتج حارس صاف لذهب ثابت حيث النباح الغامض يشبتم ! واذا كان تقدير خشن وشهادة خفيفة ، فان يدي تبحث عما تأخذ عن الارض لتتسلح به اخترت ان اكسر الغصن العسكري الذي تمجده الورقة على الصدغ مالارميه ، المرة ، الانتصار ، والخضراء الاعجوبة .

٢٦ تموز ١٨٨٧ .

« مائة جملة للمراواح »

« مقدمة »

يستحيل على شاعر عاش بعض الوقت في الصين وفي اليابان ان لا يأخذ بعين الاعتبار التسابق في الجاذب هناك الذي يرافق التعبير عن الفكر : قضيب الحبر الصيني ، في بادىء الامر ، الاسود بقدر ظلام ليلنا الداخلي ، نحكه وهو مندى بقليل من الماء على لوح من الاردواز فاذا بوعاء صغير يتلقى العصير السحري ، فلا يبقى الا ان نغطس فيه ونرسم الفكرة ، وتلك الريشة الخفيفة ، التي مثل هـوائي على طول سلامياتنا توصل الى اعماقنا ، الى تفجر القصيدة ، بعض خطوط متداولة اكيدة بقدر خطوط الحسرة ، التي من وكر عميق وخلال القشرة تشل الفريسة غير المنظورة ـ لنعتن فقط بان نرفع كمنا وبأن لا تأتي عضة ناب ...

« قصائد في المنفى »

« مقطع »

انا الماشي لم يبق لي سوى الطريق ،
من اين اتيت ، وحيث اذهب ، وحيث مررت ، غدا
البارحة ، حقلا او غابة ، ارضا مسطحة او وعرة ،
الساقية التي تتبعني، وتتقدمني .
لا شيء يبقى في القلب الرابط الجأش للسائر ،
الا ما تبلغه خطاه : عرض
الطريق الذي يقوده عليه نغم لا ينتهي .
عبثا الهواء الملطف برقة بشرية
يحتضنه ، (لان من خريف صاف لسماء طويلة
من الاوراق تحت قدمي ، يصعد عبير شهواني
اضعف ، ايها القلب ، مما هي هذه الورود مرة !)
من ورائي الاسود ، ومن امامي الوردي
ليعد ظلي ، او فليتقابل مع النهار ،

فخطوتي لن تكون لا اقل حزما ولا اقصر .
الصمت عميق والبرية فارغة
لم يبق لي سوى الطريق الصلب .
والوجود اللطيف بالنسبة لهذا الماشي المترفع
لغياب حيث الفجر مع المساء ينطفىء .

(قصائد في المنفى ، المسرح ، المجلد ٤) .

« الفكر والماء »

مقطع

يا الهي الذي منذ البداية فصلت المياه العليا عن المياه السفلى ،
والذي من جديد فصلت عن تلك المياه الرطبة كما اقول ،

الوعر ، مثل طفل يفصل عن جسد الام الخصب .
الارض المدفئة جدا ، المظللة ـ اللطيفة ، والمتغذية من حليب المطر .

والتي في زمن العذاب، مثل زمن الخلق ، امسكتها في يدك الكلية القدرة ،

الطين البشري ، والروح من جميع الجهات تنضح بين اصابعك .

من جديد بعد الطرق البشرية الطويلة
هوذا النشيد ، هوذا هذا النشيد الجديد الماثل لديك

لا مثل شيء ما يبتدىء ، ولكن قليلا قليلا
مثل البحر الذي كان هنا
بحر الكلمات البشرية جميعها مع السطح على الجهات المختلفة ،

تعرفه نسمة تحت الضباب وعين القمر المهيب .
والان ، قرب قصر ملون بالقلق في الاشجار
ذات السقوف المتعددة المظللة عرشا متفسخا .
اسكن في اللقايا الـرئيسة لامبراطورية قديمة
بعيدا عن البحر الحر والصافي ، وفي اكثر الارض ارضا اری الاصفر ،

حيث الارض نفسها هي العنصر الذي نتنفس ، ملطخة على شكل واسع بمادتها الهواء والماء .

هنا ، حيث تتجمع القنوات القذرة والطرق القديمة المهترئة ، ودروب الحمير والجمال
حيث امبراطور الملكيات الغقارية يخط ثلمه ويرفع يديه
نحو السماء المقيدة ، حيث يأتي الوقت الجيد والسيىء
وكما في ايام الحبوب ، على طول الشواطىء ، نری
المنارات ، وابر الصخر كلها مغطاة بالضباب
والزبد المتناثر ،

هكذا في الريح القديمة للارض ، المدينة المربعة
ترفع معاقلها وابوابها .
ترتب كالرفوف ابوابها الجبارة في الريح الصفراء ، ثلاث
مرات ثلاثة ابواب مثل الفيلة .
في ريح الرماد ، والغبار ، في الريح الكبرى
الرمادية من غبار سدوم ، وامبراطوريات مصر
والفرس ، وباريس ، وتدمر ، وبابل .

ولكن ماذا تهمني اليوم امبراطورياتكم وكل ما
يموت
وانتم الاخرين الذين تركتكم ، ان طريقكم الكريهة هناك !

ما دمت انا حرا ، ما تهمني ترتيباتكم الخبيثة ؟
ما دمت ، انا على الاقل حرا ؟ ما دمت
قد وجدت ! ما دمت انا على الاقل ، في الخارج !
ما دام محلي ليس مع الاشياء المخلوقة ، لكن
حصتي مع الذي خلقها ، الفكر السائل والشهواني
هل يمكن ان تحرثوا البحر ؟ هل يمكن ان تدخنوه
كمربع من الجلبان ؟
هل يمكن ان تختاروا له دورته الزراعية ، برسيما
او قمحا ، او ملفوفا ، او ارجوانا ؟
لكنه الحياة ، وبدونه كل شيء يموت آه !

اريد الحياة نفسها ، التي لولاها كل شيء يموت
الحياة نفسها ، والباقي الذي هو قابل للموت يقتلني!
لم اكتف منه بعد ! احدق في البحر ! كل ذلك
الذي له نهاية يملؤنى
ولكن هنا ، وحيث ادير وجهي ، ومن الناحية الاخرى
ليس منه شيء ، وايضا ، وهناك ودائما ونفسه
واكثر ! دائما يا قلبي العزيز .

ليس من خشية ان تنضبه عيناي ! آه لقد اكتفيت
من مياهكم الصالحة للشرب .
لا اريد من مياهكم المرتبة ـ المحصودة من قبل
الشمس ، والمارة في المصافي ، وفي الكركة ، وموزعة
بآلة الجبال .
فاسدة ، سائلة .
ينابيعكم ليست ينابيع
حتى العنصر نفسه ايضا !
المادة الاولية ! انها الام . اقول ، التي انا بحاجة اليها
لتمتلك البحر الخالد المالح ، الوردة الكبيرة الرمادية !
ارفع يداً نحو الفردوس ! واتقدم نحو البحر
ذي الاحشاء من عنب !
لقد ابحرت الى الابد ! انا مثل البحار
القديم الذي لا يعرف الارض الا من نيرانها . وانظمة النجو

الخضراء أو الحمراء الجاري تدريسها على المخطط والخريطة البحرية القديمة

دقيقة على الرصيف بين الحزمات والبراميل ،
والاوراق عند القنصل ، وقبضة يد لمتعهد الشحنstevedore
ثم من جديد ، يرتفع الجبل وصوت هدير
الآلات ، وحاجز الماء يضاعفونه وتحت قدمي
من جديد الامواج الصاخبة تتمدد .

لا ،
البحار ، لا
السمكة التي سمكة اخرى للاكل
تجرها ، انما الشيء نفسه ، وكل البرميل ، والشريان الحي ،
والماء نفسه ، والعنصر نفسه ، انا العب ، انا اتألق ! انا اشاطر حرية البحر الكلي الحضور .
الماء
دائما يأتي ليلقى الماء من جديد
مشكلا نقطة وحيدة .
لو كنت البحر . المعذب بمليار من الاذرع فوق
القارتين ،الشاعر وهو على ام بطنه بالجاذبية القاسية للسماء الدائرية

مع الشمس الجامدة مثل فتيلة مشتعلة تحت
الحمم .
والعارف لميزته الخاصة ،
لكنت انا ، انا اسحب الي انادي كل جذوري ، الغانج
والمسيسيبي ، وخصلة الاورينوك الكثيفة ، وخيط الريـن
الطويل والنيل
مع متانته المزدوجة ،
والاسد الليلي الشارب ، والمستنقعات ،
والبحيرات التحت الارضية ،

والقلب المستدير المملوء بالناس الذين يستمرون
برحلتهم .
لست مد البحر ، بل انا روح ! ومثلما الماء
من الماء ، هكذا ، الفكر يعرف الفكر
الفكر ، تلك النفحة السرية ،
الفكر الخلاق الذي يضحك ، روح الحياة والنفس
المطاطية الكبيرة ، وتحرر الفكر
الذي يدغدغ ، والذي يسكر ويضحك .

آه ، كم أن ذلك حي ، وما ضر ، لا خوف من ان يترك
خالي الوفاض ، مهما توغلت بعيدا ، لا استطيع ان اتغلب على
مطاطية الهوة .

وكما من اعماق الماء ترى مرة واحدة ، اثنا عشرية من
الالهة ذوات الاعضاء الجميلة
مخضوضرات يصعدن في بركان من فقاعات الهواء ،
يلعبن عند مطلع النهار الالهي في الدانتيلا الكبيرة
البيضاء في النار الصفراء والباردة ، في البحر الفوار
المتلالىء !
اي
باب سيوقفني ؟ اي سور ؟ الماء

الماء ، وانا اكثر منه نفسه سيولة !
ومثلما يذيب الارض والحجر الاسمنتي . لي في كل
مكان افكار ذكية !

البحر الذي صنع الارض ، يفككها ، والفكر الذي صنع الباب
يفتح القفل .
وما قيمة الباب الجامد امام الفكر ، وطاقته
امام نشاطه ، والمادة بالنسبة لقدر العامل ؟
اني احس ، اني اشتم ، اني احلل ، اني اكتشف ، اني
اتنسم
بشيء من المعنى
الشيء كيف هو مصنوع ! وانا ايضا مملوء
من اله مملوء بالجهل والعبقرية

اواه ايتها القوى المنصبة على العمل حوالي
اعرف ان افعل فيه بقدر ما تعرفون انا حر ، انا عنيف
انا حر على طريقتكم التي لا يفهمها
الاساتذة .
مثل الشجرة في الربيع الجديد كل سنة ،
تخترع ، عاملة بروحها
الاخضر ، نفسه الذي هو ابدي ، وتخلق من لا شيء ورقتها
ذات الرأس الدقيق ،
انا الانسان .
اعرف ماذا اصنع .
من الدفقة ومن تلك القدرة نفسها للولادة
والخلق .
انا استخدم . انا سيد
انا في العالم ، اطبق معرفتي من كل جهة .
اعرف الاشياء جميعها ، والاشياء جميعها تعرف نفسها
فيَّ .
احمل الى كل شيء خلاصه
ومن خلالي .
لا يبقى اي شيء ابدا وحيدا ، ولكنني اشركه مع
آخر في قلبي .

اناشيد خمسة كبيرة

الالهة التي هي النعمة

(مقطع)

توطئة ــ ١ ــ

ماذا تهمني آلاتكم كـلها ، واعمالكم كلها
اعمال الأرقاء ، وكتبكم ، وكتاباتكم ؟
اواه الحق يا ابن الارض ! ايها الضخـم ذو الرجلـين
الواسعتين !
اواه حقا مولود من اجل المحراث منتزعا كله من رجليك
من الثلم .
ان هذا كون جيد ليكون كاتب مكتب ، يكتب الصورة
التنفيذية
لوقت الارسال .
اواه ، لمصير خالدة مرتبطة بهذا الاحمق الثقيل !
ليس بالمخرطة والمقص يصنع الرجل
الحي ولكن بواسطة امرأة ، وليس بالحبر
والريشة تصنع الكلمة الحية !

اية حسابات اذن تحسب للنساء ؟ كل شيء سيكون
سهلا بدونهن ، وانا ، انا امرأة بين
النساء .
لست متقبلة للعقل ، انت لن تصنع ابدا
ابدا مني ما تريد ، لكني اغني
وارقص !
ولا اريد ان تحب امرأة اخرى غيري
تحبني انا فقط ، لان ليس هناك من هي اجمل مني
ولن تصبح مسناً بالنسبة لي ، انما دائما ستكون
في عيني اكثر شباباً وجمالا حتى انك ستكون خالدا
معي !
ايها الاحمق ، بدلا من ان تفكر ، اغتنم هذه الساعة التي هي
من ذهب !
ابتسم ! إفهم ياذا الرأس الحجري ! يا وجه الحمار
تعلم الضحكة الالهية الكبيرة !
اذ اني لن اكون هنا دائما ، انما انا سريعة العطب
على هذا التراب من الارض الذي تتلمسه قدماي
مثل رجل في قعر الماء الذي يدفعه . مثل
عصفور يحاول ان يقع ، وجناحاه نصف
مبسوطين . مثل اللهبة فوق الفتيلة !
الا انظر امامك لبرهة قصيرة ، المحبوبة ،

مع ذلك الوجه الذي يحطم الموت ،
ان من شرب دائما كأسه مليئة بالخمرة الجديدة
لا يعرف دائنا ولا سيدا مالكا ،
انه ليس بعل ارض هزيلة ورفيق
امرأة مشاغبة مع أربع بنات في البيت ،
ولكن ها هو يقفز عاريا بكليته ، مثل اله فوق المسرح .
رأسه مغطى باكاليل عنقود العنب ، ولونه بنفسجي كلية ،
وملطخ بحبة

العنقود الحلوة ،
مثل اله الى جانب التيميليه (Thymele) رافعا جلد
خنزير صغير مملوءا بالخمر ، هو رأس الملك
« بانتيه » (Panthée)

الا ان فرقة الصبيان والبنات الموسيقية وهي منتظرة دورها
ذات الاصوات الرطبة تنظر اليه وهي تقضم
زيتونات مالحة !
تلك هي فضيلة ذلك الشراب الارضي : السكران بها شيئا
فشيئا ، مفعما بالفرح ، يرى الاشياء مزدوجة
في وقت معا الاشياء كما هي ، وكما ليست اياها .
والناس يبدأون لا يفهمون ماذا
يقول .
هل الحقيقة اضعف من الكذب ؟

اغمض عينيك فقط ، وتنشق الحياة الباردة ! اف منكم
ايتها الايام الارضية البخيلة !
ايتها الاعراس ! يا مقدمات الفكر ! اشرب فقط من هذا
الخمر ،
غير الخمر ،
تقدم وانظر الصباح الخالد والارض والبحر
تحت شمس الصباح ، مثل واحد يمثل
امام عرش الله !
مثل الطفل جوبيتير ، عندما وقف مذهولا على عتبة
كهف « ديكتيه » (Dicté)
العالم حولك ، ليس مثل العبد المستسلم
انما مثل الوريث ، ومثل الولد الشرعي !
لانك انت لم تصنع من اجله ـ ولكنه هو
صنع من اجلك !
كل قد صنع ! لماذا اذن التصلب زيادة والمقاومة
ضد بديهية فرحك وضد حميا تلك
النفحة العلوية ؟ يجب الخضوع !

انتصر واضرب بقدمك الارض ، لان من يرتبط بلا شيء
يعني بذلك انه لم يبق السيد ، وارم الارض تحت .
قدميك مثل واحد يرقص !
اضحك اذن ، انا احب ، ان اراك كذلك

اضحك ايها الخالد ! من رؤية نفسك بين تلك الاشياء الزائلة !
تهكم ، وانظر ما كنت تأخذه على محمل الجدية ! لانهـا
(الاشياء)
تتظاهر بانها هنا ، وهي تمضي .
وتتظاهر انها تمضي ، ولا تنكف عن
ان تكون هناك .
وانت ، انت مع الله الى الابد !
ولتحويل العالم لست بحاجة للمعول ،
والفأس ، والمسجة ، والسيف ،
انما يكفيك ان تنظر اليه فقط ، بعيني
الفكر الاثنـتين ، الفكر الذي يرى ويسمع .

« خمسة اناشيد كبيرة »

« البيت المقفل »

« مقطع »

سلاما ، يا فجر هذا العصر الذي يبدأ .
ليلعنك الآخرون ، اما انا فاخصص لك دون خوف هذا
النشيد الذي يشبه ذاك الذي اودعه « هوراس »
الى فرق موسيقية مؤلفة من صبيان وفتيات عندما بنى
« اوغست » روما للمرة الثانية .
ومكان ذلك العدد من الكنائس المقدسة التي تسقط ووجهها
نحو الارض .
(هكذا قديما في تلك المدينة الملحدة من « بورغونيا » رأيت
التمثال المنهار للسيدة العذراء ، مرمي الرأس على الارض
تحت الثلج شاكيا ظلم شعبه .)
ومن بين ذلك العدد من الملاجيء التي حفرها معول لا يعرف
ماذا يفعل .
هوذا من جديد ، من اجلنا بيت لنقيم فيه صلاتنا ،
معبد جديد لن يقوى غضب الشيطان ابدا على اطفاء

قناديله ، وعلى تقويض قبابه المتألقة كالماس ، .
وبالنسبة لحرم « سوليسم » *(Solesmes)* **و « ليغوجيه »** *(Ligugé)* **هوذا حرم آخر !**
اشاهد امامي الكنيسة الكاثوليكية التي هي
للعالم بكامله .

اه ايها الاسر ! ايها الصيد العجائبي ! يا ملايين النجوم المأخوذة في خلاقا شبكتنا ،

مثل صيد كبير من الاسماك نصف مستخرج من البحر ،
ولا تزال حراشفها تحيا على ضوء المشعل !
لقد احتللنا العالم ووجدنا ان خلقك قد
اكتمل .
وان اللاكمال لا مكان له في اعمالك المنتهية ،
وان خيالنا لا يستطيع ان يضيف شيئا .
رقما واحداً الى هذا العدد الكلي النشوان امام وحدتك الكلية !
ومثلما قديما ، عندما « كولمبس » و « ماجيلان » وصلا .
طرفي الكرة الارضية .

تبخرت المسوخ جميعها ، عن المخططات القديمة ،
فاذا بالسماء هكذا ليس لها ذلك الرعب لنا ، لعلمنا
انها مهما امتدت الى بعيد

فان قدرتك لن تغيب وعطفك لن يغيب .
ونحن نتأمل نجومك في السماء ،
بسلام ، مثل نعجات سمينة ، ومثل اغنام
ترعى ،
عددها بقدر عدد ذرية ابراهيم .
وكما نشاهد الرتيلات الصغيرة ، او بعض دعاميص
الحشرات مثل الحجارة الكريمة المخبأة جيداً في
علبتها من القطن والساتان ،
هكذا اروني اسرة عش كاملة من الشموس
لا تزال مضطربة من الثنايا الباردة للسديم ،
وعلى تلك الصورة اراكم ، إخواني جميعا ، في الوحل
وفي التنكر شبيهين بالنجوم المعذبة !
كل شيء يخصني ، انا القائد ليـكي ـ ولست محروما من اي
منكم . والموت بدلات من ان يغرقكم في الظلام
يخلصكم مثل كوكب يبدأ مداره الابدي ،
مجتازا قطاعات متساوية في اوقات متساوية .
حسب الاهليليجي الذي تعيد منه الشمس التي نراها واحدا
فقط من المقرات .
أحييك ، يا قبة
جميع الاموات ، الزرقاء !
مثل كوكب يتقلص بالنسبة الينا إلى ضوئه

وحركته الرياضية ،
ايتها الارواح السعيدة نحن لا نرى منك الا
هذه الكمية
من مجد الله التي تعكسينها وانت معلقة في
وجدان الفقر الكامل ، الممكن تشبيهه بلطافة
الحيز الكوني !
ايتها الارواح المقدسة ، هل اتمكن يوما ان اكون مثل الاخيرة
من بنيك !
مجدك خلاصنا . وهذا معد لمن يعطي من الضوء اكثر مما
يتلقى
منه
مستخدما تلك الوسائل المتعددة التي اعطاه الله ، سواء
الثروة ، ام الفقر ،
ام الذكاء ام البطالة ، ام العمل . تبعا للقانون
المفروض على جميع الحيوانات في ان تبحث عن حياتها .
لندر عينينا نحو السماء التي سبق ان صنعت يا اخوتي ،
من هذه السماء عن طريق العمل !
اذ منذ ايام قانون بيت لحم ، اصبحت ظلماتنا
اعدادا من النجوم ،
واشعر حولي في الليل ، بكائنات سامية صافية
اكثر اشعاعا من « سيريوس » (*Sirius*) وبحركات عميقة كلها
كلها من الارواح المختارة .

الشبيهة بالمجموعة النجمية « لهرقل » ، وبقطع
من المجرة. !
ان قليلا من النور يتفوق على كثير من الظلمات .
لا نضطرب مما هو خارج عنا .
لا ندن ابدا خوفا من ان ندان ، لا نلعن ابدا
الحاضر الذي هو معنا مثلما هو ابدنا .
مثل الراهب الذي يعود الى ديره المنهوب
ويبدو لـــه كل شيء جميلا تحت الرماد والبلاس
كما كان يوم رسامته ،
عندما كان الجرس ذو المائة قدم مثل ساري المركب
منتصبا تحت الشمس اصفى من الخمر
مع نواقيسه الاربعة من البرونز الجديد الصفراء والصافية
مثل
الزنابق !

اذ ماذا ينقصه منذ كان معه كتابه ورئيس
فوقه ؟
وها هو من جديد يجلس بعدما اشار
بعلامة الصليب وقد نشر الانجيل امامه لينسخه جيدا
على الصفحة الاولى
واعاد كتابة الحـــرف الاول من الذهـــب على الشهـــادة
الارجوانية .

والآن بعدما حييت حسب الطقوس السماء والارض
والاحياء ،
مثل الكاهن الذي يلجأ الى الاستراحة عند الدعاء ، بينما
اصوات الزمور تصمت ، ولا يسمع
الا شحم ولحم الضحايا الذين يشوون فوق
الفحم الملتهب في الزوايا الاربع للفناء
عند ساعة الظهر .
ساعود نحو « الاموات » ولا اتخلى عن
اقدم واجب انساني .
رابطا كلمتي المعذبة بتلك الافواه المطفأة .
هل نكون ملحدين اكثر من عبدة الاصنام
الذين لم يكونوا يؤمنون انهم يمكن ان يكفوا عن تقديم الحرقة
للموتى ، وهؤلاء الاخيرون كذلك اليهم ؟
لسنا اولاد كلمات وحيوانات فظة
وآباؤنا ليسوا خيالات تافهة على الطريق ،
بل نحن خرجنا من جسدهم الحقيقي ومن روحهم
الحقيقية والحقيقة لا تخرج من الكذبة وما هو
واقع لا يصبح ابدا حلما وكذبة .
هوذا انا مستطيع ان اقدم لهم غذاء افضل من
قضبان البخور ، والخمر الحارة ، واللحم المفروم ،
في قصعات اعدت لتلك الافواه الضيقة .
تذوقي يا ارواح الموتى ، تقدمات محاصيلنا .

« ملاك » الرب مرة في السنة
يذهب فيأخذ كأس القربان الذهبية ويتوجه نحو
الشعب المتوفى ،
مثل كاهن يلبس حلة القداس الذهبية ، يتقدمه
والشماس حاملا شمعة يتجه نحو حاجز
المناولة
وبيده كأس قربان ملآن طافح من
اعمالنا الحسنة المخصصة لله .
ومن اصواتنا واماناتنا ، وتسبيحات
مرتلة ، وقداديس مقدمة
مثل القرابين البيضاء ، ونجمة صغيرة لامعة
بين اصابعه .

وهكذا في صباح داكن من « الميلاد » ، رأيت صفا وراء
صف ، جماهير « الماكايستيين » والنساء الصبيات
ورأسهن مغطى بخمر سوداء لا تترك مرئيا
سوى الفم ، يتزاحمون الى منضدة المناولة
اسمعوا صرخة الاموات المثيرة للحزن !
اسمع الجمهور الذي لا عداد له من الموتى يزدحم
حولي مثل بحر يطلب رحمة !
ارحمونا ، انتم على الاقل ، يا اصدقاءنا !
لا تخافوا منا بسبب تجردنا من اللحم

لان حتى لحم وجوهنا قد اختفى ولم
يبق الا الاسنان حول الفم .

يا ابن عظامنا المسيحية ، اشفق على جثثنا المهترئة
التي قال الله انها كانت امك واشقاءك !
انظر ! لقد تركنا لك ارضنا وممتلكاتنا : الن يكون
لنا فتات من مائدتك وقطرة ماء
من قدحك ؟
دموع تسكب عبثا . وانة بكاء قصيرة ، وكل شيء ينسى ،
وانسان سلامي الذي كان يأكل الخبز اللذيذ
معي ، احتفى بحلوله مكاني .
يحيى من لا يزال يستطيع ان يستحق ! يا مالك
الثروات التي لا تنضب !
بالنسبة الينا . نحن نقاسي النار والسجن ورافعة
بيتنا ليست من خشب الارز !
صلوا لاجلنا لا لكي تخف معاناتنا ،
بل لكي تزداد ،
ولكي يزول اخيرا الشر منا ، ولعنة تلك
المقاومة المكروهة ! »
ولكن الملاك ذا الاجفان المنخفضة سبق له ان اتجه نحو
الشعب المتوفى مع الاناء الذهبي الذي اخذه من على المذبح
مفعما بتقديمات الحصاد الارضي ،

علبة القربان فقط ، لا الكأس ، اذ لن نتذوق
من بنت الكرمة تلك قبل ان نشربها حديثة في مملكة الله .

خمسة اناشيد كبيرة

تفكير في البحر

المركب يسير طريقه بين الجزر ، والبحر هادىء جدا الى درجة يظن معها انه غير موجود . انها الساعة الحادية عشرة صباحا ، ولا يعرف اذا كانت تمطر ام لا .

تفكير المسافر يعود الى السنة السابقة ، انه يرى من جديد اجتيازه المحيط في الليل والعاصفة ، والمرافىء والمحطات ، والوصول يوم الجمعة الحزين ، والانطلاق نحو المنزل ، بينما بنظرة جامدة كان يتأمل من خلال الزجاج الملطخ بالوحل الاعياد الصاخبة للجمهور . كانوا على وشك ان يراه مرة اخرى اقاربه ، واصدقاؤه ، والاماكن ومن جديد يجب ان يعاود الرحيل، المسافر عاد الى بيته كأنه ضيف ، انه غريب عن كل شيء ، وكل شيء غريب عنه . ايتها الخادمة ، علقي فقط معطف السفر ولا تأخذيه . اذ يجب الرحيل ! ها هو يجلس من جديد على مائدة الاسرة كأنه مدعو عابر ومثير للشك . ولكن ايها الاقارب ، كلا ! ان هذا العابر الذي تستقبلونه ، واذناه لا تزالان تضجان بقرقعة القطارات وضجيج البحر المترنح كرجل يحلم من وطأة الحركة العميقة

التي لا يزال يحس بها تحت قدميه ، والتي ستعود فتحمله من جديد ، ان هذا العابر ليس الرجل نفسه الذي قدمتموه الى الرصيف المحتم ، الفراق قد تم ، والمنفى حيث دخل ، يتبعه كظله .

« معرفة الشرق »

« العودة من الارض »

بدلا من ارهاق بطن الرأس الحديد لعصاي ، افضل ان ارى ، من العمق المسطح للسهل حيث اسير ، الجبال المرتفعة حولي في مجد ما بعد الظهر ، قائمة كانها مائة رجل مسن . شمس عيد العنصرة تنير الارض الصافية والمزينة ، والعميقة مثل كنيسة . الهواء رطب جدا وصاف جدا الى درجة اني لا احس اني اسير عاريا في سلام كلي .تسمع من جميع الجهات ، مثل رنة ربابة ، وصوت مجموعة النواعير التي ترفع الماء الى الحقول ثلاثة ثلاثة ، رجالا ونساء ، تتعلق ايديهم بعامودها ، ضاحكين ، ووجههم مغطى بالعرق ، راقصين فوق الدولاب المثلث) وامام خطى المتنزه ينفتح المدى المحبوب والسامي .

اقيس بنظري المدار الذي علي ان اتبعه . من خلال تلك المسالك الضيقة من الارض التي تحيط بحقول الارز (اعرف، ان من اعلى الجبل ، يبدو السهل وحقوله شبيهة بخزانة زجاجية قديمة ، زجاجها غير منتظم وموضوع في حلقات من رصاص : التلال والقرى تنبثق منها بوضوح) ، لقد انتهيت الى الطريق المرصوف الذي يجتاز مزارع الارز وغابات أشجار البرتقال .

والقرى محفوظة من احد منافذها بشجرة البانيان ، الكبيرة (وهي بمثابة الاب الذي ينسب اليه بالتبني جميع ابناء البلاد) الى المنفذ الاخر غير البعيد عن ابار الماء والسماء ،وكلاهما مسلحتان بالحديد من اسفلها الى اعلاها ، والقوس في الوسط ، وهما مدهونتان حول الباب يمد الواحد نحو الاخر إعينه المثلثة الالوان ، وكلما تقدمت وانا ادير راسي يمنة ويسرة ، تذوقت تغير الساعات . البطيء لاني ، انا الماشي الدائم ، والقاضي اليقظ لطول الظلال ، لا اضيع شيئا من الاحتفال الجليل للنهار : وثملا مما ارى، افهم كل شيء.بقي هذا الجسر اجتازه في السلام المتزامل مع ساعة التذوق . وتلك التلال اتسلقها ، صاعدا وانحدر عليها ، وذلك الوادي اقطعه ، ومن خلال ثلاث شجرات من الصنوبر اصبحت ارى تلك الصخرة الصعبة حيث يجب ان اقيم مركزي الآن ولاشاهد استهلاك السماء التي كانت يوما كذلك .

انها برهة الدخول الكلية السمو حين تجتاز الشمس عتبة الارض . منذ خمس عشرة ساعة ، اجتازت الخط غير المرسوم للبحر ، ومثل نسر يحلق بجناحيه الساكنين يدرس من بعيد الحقول وصلت الى القسم الاعلى من السماء . وها هي الان تنحني في مسيرتها ، والارض تنفتح لاستقبالها . والمكان الضيق الذي سوف تصل اليه ، يختفي تحت الاشعة الاقصر . كما لو ان نارا ابتلعته . والجبل حيث تفجرت النار

يبعث نحو السماء كفوهة بركان ، عامود ضخما من الدخان .
وهناك يرسل البريق خط تيار حرجي كانه اصيب بضربة رمح منحن . ووراء تمتد ارض الارض . آسيا مع اوروبا ، وفي الوسط يسمو المذبح : والسهل الفسيح ، ومن ثم وعلى طرف الجميع ، ومثل رجل مستلق على بطنه فوق مياه البحر فرنسا ، وفي وسط فرنسا : منطقة شمبانيا المحروثة كما وصفها غوتيه (*Gautier*) ولا يرى سوى اعلى الحدبة الذهبيـــة وعند اختفائها يبدو الكوكب مخترقا السماء كلها بشعاع اسود عامودي ، انه الوقت الذي يصل فيه البحر الذي يسير وراءه ، ثم ينهض خارج سريره بصرخة عميقة ، ويذهب صادما الارض بكتفه .

الان يجب ان اعود ، مهما كان علي ان ارفع ذقني عاليا لارى قمة « كوشانغ » وقد ظهر متخلصا من سحابة معلقا مثل جزيرة في الارجاء السعيدة ، فمشيت لا افكر بشيء آخر ، ورأسي معزول عن جسمي كرجل افعمته رائحة حامض عطر قوي جدا .

« رسم »

ليثبتــوا لي هذه القطعة من حرير من جهاتها الاربع ، فلن ارسم فيها شيئا من السماء : فلا البحر وشواطئه ، ولا الغابة ، ولا الجبال تستغوي فني . انما من طرف الى آخر ، ومن اعلى الى اسفل ، كما لو بين افقين جديدين ، وبيد خشنة ارسم فيها الارض ، ستكون حدود المقاطعات ، وتقسيمات الحقول مرسومة فيها تماما ، تلك التي يقومون بحرثها . وتلك حيث لا تزال واقفة فرقة الاعشاب . لن تنقص شجرة واحدة من قائمة الحساب ، واصغر بيت سيكون ممثلا بصناعة ساذجة ، واذا نظرنا جيدا ، استطعنا ان نلاحظ الناس فهذا يحمل مظلة كبيرة في يده ويجتاز جسراً صغيراً حجريا وتلك تغسل الثياب في المستنقع وذلك الكرسي الصغير الذي ينقل فوق كتفي حماليه . وذلك الفلاح الصبور الذي يحفر ثلما على طول ثلم آخر.طريق طويل على جانبيــه صف مزدوج من القوارب يخترق اللوحة من زاوية الى الاخرى ، وفي واحد من تلك الخنادق المستديرذ يري مثل قطعة من اللازورد بدلا من الماء ، ثلاثة ارباع قمر يكاد يكون لونه اصفر .

« معرفة الشرق »

« الخنزير »

سارسم هنا صورة الخنزير .

انه حيوان صلب كأنه قطعة واحدة ، بدون مفاصل ولا عنق ، ومحفور من امام مثل سكة المحراث . وعندما يرتج فوق افخاذه الاربعة ، تحسبه خرطوما يسير باحثا عن طعام ، وكل رائحة يشعر بها ، يلصق بها جسمه الشبيه بالمضخة ، ويبتلع حتى اذا وجد الحفرة الملائمة تمرغ فيها بشراهة ، ليس ما فيه ارتعاش الاوزة وهي تدخل الى الماء ، ولا الاستبشار الاجتماعي للكلب . بل هو تمتع بلذة عميقة ، انعزالية ، واعية ، متكاملة . انه يشخر ، ويرشف ، ويتلمظ . ولا يعرف فيه اذاكان يشرب او يأكل . كل شيء مستديرما عدا بروزا صغيراً . يتقدم ، ويغطس في وسط الوحل الوسخ الطري . ويدمدم ، انه يفرح حتى في برازه ، وانه يغمز بعينه ، انه هاو عميق ، رغم ان جهازه الشمي العامل ابدا لا يترك شيئا ، الا ان ذوقه لا يميل الى روائح الازهار او الثمار التافهة يبحث عن طعامه في كل شيء ، ويفضله دسما ، قويا ، ناضجا اما غريزته فتربطه بهذين الشيئين اساسا :التراب و القمامة .

نهم ، فاسق واذا قدمت لكم هذا النموذج فاعترفوا :
ان شيئا ينقص ليتم ارتياحكم ، لا الجسد يكفي نفسه بنفسه ، ولا النظريـــة التي يبشر بها عبثية . لا تسـع وراء الحقيقة بعين واحدة بل استخدم كل ما هو انت بدون تحفظ . السعادة واجبنا ، وممتلكاتنا . لقد اعطي نوع من الامتلاك التام .

ولكن مثل تلك التي اعدت « لايني ، *Enée* » نبوءاتها فان لقاء انثى الخنزير لا يحمل دائما فألا ، وشعارا سياسيا . ان احشاءها اكثر ظلاما من التلال التي ترى من خلال المطر . وعندما تستلقي لترضع فرقة الخنانيص التي تسير بين فخذيها . تبدو لي كأنها صورة تلك الجبال التي ترتضعها عناقيد القرى المعلقة الى منحدراتها ، لا اقل عددا ولا اقل تشويها .

لا اغفل ان دم الخنزير يستخدم لتثبيت الذهب

« معرفة الشرق »

« انحراف »

لتحمل انهار اخرى نحو البحر اغصان السنديان والعصارة الحمراء للاراضي الحديدية ، او ورودا مع قشور الدلب ، او القش المتناثر ، او بلاطات من الزجاج . بينما « السين » في احد اصباح كانون الاول الرطبة ، بينما منتصف التاسعة تدق في جرس المدينة ، تحت الاذرع المعدنية للرافعات يجري حاملا قوارب من القمامة ، وصنادل محملة بالبراميل ، وبينما نهر « الهاها » الذي يرتفع الدخان من سطحه ، بسبب مجراه السريع ، يرفع فجأة مثل قمة وحشية ، جذع شجرة سرو طوله مائة قدم ، وبينما الانهار الاستوائية تجرف في تيارها العكر عالما مختلطا من الاشجار والاعشاب . ان عرض مجرى هذا النهر لا يكفي لاحتواء ذراعي وانا مستلق على بطني ضد مجرى التيار ، وعمقه لا يكفي لابتلاعي .

وعود الغرب ليست كاذبة ! تعلموا ذلك ، ان هذا الذهب لا يدعو ظلماتنا ، انه ليس خاليا من الحلاوات . لقد وجدت انه غير كاف للرؤية ، وغير ملائم لشدة الوقوف ، وان

درس التمتع يأتي من الاشياء التي امتلكها تماما ، اذ اكتشفت وأنا اهبط بقدم مندهشة الجرف الوعر الانحراف ! ثروات الغرب ليست غريبة عني . انه يجري كليا نحوي يسكبه منحدر الارض .

لا الحرير الذي تعجنه اليد او القدم العارية ، لا الصوف العميق لسجادة صلاة ، يمكن مقابلتهما بمقاومة تلك الكثافة السائلة حيث وزني الخاص يحملني ، ولا اسم الحليب ، ولا لون الوردة يمكن مقابلتهما بتلك الروعة التي اتلقى نزولها علي .

من الاكيد اني احتسي ومن الأكيد اني غاطس في الخمرة ، لتفتح المرافىء كي نتلقى احمال الخشب والقمح التي ترد من القسم العالي من البلاد ، ولينصب الصيادون شباكهم ليلتقطوا الحطام والاسماك ، وليصف الباحثون عن الذهب الماء . وليفتشوا في الرمل فالنهر يحمل الي ثروة لا تقل عما لديهم . لا تقولوا ابدا اني ارى ، لان العين لا تكفي الذي يتطلب حسا اكثر صفاء ، التمتع يعني الفهم ، والفهم يعني الحساب .

عندما النور القدسي يثير للرد عليه ردا كاملا الظل الذي يحلله ، فان سطح تلك المياه لدى ابحاري الجامد يفتح الحديقة التي لا ازهار فيها . وبين تلك الثنايا الـدسمة

البنفسجية ، هوذا الماء مرسوما مثل دفقات الشموع ، هوذا العنبر ، هوذا الاخضر الاشد لطفا ، هوذا لون الذهب . ولكن لنصمت ! ان ما اعرفه خاص بي ، وعندما سيصبح هذا الماء اسود ، سامتلك الليل باكمله مع العدد الكامل من النجوم المرئية وغير المرئية .

« معرفة الشرق »

« الصنوبر »

الشجرة وحدها ، في الطبيعة لسبب نموذجي ، تقف عامودية شأنها شأن الانسان .

يتمتع جنس الصنوبريات بميزة خاصة . فانا اجد فيها تفرع الجذع في اغصانه ، بل التصاق هذه الاغصان في جذع يبقى واحدا ومميزا ، ويزول كلما استطالت خيوطه . وذاك ما يجعل الصنوبريات تظهر في جنس تبدو فيه اخشابها متوازية ،

انما الانسان ينتصب واقفا بتوازنه الذاتي . واليدان اللتان تتدليان لينتين على طول جسده هما خارجيتان عن وحدته . الشجرة ترتفع بناء على جهد وبينما تتمسك بالارض بالالتصاق الجماعي لجذورها ، فان اعضاءها المتعددة والمتفرقة الملطفة حتى النسيج السريع العطب والحساس للاوراق وبواسطتها تنطلق باحثة في الهواء نفسه وفي النور عن نقطة ارتكازها ، تشكل لا فقط حركتها ، بل عملها الاساسي وشرط وجودها .

ويبدو شكلها الاساسي كمستقيم تقطعه خطوط عامودية متدرجة .

وهذا النوع يتضمن حسب مناطق الكون المختلفة ، تنوعات متعددة ، واهم ما يثير الانتباه منها ذلك النوع من الصنوبريات التي درستها في اليابان .

بدلا من الصلابة الخاصة بالخشب ، يظهر الجذع مطاطية كثيفة . الغلاف ينفجر ، والقشرة القاسية المقسمة الى حراشف مخمسة الزوايا بواسطة شقوق تفرز سائلا بغزارة ، تتقصف الى طبقات قوية . واذا كان الجذع يخضع بمرونة جسم نزعت عظامه الى التأثيرات الخارجية العنيفة التي تهاجمه ، او البيئة التي تتطلبه ، فانه يقاوم بطاقة ذاتية ، والدراما التي يخضع لها مصير تلك المراكز هي دراما المعركة المؤثرة التي تقوم بها الشجرة .

هكذا ، على طول الطريق القديم المأساوي « لتوكايدو » رأيت اشجار الصنوبر تتساند في نضالها ضد قوى الهواء . عبثا ريح المحيط تحاول تخويفها ، فهي تتشبث بجميع جذورها في الارض الحجرية . والشجرة التي لا تغلب تتقوس ، وتدور حول نفسها ، وكرجل منطو على الجهاز المضغوط لاطرافه الرباعية ، يقاوم بعناد ، باعضائه التي يمدها الى جميع الجهات ويطويها .

تبدو كأنها تتعلق بالمهاجم ، وتستعيد توازنها ،وتنتصب تحت الهجوم المتنوع للجبار الذي يرهقها . وعلى طول ذلك الشاطىء السامي استعرضت في ذلك المساء صف الجنود

البطولي ، وفتشت كل ابطال المعركةاحدها يقع منقلبا ويمد نحو السماء مجموعة سلاحه المخيفة . من البلطات والدرقات التي ينتضيها في قبضاته الهيكاتونشيرية ، وآخر مفعما بالجراح فانه مشوه بضربات العارضة ، وبشوكاته وجذوعه المنتصبة ، يقاوم ايضا وهو يحرك بعض اغصانه الضعيفة . وآخر يظهر من قفاه كانه ثابت ضد الهجوم المندفع يجلس على عقب فخذه الصلب ، واخيرا رأيت الجبابرة والامـراء ، باجسامها الضخمة محدودبة فوق خاصرتيها المعضلتين تجمد من هذه الجهة ومن تلك بالجهد الجبار لاذرعها الهرقلية العدو الضاج الذي يضربها

واذا اعتبرت الانواع التي تنبتها الاراضي الخصبـة ، والاراضي الغنية والدسمة ، وقابلتها بالصنوبر لاستطعت ان اكتشف اربع خصائص فيها :

ان نسبة الورقة الى الخشب اقوى فيها

ان هذه الورقة مسطحة .

وانها تبدي وجها وقفا .

واخيرا فان الايراق المنتظر على الاغصان المتباعدة انطلاقا من نقطة معينة مشتركـة في الجذع ، يتجمع في باقة واحدة . شجرة الصنوبر تنمو في الاراضي الحجرية والجافة : وبالتالي فان امتصاص العناصر التي تتغذى منها يجري ببطء اكثر ويتطلب منها تمثيلا اقوى واتم ، ونشاطا جهازيا اكبر ،

وايضا، ـ يمكنني ان اقول ـ اكثرشخصانية . وربما انها مجبرة على اخذ الماء بالتقسيط ،فهي لا تتوسع مثل الكأس . وهذه التي اراها ، تقسم ايراقها ، وتمد اغصانها الى جميع الجهات وبدلا من الاوراق التي تتلقى المطر نجد خصلا من الانابيب الصغيرة تغطس في الرطوبة البيئية وتمتصها . ولهذا فان الصنوبر دائم الايراق بصرف النظر عن الفصول وهو حساس جدا للتأثيرات الاكثر استمرارا والاكثر ليونة .

لقد فسرت دفعة واحدة ميزته الهوائيـة ، والمعلقـة ، والتفصيلية ويما ان الصنوبر يسم خطوط المكان المتناسق ، باطار متقلب من اخشابه ، ليسمو احسن بالبريق الخلاب للطبيعة ، فهو يحمل الى الجميع سمة خصلاته الفريدة : الى مجد المحيط الازرق في الشمس ، وقوتـه ، الى مواسـم الحصاد . وهو يحني سقوفه لتمتد تحت ادغال الاضاليا المشتعلة بالنيران حتى تبلغ سطح البحيرات الازرق من الجنطيانا ، او تمتد فوق الجدران الوعرة للمدينة الملكية ، حتى تصل الى الفضة المزرقة من عشب السواقي ، وهو يقاطع مصير مجموعات الكواكب والفجر ، وفي ذلك المسار حيث رأيت « الفوجي » مثل جبار هائل ، ومثل عذراء تتبوأ العرش في اضواء اللانهاية ، فان خصلة الصنوبر تندرج فوق الجبل ولونها يشبه لون الترغلة .

معرفة الشرق .

الارض مرئية من البحر

مـركبنا الآتـي من الافـق التصق برصيـف العالـم والكوكـب العائم يفتح امامنا هيكله الشاسع . وفي الصباح المزين بنجمة ضخمة ، الصاعد على السلم ، ظهر امام عيني منظر الارض الزرقاء تماما . ولحماية الشمس ضد ملاحقة المحيط المنهار اسست اليابسة العمل العميق لقلاعهـا : الفوهات تنفتح على البرية السعيدة ، وطويلا ، في وسط النهار ، نصل الى تخوم العالم الآخر . ومركبنا الذي اثارت فيه الحيوية النسمة الصابية الهابة من الشرق ، ينطلق ويقفز فوق الهوة المطاطة حيث يستند بكل ثقله . انا مأخـوذ باللازورد ، وانا ملتصق به مثل برميل . اجد تحتي وانا سجين اللانهاية ومعلق كالمشنوق في مركز تقاطع السماء والارض كلها المظلمة تتمدد مثل الخريطة ، اجد العالم الهائل والوضيع . الهجر لا دواء له ، الاشياء كلها بعيدة بالنسبة لي ، والنظر فقط يربطني بها . ولن يكون من الممكن اثبات قدمي فوق الارض التي لا تلين ، وان ابني بيدي مسكنا من الحجارة والخشب ، وان اتناول في سلام اطعمة مطبوخة فوق الموقد

البيتي . وبعد وقت قليل ، سنعود على مقدمة المركب ، الى حيث لا شاطىء يعترضه . وتحت الجهاز الهائل من الاشرعة ، لن يأوي تقدمنا وسط الأبدية الهائلة ارض سوى نيران موقعنا .

« معرفة الشرق »

« ترتيلة مقدمة القداس »

مرة اخرى المنفى ، النفس وحيدة تماما مرة اخرى
تصعد الى قصرها .
والشعاع الأول للشمس على قرن « الكوركوفادو »

كم من البلدان خلفي تبتدىء دون ان يتم
اي مسكن فيها !
زواجي قبل البحر ، وامرأة وهؤلاء الاولاد
الذين رزقتهم في الحلم .

تلك الأعين كلها حيث قرأت برهة انها تعرفني
هؤلاء الناس كلهم كما لو انهم احياء من الذين
عاشرتهم
ذلك كله شبيه مرة اخرى بتلك الاشياء التي
لم تكن اطلاقا .

هنا ، لا رفقة لي سوى ازدياد
النور ،

والجبل الذي يشكل عمقا ! أسود ابديا وتلك النخلات
المرسومة كما على زجاج .

وعندما الخليقة بعد يوم بدون ساعات تتكثف
مرة اخرى من العدم ،
امينا للرصيف الهائل كل مساء ، اعود لازور المحيط :

البحر وذلك التخييم دوريا مع مليون
من النيران التي تشتعل ،
اميركا بكل جبالها في ريح المساء
تبدو كجنيات متوجة بالريش .

المحيط الذي يصل من ذلك الباب هناك والذي يطرق على
الضفة العالية .
وتحت السماء المثقلة بالمطر من جميع الجهات تلك الشمعدانات
تقفز من علو خمسين قدما .

فكري لا راحة له الا البحر ، انه الالم
نفسه المجنون
واللطخة الكبيرة نفسها للشمس في وسط اللاشيء ،
وذلك الصوت الذي يروي ويطلق آهات البكاء !

ها هي عدوى الليل تجتاح السماء كلها شيئا فشيئا
اليوم الذي بعد ستة ايام يشكل سبعة ، وما من واحد منها
يقربني من الله .

عندما ستعرف قدماي الراحة ، وعندما سيكون لقلبي
تحالفه مع الليل ،
ما الذي سيبدأ للابد حالما كل شيء
سينتهي ؟

هل سأرى شيئا لي في السماء ،
يتضاعف مثل النيران التي تدل على مدخل مرفأ ،
او تلك النجمة قرب صليب الجنوب التي يدعونها
« الفا سانتور » [1] (Alpha Centaure)

مهما حاولت وضعي بالقرب منك الى الابد
بطريقة تسمو على الحس ،

لن اكون اكثر ثقة بك ، يا إلهي ، مما انا
في الوقت الحاضر .

في هذه الساعة الفارغة ، حيث انا معك ، شيء آخر
غير امتدادها .
الاشياء جميعها التي يقال انها تمر ، انا
شاهد على انها قد مرت .

Omnia duplicia,unum coutra unum et non fecit quidquanedeesse Eccles XLI 25

بدون شك انها لا تمر بلا فائدة ، انها تنضب حتى
المقطع الاخير من القصيدة ،
وحتى تلك السعف في ريح المساء ! منظر ما
هو شيء آخر غير نفسك .

هذه الفوضى من الاوراق والنباتات الاستوائية في الشمس ،
ومكوثي هذا
لسنتي الخمسين ،
لن يكون شيء اكثر صعوبة للالغاء – لا شيء للعين عندما
تغمض –
من الوطن حيث ولدت .

ستكون تلك القرية المحبوبة سابقا عندما ولدت تلك الابتسامة
الرائعة .
ولن يكون اكثر صعوبة للعينين عندما تغمضان
من ان تصنعا من ذلك ذكرى للابد .
ماذا تفعل ، يا الهي ! تلك الاشياء البائسة
كلها التي لا تستمر .
ما عدا بطبيعتها التي تقوم على انها تولد وتزول ، ان تشهد
انك هنا وهناك ؟

من المؤسف انها لا تقدر على الزوال من امام العيون ، دون
ان تمزق القلب .
اما بالنسبة لمن يراها تموت ، فان الامر هنا حسن
مثلما هو في مكان آخر .

هناك ، في البلاد التي تركتها ، اوروبا ، يرون
لم تكن الاشياء تجري بسرعة كافية .
وذلك النوع من العرض العالمي الذي كانوا
معجبين به جدا ، الصاخب ، لا لن يكفوا
قبل ان يدمروه .

تلك الحياة من ستين دقيقة كانت طويلة جدا
و مملة جدا !
لنا تلك التعاونية الكبيرة ـ لنا الحرب ـ لكي ندمر
كل شيء ما عدا الله !

هنا لا اسمع شيئا اطلاقا ، انا وحيد لا يوجد سوى تلك السعف
التي تتمايل ،
وسوى تلك الحديقة السحرية التي على صورتك ، وتلك
الاشياء التي توجد
في صمت .

انها موجودة لبرهة ، ولكن ذلك على كل حال
جميل !

يجب ان يكون الانسان جاهلا فنه ، لكي يرى في « فنك »
نقصا .

وان لا يكون كـتب ابدا عبارة واحدة ، فان الفن من اجل
كلمتين
معا في صورة واحدة تنطفىء
جاهلة ان ذلك جيد فان تلك الفراشة على الوردة
فجأة ، تصبح خرساء مثل ريشة الرسام !

انها كلمة تلك التي يقترحون علينا ، ضرورتها ، ومن نفسها
تأتي لتأخذ مكانها على الشفة .
هل ان للاشياء معنى ، اذا لم يكن لمعناها
ان يمضي ؟

وانا نفسي ، الذي اتكلم من يتكلم ، اذا لم يكن من هو
قابل للموت فينا ، ومن يطلب ان يموت ؟
ومن يموت مـثلا من هذه الاشياء
الجميلة جدا .

ولو لم يتكلم الناس بهذا المقدار عنك ، لم يكن مللي
بهذا المقدار .

ولم يكن صوتهم مؤثرا لتلك الدرجة لو لم يتحدثوا كثيرا عن
شيء آخر .

والمخلوقات لم يكن لها مشكلة معنا ، وكنا سنصبح
في سلام مع الوردة .

ولكن الكلمات ، اذا لم تستخدم للحديث ، لماذا
يمكن ان تستخدم ؟
واذا لم يقدم اليك البلبل والبدر ما في نفسيهما
فما نفعهما ؟

لكي نجد ما هو بحاجة ان يقال ، ولكي نفسر انفسنا عن
انفسنا معك
بتلك الكلمة التي اكتشفناها ،
لن يكون كثيرا ان نقلب
البحر والسماء ، وان نذهب حتى اقصى الارض .

اين هي اخيرا تلك الكلمة الاساسية ، الاثمن من الماس ، تلك
النقطة من الماء كي تذوب فيك ، نفسنا كما تذوب الحبيبة في
حبيبها .

تلك الكلمة التي هي كقبول الموت ، حضورك
ما وراء تلك الصور جميعها !

لن نكون قد دفعنا ثمنا غاليا اذا قبلنا الموت
كي تستمر اكثر .
يا الهي ، لماذا رفضتني ؟ ويا نفسي
لماذا انت حزينة

ماذا يريد مني ذلك العدو في داخلي الذي لا ينصرف بسرعة
والذي يقاوم ؟

من هذا المكان حيث كنت واقفا لاذهب الى من لم
اصبح اياه بعد ،

عندما شحب قنديل السماء ، ولهذا السبب
نهضت مع الفجر .

وفي الوقت الذي تستيقظ فيه السعف ، ومنها كلها .
يسيل الندى الصباحي ،
ويرى كخط من ذهب ، البحر في آخر الطريق
الاستعمارية .

وللانتقال مما لم يكن سوى جمال ، الى ما هو حب
يجب اغتنام هذا النداء الذي يسبق نداء النهار

الاذى من ان اكون وحيدا ، والسعادة في ان تكون هناك
لو لم اكن هنا لاقول ذلك لك لكان من الممكن
ان لا تعرف به .
لكي افسر لنفسي ماذا يفعل بعد قليل ذلك الجمال
الزائل والمنظور .
يوجد احدهم ينتظرني هناك بعذوبة تدق
عن الوصف .

قليل ان اعرفك اذا لم ارك . قليل
ان اراك اذا لم المسك .
وقليل ان افتح عيني اذا لم افتح من اجلك فمي ،

ومثل السمكة تعيش في الماء الحي ، وتبتلع ، وتصعد
ضد مجرى التيار .
كذاك المتعلق بك يصعد عكس اتجاه الزمن .
الاشياء تتركني شيئا فشيئا ، وانا ، انا اتركها
بدوري ،
اذ لا يستطيع الانسان ان يدخل الى مجلس الحب ، الا وهو
عار .
الجرس يرن ، الكاهن هنا ، الحياة بعيدة ،
انه القداس .
« ساتجه الى مذبح الرب ، نحو الرب الذي
يفرح شبابي »

« القداس هناك »

« وراءهم »

« سنجتمع وراءهم »

« كاهن آرس »

الدم المسكوب ظـلـما يطول تسريه
الى الارض .
اما ندى السموات البريء فهو لها وكذلك المطر
الواسع الجالب السلام ،

الذي يخرج في مواسم حصاد زراعية ، من العلف والقمح ،
مجد
الهيسباي والبرابان(.de L'Hesbaye et du Brabant)

اكثر لطفا لشرايينها عندما يأتي ليختلط
بها ، واذا لزم دم ،
فالنفس الحمراء التي فيها منبثقة ،من ابنائها ، واراقة
الخمر الوثنية مثل الحليب
والخمر

ومن الجندي الذي من اجل حمايتها قد سقط ، وسلاحه
في يده !
عطاء سام.وحب نهائي في العمل وفي اللقاطة .
الصلصال المجبول لآدم القديم الذي به التراب
والانسان اصبحا كواحد !
غير ان ذلك التجنيد مثلما الوسم بالطبشور ،
على الحيوانات من اجل الموت ـ للاولاد والنساء والشيوخ
ذلك التكديس كيفما كان في زاوية ما . وفجأة ،
يصبح مزيدا ، وحرارة الحياة تدب فيه والدخان يتصاعد منه
من كل مجاري المسلخ ،
مثل العنقود تحت المعصرة يخرج مندفعا ،
الدم الاسود ،
وذلك القطاف المخيف الذي يلطخها ويسقونه
لها بالقوة .
هي اشياء ترتعد منها الارض خوفا منها ، وعمل
يتم عكسها ، ويجهزها
بتلك الكأس ببطء ، في قلبها الذي يصعد
نحوكم ايها القتلة ، وهو اوسع من
ظمئكم ! انتم الذين
بـــذرتموها ، هل تتنسون انها تحبل ؟
وبما انه يلزم هطول النفع طول الشتاء ، وتفكير
الفصول الثلاثة

حتى تنبت الحبة المنتظرة طويلا وتنمو
وتصنع سنبلة ، مبشرة بحصاد وفير
وكما طمرت البذرة عميقا ، وديست بالاقدام
هكذا الثمرة التي لا يمكن حبسها تخرج من بطن المذبوحين .

اعملي ايتها الطلقات النارية ليلا نهارا ، وايتها البنادق اطلقي
من القطع جميعها
النار دفعة واحدة ، اهدري ايتها المدافع الالمانية !
لتنطلق طلقة المدفع من عيار ١٢٠ نحو السماء في
جبل اسـود من الدخان ، مثل
ركان !

من خلال الهجوم المستمر ، والمقاومة المستمرة
يها الجيوش الموسومون كي لا تعودوا ، لن تتوصلوا
لى القضاء على الصمت .

ن تتوصلوا الى ان تحلوا في قلوبكم مكان ذلك الصوت
لذي سكت الى الابد ،
م الذين قتلتموهم بلا رحمة ، والذين ..
ن يغفروا ابدا !
راجع ايها الشعب المحاصر ، انشر اسلاكك التي لا تخرق ،
لمصنوعة من الخيوط الحديد

يا دافني فرقكم الخاصة ،احفروا بدون توقف
حفرتكم في الارض !
ان الذي يدق نهارا وليلا في صفوفكم :الـــذي يدق فرحا
تجاهكم ليس كل شيء !

هنالك جيش لجب بلا اية ضجة يتجمع
وراءكم .
منذ « لوفين » حتى « ريتيل » ، من « تيرموند » حتى
« نوميني » .
يوجد ارض متراكمة بشكل سيىء تتحرك، ولطخة كبيرة
سوداء تتسع !
هنالك حدود وراءكم تغلق ، وهي اكثر مناعة
امام الاختراق من نهر « الرين » !

اصغ ، ايها الشعب الذي هو بين سائر الشعوب ، مثل قايين !
اسمع الموتى الذين وراء ظهرك يعودون للحياة ، وفي الليل
وراءك المملوء من الله
نفحة البعث التي تمر فوق جريمتك المزدحمة !
يا شعب الجراد آكل الناس ، سيأتي الوقت
الذي تضطر فيه للتراجع !
والاثر الذي صنعته في الدم ، خطوة خطوة سيأتي الوقت
الذي تعود فتمر فيه من جديد !
تعال معنا ، ايها الشعب المعتمر الخوذة ، يوجد اشياء كثيرة

بينك وبيننا تجعلنا نتنازل !
موذا النهر بدون مجازة العدالة . ما هي اذرع
الابرياء تحيط بك ، لا يمكن حلها مثل نبات العليق !
الا اشعر بالارض تحت قدميك المليئة بالموتى رخوة
تنخسف وتميد .

حزيران سنة ١٩١٥

(قصائد من الحرب)

« ترنيمة عيد الغطاس »

في هذا الصباح الصغير من العام الجديد كليا،عندما الجليد
الملاح ، تحت الاقدام
يئز مثل البلور ،
والارض المستقبلة وهي تلمع ، تظهر في ثوبها العمادي .
يسوع ، ثمرة الرغبة القديمة ، الان وقد انتهى كانون الاول ،
يظهر ، يبتدىء ، في اشعاع الغطاس .
والانتظار مع ذلك كان طويلا ، غير ان الاثنين الاخرين مع
« بلطصار »
خلال آسيا ، والشيطان ، قد باشروا بالسير
في وقت متأخر جدا ،
للوصول قبل ذلك الوقت الذي يسبق عيد الميلاد .
وان ما يحيط بهم ، سبق ان تالف من السنة العائدة للسنة
الجديدة !

ها هي النجمة التي تتوقف ، ومريم مع الهها بين ذراعيها
تحتفل !
الوقت الآن متأخر ، لمعرفة ما هي
الظلمات .

لا يبقى الا ان تفتح الأعين وتنظر
لان ابن الله معنا ، ها هو اليوم الثاني عشر لولادته .
« غاسبار » و « ملكيور » وثالث يقدمون الهدايا التي
حملوها .

ونحن ننظر معهم الى يسوع المسيح ، في هذا اليوم
الذي يتجلى لنا ثلاثا .
السر الاول ، هو التقدمة الى الملوك الذين هم
في الوقت نفسه العقلاء .
لان الامر بالنسبة للفقراء سهل ونرى
ان المنظر حول المهد
في بادىء الامر ، يحتوي عددا من الخراف ، ولا يتضمن
سوى نسوة
طيبات ورعاة .

الذين بصوت واحد يعترفون بالمخلص دون اي نوع
من الصعوبة .
انهم فقراء جدا الى درجة ان ذلك يكاد لا يغير الله الطيب ،

وابنه ، عندما ولـد ، وجد نفسه كأنه في بيته
معهم .
ولكن الامر يختلف جدا مع العلماء والملوك .
يجب كي نجد حتى ثلاثة منهم تحريك الارض كلها
وايضا لا يكون هؤلاء لا الاشهر ولا
الاعلى .
انما نوع من المجوس الاصيلين ، وملوك
صغار من المستعمرات .
وان ما لزمهم لكي يتحركوا لم يكن
دعوة بسيطة ،
بل ان نجمة من السماء نفسها قادت البعثة
وكانت الاولى التي بدأت بالسير محتقرة القوانين
الفلكية .
التي اهينت خاصة من اجل العمل الكبير لاثبات
الديانة المسيحية
وعندما نجمة ثابتة منذ ابتداء
العالم تبدأ بالتحرك
فان ملكا ، واقول حتى ان عالما بعض الاحيان ، يمكن ان
يوافق على ان يزعج نفسه .
لهذا يوسف ، ومريم ذات صباح رأيا وصول
غاسبار ، وملكيور ، وبلطصار

الذين بالاجمال جاؤوا من بعيد ، لا اكثر من اثني عشر
يوما متأخرين .
يا والدة الاله . استقبلي بلباقة هؤلاء الاشخاص
الصادقين .
الذين لا يشكون دقيقة واحدة بما رأوا
في طرف انظارهم ،
وبما حملوا لك بتعب كبير من عمق
فارس او من الحبشة .
ومهما كان الامر ، هدايا لها مغزى كبير
وثمن سام ،
الذهب (الذي يحصلون عليه اليوم بواسطة المطاحن
وبالسيانور . (Cyanure)
والذي هو معيار الايمان دون اي زيف ولا نقصان اية قلامة
المر ، الشجرة النادرة في الصحراء وقد لزم
كثير من العناء للمحافظة عليها ،
والتي عبيرها الرمسي والمر يعتبر رمز
الاحسان :
وقبضة الرماد الخالد المستخرج من عدد كبير من المحارق ،
والاونصة الوحيدة من البخور ، انها الرجاء ، جاء ملكيور
يحملها اليك
بواسطة الف من العربات ، وثمانين من الجمال
تسير صفا ،

وهذه الاخيرة بدون اي استثناء مرت من ثقب
ابرة !

الغطاس الثاني ، لسيدنا ، هو يوم
عماده في الاردن ،
الماء يصبح قداسة بفضيلة الكلمة
التي انضمت اليه .
الاله العاري ينزل الى اعماق تلك المياه العميقة حيث نحن
ويما انها غرقى جعلته واحدا معنا ، جعلتنا واحدا
حتى معه ، البئر الاخير في الصحراء ، حتى الثقب التافه
ليس من نقطة ماء فيهما بعد ذلك لا تكفي لتوجد في الطريق
مسيحيا .
وهو باتصاله فينا مع ما هو الاكثر حياة
والاكثر نقاء ،
داخليا من اجل السماء ، لا يـثمر الكوكب المقبل .

ويما ان ليس لدينا زيادة في سماء تلك
الهوات التي لا حدود لها
والتي نقرأ في السطر الاول من « الكتاب » ان الارض
قد فصلت ،
فان المسيح في سنه المتكاملة قد دخل الى وسط البشرية ،
مثل مسافر ظامي لا تكفيه كل مياه
البحر ،

ما من نقطة من المحيط حيث لا يدخل لا تكون له
ضرورية .

iderunt t aquæu, Domine يقول النشيد ، لقد
عرفناك !
وعندما من وسطنا من جديد تقوم تملأ
وعاريا ، فان دفنك الاخير قبل ان تموت ،
تماما
صرختك الاخيرة فوق الصليب كانت انك لا تزال ظامئا .
والسر الثالث بالتدقيق ، كامن في مأدبة
عرس « الجليل »
اذ هي المرة الاولى التي رأوك فيها لا ضيفا
(بل مدعوا)
عندما بدلت الى خمر بناء على كلمة بصوت منخفض
من والدتك
الماء السري المجموع في الاجران الحجرية العشرة .
العريس خفض نظره ، انه فقير ، والخجل
قد اذهله ،
لم يكن شرابا لمائدة عرس
ماء الخزان
كما هو في شهر آب ، عندما لا تكون الخزانات
واسعة .

وهو مملؤ كليا بالقذارات ، والحشرات التي تثير الاشمئزاز
(مثل هؤلاء التلامذة الكئيبين الذين يعبون كما
الشامبانيا
كل « ارنست هافيت » Ernest Havet المسيل في قوارير
السانت
شارلمان !
كلمة من الله تكفي لتلك القطافات في السر
كي يتبدل ماؤنا النتن الى خمرة كاملة
الخمر في البدء كانت بخسة ، وفي الاخير كانت الاجود .

انه حسن ، ما تلقينا . سنرده لك
بعد قليل ،
وستقول اذا لم يكن الاجود ذاك الذي
احتفظنا به للنهاية ،
ذلك الكوثر فوق ، اسفنجة قذرة
ملطخة كلها بالحثالة ، والضغينة
الذي اهداه لك مفوض بوليس كدليل حماسة .

غطاس النهار انقضى ، ولم يبق لنا سوى غطاس
الليل .
حيث يرون الاولاد ، المجوس الذين يهبطون مرة اخرى
نحو بلادهم .
على طريق مختلفة ، ثلاثتهم جميعا بخط ملتو

انها سماء كبيرة شتوية عارية مع كواكبها
ونجومها جميعا .
واحدة من تلك السماوات بيضاء على سواد ، كما هي الحال
فوق الصين الشمالية وسيبيريا .
مع ستة الاف نجمة بجميع قواها ، وهي الاضخم
تختلج وتبرق لاسلكيا !
اية واحدة من بين تلك الشموس ، انتزعها الملاك
كمشعل عن طريق الصدفة ،
ليضيء الطريق حيث يسعى ثلاثة شيوخ مسنين ؟
لا احد يعرف . الليل عاد يصبح نفسه ، وكل شيء يحترق
من جميع الجهات في صمت .
كتاب السماء غير المقروء حتى حافته ، مفتوح في
بداهته التي لا تقاوم .
سلاما ، يا ليل الايمان الكبير ، المدينة الفلكية التي لا تقهر !

ها هو الليل ، لا الضباب ، الذي هو جزء
من كاثوليكي ،

الضباب الذي يعمي ، والذي يخنق ، والذي يتسرب
من الفم . والعينين وجميع الحواس
الى حيث يسير الكافر واللامبالي دون ان يعرفا اين هما
الاعمى واللامبالي في الضباب لا يعرفان اين
هما ولا من هما .

انواع من الحيوانات الناقصة ، عاجزة عن قول نعم او لا !
ها هو الليل افضل من النهار ، ليزودنا بالمعلومات
عن الطريق .
بكل منعرجاتها التي في مكانها ، ومجموعات كواكبها
مرة واحدة .
هوذا العام الجديد كليا ، نفسه الذي يشرق ، بعيونه
المليون حوله ، نحو النقطة القطبية ،
مقرك وسط السماء ، يا مريم ، نجمة البحر .

(كورونا بينينيا تيس اني داي)

« ترنيمة القربان المقدس »

(مقطع)

الايام الستة الطويلة انتهت . واعمال الحصاد قد تمت
والقمح والشعير كلهما اصبحا هناك . والتبن على الارض
مع حبوب قليلة

الايام الستة للحصاد قد انتهت ، واليوم السابع غدا .

وجماهير العمال قد سبق لهم ان توجهوا من اجل
عيد « بيت لحم » الى « بيت الخبز »

و « بوعز » الغني ، هذا المساء ، بقي وحده في حقله
هو رجل يخاف الله ، وذو قلب مستقيم تسكنه
الحكمة .

طوبى لمن نحو الفقير والارملة يمارس ذكاءه ،
والذي حصادوه غير الدقيقين يتركون وراءهم
وهم يسيرون
سنابل من اجل اللقاطة المؤابية .

غير انه مستلق دون ان ينام وسط
محصول الحصاد الهائل المرتب ،
محدقا بقمر السبت : قمر الليل اليوبيلي
والمخصص .
ها هو يحس على مقربة منه ، كان كلبا حييا يتمسح به
اللقاطة « راعوث » نهضت وقد تزينت
ووضعت رأسها في فراغ كتفه

« يا ابنتي ماذا تريدين ؟ ترين اني وحيد
ومسن .
لقد عشت اياما طويلة قبلك والان اصبحت
لحيتي رمادية .
اذهبي « راعوث » الى شقيق زوجك تبعا لما
ينص عليه الشرع الموسوي »

فاجابته « راعوث » دون ان ترفع عينيها :

« في ظل الذي اختاره قلبي
جلست »

ونحن ايضا ، يا الهي ، نرى انك وحيد
ومهجور .
مثل عجوز وسط هؤلاء المارة ليوم واحد .
هؤلاء الشباب المنشغلين والطائشين .

ولكن ، بما اننا قد تذوقنا العسل الذي يحتوي
كل طعم رحمتك ،
ملقين الرأس فوق كتفك ، فنحن نقدم لك
بقلب مفعم جدا كي يتكلم
هذا الشيء اليسير الذي يمكننا ان نهبه .

اعطنا طعامنا ، ايها الرجل الغني في
« بيت الخبز »
استقبل الى النهاية « الغريبة » في مسكنك !
لقد كفانا ما لقينا بعيدين عنك من عطش
ومن جوع .
ونأمل ان لا تنقصنا ابدا ، خارج الرغبة في الاعلان و التفاخر
السنبلة المجانية ، التي تخلى عنها حصادك .

اعطنا اليوم خبزنا الجوهري العلوي
لقد اكتفيت أنا من منّ الصباح ذاك ، ومن ذلك
الخبز الذي يمر كالظل او الصورة .

لقد اكتفينا من طعم اللحم والدم والحليب
والثمار والعسل .
يا « شجرة » الحياة اعطنا الخبز الحقيقي
فانت نفسك غذاؤنا

(« كورونا بينينيا تيس اني داي »)

« اغنية الخريف »

في النور المشع للخريف
انطلقنا صباحا .
روعة الخريف
تطن في السماء البعيدة .
الصباح الذي كان النهار بكامله
الصباح من الفضة الصافية كله :
وهواء الذهب الى الساعة حين شجرة « ديونيه »
ابانت قرنها في اللازورد .

النهار كله الذي كان من الفضة العذراء
والغابة مثل ملاك من ذهب .
ومثل ملاك مزين بالاحمر مع شجرة
مثل شمعة مضيئة
لامعا كاللهيب فوق اللهيب ، والذهب فوق الذهب .

آه يا رائحة الغابة التي تموت : نحس بها !
آه يا رائحة الدخان نحس بها ! والدم الحي مع الموت مختلطا !

آه ايها المربوط الجاف للذهب من قبل وردة النهار المشعة بالزهر ! .
آه يا لون المنثور !
يا لون الذي صمت ، والذي يتفجر ، والذي يختنق ويتجسد من جديد ،
اسمع في قلب الغابة المتناهية .
ما يعود ، ويدور ، وما يمتد من جديد اكثر دكنة
نداء البوق الذي لا يوصل اليه .

النداء المظلم للبوق الذي لا يقبل العزاء
بسبب الوقت الذي لم يبق موجودا
لم يبق موجود بسبب هذا اليوم الرائع وحده الذي به الشيء لا يكون موجودا

كان مرة ، مع الاسف ،
مرة واحدة ، ولن يكون ابدا
بسبب الذهب الذي هو هنا
بسبب كل الذهب الذي لا يمكن اصلاحه .
بسبب المساء الذي هو هنا
بسبب قمر السباق الكبير الذي هو هنا .

١٨٨٧ ـ ١٩٠٥

(« كورونا ... اني دأي »)

القديسة تريز دي ليزيير .

تريز غارقة في الورود
وصلت آتية من الجنة .
وخياشيمي تستعد
لتعرف ماذا تقول .
الورود الحمراء والبيضاء التي
تقطر طلا
فوق قلبها بين كميها
تشكل باقة هائلة
الوجه رغم ضخامته
ما عدا العينين والجبين
بل جسد العذراء الحكيمة كله
يختفي في الدغل .

حديقة حية ، وكنز لامع
هي نورمانديا المتدفقة .
هي مذبحة الارجوان والذهب
وشجرة من الضحك والحياة .

تعطي كل شيء مرة واحدة
شعاعا ، دما ، شوكا ، باقة
كيف اختار ؟ لا ادري
اعطوني الباقة كلها

اواه ايتها الاخت الغريبة الاطوار والرقيقة

اية كومة ؟ وكيف استطيع التخلص ؟

ولكن اذا كنت لا اتجاسر ان افهم
على الاقل استطيع ان اتنفس

بول كلوديل

« ترنيمة مسيرة الميلاد »

« مقطع »

هيا ، حانت ساعة الرحيل هل جميعنا هنا ، ايها الاولاد ؟
هل لديكم كل ما يلزم ، اذ ان الطقس بارد ! في الخارج
المناديل ، والمعاطف ، والخمر ، واللفحات ، والقفازات ؟
اذن اطفئوا القنديل وتعالوا ، لانني انا امشي الى امام .
لقد مشيت الطريق ، انا الذي سأقودكم . فلا يحاولن احد
آخر ان يدعي الاهمية لنفسه .
لقد اطفىء . هو ذا فريقنا الصغير الاسود كله على ضوء النار
التي تموت .
هؤلاء الذين اتحدوا معي بالدم . واولئك الذين اتحدوا معي
بالقلب .
والعجوز مع عجوزه ، الخادمات والشباب .
الام مع اولادها ،
والعادل الذي حمل ثقل النهار مع عامل الساعة الحادية
عشرة .

خيم الظلام فلا نستطيع العد ، يمكن القول اننا اكثر عددا
مما كنا منذ برهة ،
واذا كان بعض الموتى قد انضموا الينا ، فاهلا وسهلا بكم .
ايها الاقارب الاعزاء !

لا تخافونا ، لقد اعترفنا جميعا
هذا المساء ، خذوا مكانكم بين الابرياء .
الجميع ما عدا الذين لا يزالون يؤمنون ، والذين لا يزالون
يشككون نصفاً نصفاً .

والذين يبدون منذهلين ، ومع ذلك يتبعونني على سبيل
الصداقة .
انا الذي ، احمل عصاي ، واسير في الطليعة مثل عازف
الكمان موجه الراقصين ،
مرنما نشيدنا لمسيرة الميلاد رافعا الصوت بقدر ما استطيع
بيتا واحدا من الشعر واذا لم اجد سوى في جعبتي ، وثم ابياتا
اخرى تأتي مجتمعة فتهزني ،
عندما لا تكون هناك قافية ، فيجب ، قسما بايماني ، ان
نستغني عنها .

واذا كانت ابياتي لا تسير على خط مستقيم ، فلا يعود ذلك الى
عدم وجود اوزان ،
انما اسير مستبقا قليلا تفكيري ، مثل الاعمى الذي يتلمس
بعصاه .

غير ان الطريق ايضا ليس مناسبا ، وذلك الثلج ليس من القطن .
فلنذهب على كل حال الى امام ، من خلال الله ! بقلب فرح كل شيء جيد .

واذا كان نشيدي لا يلائمكم ، فاني سأنشده بالرغم وعلى طول ...
ورباعية هالوليا مع اغنية صغيرة ، لا صلاة لراحة الموتى

انها الليلة الكبرى التي فيها من جميع الطرقات يأتـي المسيحيون قاصدين بيت لحم .

ونحن ، رغم اننا قليلو العدد ، قد شكلنا مسيرتنا .

الباب قد فتح منذ قليل ، وها هي السماء كلها تقفز الى امام اعيننا .
ومليون من النجوم الفاقعة مع المجـرة في الوسط .

يا سيد السموّ ، السماء تنقل العلم الى السموات
والجلد في زينته الشاسعة يخبر بعظمة الله .
بريق واحد ! انه جيش السموات الذي ينتضي سلاحه مصطفا فوقنا بقواده وخاصة خمسة منهم او ستة .

الشعب الغفير المختلط ينشد بصوت واحد : « غلوريا إن اكسيلسيس» Gloria in excelsis
(« كورونا ... اني داي »)

مجمل من اجل مساء السبت

مزمور « آصاف » : « لان رحمته خالدة »
مزمور موصى به لاولاد « كوري » (Core) من اجل القيثارة العشرية
مزمور الملك داود عندما كان مختبئا في غار « عدولام »
مزمور بسبب ابني ابيشالوم عندما المياه تسربت حتى نفسه .
مزمور الملك سليمان عندما انشىء الهيكل .
مزمور ارميا ، وحزقيال خلال السنوات السبعين ،
ترتيلة سمعان ، ترتيلة زكريا
تحليق صوت العذراء مريم الكلية القداسة

فوق الامبراطورية التي دحرتهاتسبيحةالرب من اوغستين وابرواز ، والصيحات الصاخبة في مجامع « عقيدة القديس اثناس »
وترنيمة « نوتكير » Nottker ، ونثر آدم دي سانت ــ فيكتور ومقدمة القداس الكبيرلعيد الفصح ، ينشد البروايكانتور » ، .

نشيد ثاقب لليتيم ، دمعة في قلب الاصم ،
ولاتينية « بول كلوديل » في الايام الاخيرة
اقبلوا هذا الصوت الغريب من جيل الى جيل ، وتلك الكلمة القصيرة من الصوت وحده الذي هو فوق سائر الاصوات مثل غناء البلبل ،

قصيدة بول كلوديل التي نظمها في آسيا . بعيدا عن مرأى
الناس جميعهم ، زمن الردة الكبيرة .
ربابة خفيضة تحت الضجة الجاهلـة والسفيهة كأنهـا
« الترومبيت »
وفي الخليط الفوضوي رصف كلمة قوية واضحة .

ابيات وعرة ، وخط متوهـج من قلبه الى وطنه عندما كان يسير
على طول جدران « كامبالوك » مصغيا الى « وقوان » «التتار»

او تحت صفصافة مغطاة بالهوام . قرب بقعة كبيرة من الملح
فوق ارض نصف مهدمة ، يتأكلها الماء القذر والسماء

آه فليجف لساني ،ولتمت في داخلي النغمة نفسها ،
اذا كانت روحي تنساك يوما يا اورشليم !

مثل المسافر على ظهر خيوانه ، يتأوه وينظر الى النجمة التي لا
تنتهي ،
هكذا قلبي يميل نحو الينابيع المرجوة !

هنالك الصمت نفسه ، والليل نفسه ،
غير ان الزمن ورائي ، واعرف ان كل شيء انتهى .

وفجأة ، بغتة وبصفاء ، اسمع في ريح النهار الذي يشرق
عصفور السماء يستعيد الكابيتول والامثولة المختصرة

« كورونا ... اني داي »

« درب الصليب »

« المزار الرابع »

ايتها الامهات اللواتي رأيتن الولد الاول والوحيد يموت ،

لتتذكرن تلك الليلة ، الاخيرة ، قرب الكائن الصغير المتأوه
الماء الذي يحاولون اسقاءه ، والجليد ، وميزان الحرارة
والموت الذي يأتي شيئا فشيئا والذي لا يمكن تجاهله .
البسته حذاءه البائس . بدلن القماش والقميص
احدهم سيأتي ليأخذه مني ويضعه في التراب .
وداعا يا ولدي الصغير . وداعا يا قطعة من جسدي !

المزار الرابع هو مريم التي رضيت بكل شيء .

هوذا في زاوية الشارع من ينتظر « كنز » كل « فقر » ليس في عينيها دموع ، وليس في ثغرها رضاب .

لا تفوه بكلمة ، وتنتظر الى يسوع القادم .
انها راضية . انها راضية مرة اخرى . الصرخة مخنوقة بقساوة في القلب القوي والدقيق انها لا تفوه بكلمة وتنتظر الى يسوع المسيح .

الام تنظر الى « ولدها » والكنيسة الى « مخلصها »

نفسها تتوجه بعنف نحوه مثل صرخة الجندي الذي يموت ،
انها تمثل واقفة امام الله وتقدم له نفسها ليقرأها .

لا شيء في قلبها يرفض او يأخذ
لا عصب في قلبها المطعون لا يقبل ولا يوافق .

وبما ان الله نفسه هناك ، فهي حاضرة
تقبل . وتنظر الى ذلك « الابن » الذي كونته في احشائها .
لا تفوه بكلمة ، وتنظر الى « قديس » القديسين

(« كورونا ... اني داي »)

« درب الصليب »

« المزار الحادي عشر »

هوذا الله ليس معنا . انه على التراب .
رهط المتكالبين ضده اخذوه من عنقه مثل غزال ،
اذن حقا اتيت ! وحقا انت معنا ، ايها السعيد !
لقد جلسوا فوقك ، ووضعوا ركبتهم على قلبك وتلك اليد التي
يلويها الجلاد ، هي يمنى الكلي القدرة .
لقد ربطوا الحمل من رجليه ، وعلقوا الكلي الحضور ،
يرسمون بالطبشور على الصليب طوله ومدى جسده
وعندما يذوق طعم مساميرنا ، سنرى وجهه .

ايها الابن الابدي ، الذي حده لا تناهيك
ها هو اذن معنا ، ذلك المكان الضيق الذي اشتهيت !

هو ذا ايليا فوق الميت الذي يتمدد بطوله
هو ذا عرش داود ، ومجد سليمان
هو ذا سرير حبنا معك ، قويا وصلبا !
من الصعب على الله ان يجعل نفسه على قياسنا .

انهم يشدون والجسد النصف الممزق يصر ويصرخ
انه مضمد مثل معصارة انه مسلخ بشكل مخيف
كي يصح ما قاله النبي متنبئا بهذه الكلمات : « ثقبوا يدي ورجلي . وعددوا عظامي كلها »

لقد اخذت ايها السيد ، ولا يمكنك التخلص .
سمرت على الصليب من يديك ومن رجليك
ليس لي ان ابحث في السماء مع الكافر ومع المجنون
فهذا الاله القائم بين اربعة مسامير يكفيني

(« . كورونا ... اني داي »)

« انشودة الرون »

ليباتا : ما اجمل ، المركب الاسود ، والريح ، وهذا النسيم
نفسه على وجهي ،
تأتي به مستقيما بعد بعض ثوان ، من البحر ،
وعندما يلقي هوائيه ، ويدور ، ويستلقي على جانبه ،

ما اجمل رجلي الذي من خلال الشاطىء الشاسع من الرمل
المبهر ،
يجد من واجبه بلوغ الوطن ، رجلي الذي يعلن الانتصار
ويطير على رجليه المجنحتين ، طاردا الارض باصبع من رجله
متحمس .
والعذارى اللواتي ينظرن اليه من اعلى التلة يرين غمامتين من
الغبار ترتفعان دوريا تحت « صنداليه » !
وما اجمله ، الخطيب ، عندما اخيرا ، لدى ذلك المنحنى من
« الرون »
يظهر ، الاول بين جماعة فروسية من اخوانه
انه بين الشبان جميعهم الذين هم من سنه ، الاكبر والاجمل ،
متقلدا السلاح الذي يرمي بريقا !

آه ، فليضمها بين يديه مجتثة فاقدة الروح ، مثل دن كبير مملوء بخمر نجسة ، يركزونه من اجل وليمة اله ، يتمايل على طرفه الحاد .

اذا ماذا ينفع ان تكون امرأة اذا لم تقتطف ؟

وهذه الوردة ما نفعها اذا لم تلتهم ؟ وما نفع ان تولد الانثى اذا لم تكن لواحد آخر ، او تكون فريسة اسد قوي .

آه ، ليأخذني فوق قلبه ، وذراعاه لن تبدوا لي اطلاقا قاسيتين جدا .

وليقتلني اذا شاء بشرط الا يتركني اتخلص !

ليمتدح آخرون الوردة ، اما انا فامتدح الرجل الحر ، الذي لا يؤخذ الغير المنتظر .
الذكر ، السيد ، الاول ، المحرك
الرجل الذي تلقى من الله نفسه ، اصله ، ولا يتعلق الا به وحده .

والسعادة سجن قوي . ولكن ما نفع الكأس المملوءة من تلك البحيرة المسحورة ، وافخاخ ذلك الليل من الحب حيث قدم الشمس المستعدة للعودة تتردد ؛ لو لم يكن الرون موجودا ، اعرف هذا ، ليخرجنا من ذلك الامر ، وما نفع تلك المياه الرنانة لذلك النهر المسلح الذي لا يستطيع احد اخذه اسيرا .

انه ليس من الارض يخرج ، بل هو من السماء يهبط مباشرة !
وانظروا حولنا ،
اوروبا حولنا من كل الجهات لتستقبله استقبالاً عميقا متقشرة
تنهض ، وتنفتح كوردة شاسعة ،

الارض ، حتى الجليديات العليا حتى الاولى منها السماوية
باهدابها الطويلة من الجدران المتراكمة الواحد فوق الاخر .

ترتفع وتنفتح كمدينة خرائب او كوردة منتهبة ! يلزم عدد كبير
من الجبال « لرون » واحد !

لا يوجد سوى « رون » واحد ، ومائه عذراء من اجله في
المرتفعات .
لا يوجد سوى « رون » واحد لبرج الثور الوحيد هذا .

الف فرسخ من الجبال ، ومائة عذراء ، ومائة قرن متوحشة ،
عشرون جبارا في الهواء الذي لا يمكن تنشقه ، مدججين
بالسلاح الثقيل ، وعشرون قمة تستقبل نفثات اربع جهات
الارض ،
وعشرون وجها تستقبل بركة السموات اللامحدودة وتصبها
من جميع الجهات نحو الارض بدفعة جارفة صلبة ، في هدب
من زجاج ، وفي كتلة واحدة من الذهب ، وفي شلال لا مادي ،
وفي انسكاب ثابت بقدر ما هي « النشوة » ! مائة جبل في
وسطها « رون » واحد .

يتغذى بغزارة من الأثداء الجليدية للاعالي ، ومن الغدد المفعمة للابعاد المباشرة الاخيرة !
ها هو مستسلم للارض ، ومن الارض التي يجتازها دائما يجد المكان الاعمق
هو ، « العنيف » برقة متسامية يقترن بالمنحدر الاكثر حساسية !
الينابيع جميعها في البعيد ، تسمع صوته ، كالبقرات التي من قمة الى قمة تستجيب لبوق الراعي !
كل شيء يتجه نحوه ، ونهر « الساون » البطيء قد سار ليلتقي به .

تحية ايها « الرون » شارب الارض ، وشارق تلك الوردة الهائلة حولك ، والخط الذي لا يقاوم من الدم المحيي الذي يعطي لكل شيء معناه !
وفوق كل شيء ، ما هو طاهر ، والتاج الابدي في الاعالي ،
ثم تلك الحديقة العلوية في الغيوم حيث الازهار جميعها تنبت من تلقاء نفسها . والاعشاب ، ثم الغابة ،
وثم بعد المراعي تأتي الكرمة فوق السفوح البارزة من الجبل ملتهما مقدمات الابنية كلها ، والبطاريات المشحونة في الحصون ، والمطاعم .
التيار البادي تحت العناقيد ، نحو السهل يتفجر من شفة رخامية !

وفي الطرف هناك في الاسفل ، يختلط مع غياض القصب الاولى والذهب المائع لمواسم الحصاد .

كل ذلك ينتهي في الرون الذي يجرفه ، في ذلك الخط الذي يحرك كل شيء ،

مثل النار التي تحب ، ومن مدينة محروقة لا تصنع ضحية واحدة !

اذ ما نفع الارجل اذا لم تتلاق في السباق الذي يجرفها ؟ والقلب
إذا لم يحسب الزمن وينتظر الثانية التي لا بد منها ؟

والصوت اذا لم ينضم الى الصوت الذي بدأ قبله ؟
والحياة اذا لم توهب ؟ والمرأة اذا لم تكن امرأة بين ذراعي رجل ؟

« نغم ذو ثلاثة اصوات »

« عذق » الخريف

نضج العنقود ، بقعة الدم ، خصلة « الباشنت » (Bachante) المرمية بفارغ صبر ، انت تألمي يا اغنيتي ، « جيبسي » بين الفصول ، قبل ان يصبح جناحك الاقوى ! قبل ان يخلط الشتاء ثلجه الصبور مع النيران الارجوانية

لوعائك ! الشمس في رضاعة سيئة ، غريبة تماما ، مشوشة جدا ، حمراء جدا ، مضطربة جدا ، لا تتحمل جيدا كأس تشرين الاول .

عذراء مسمرة ذات خدين ابرصين مثل تفاحة ضفدع الشجر ! احشاؤك السمراء مثل فطر الغاريقون مع تلك الوردة الضعيفة في طرفه ، فمك قرمزي جداً الى درجة ان البدر وحده يستطيع ان يختمه ، وان وجنتك لا تتناقض مع تلك الفيستالية [1] ضباباتك تعطل بريق الفولاذ المنبثق من صحيفته الصافية وتغلفه بشدة في معدنها الخبيث الصدىء .

وما اكثر ما عدا ذلك ، آه حقا ! في السابق راتب القمر في تلك الايام المتحضرة من شهر ايار تنطلق باجنحتها الرقيقة البيضاء المبسوطة من عشها في المرج المائج للبحر !

ايها الخريف ! آه قل لنا بماذا شرايينك محملة ؟ هل عصير العنبر ، والعصارات الخفية لجميع الثمار المسحوقة تغلي كالمجنونة في شرايينك المزبدة .

كرة شعرك ، من حيث تسيل هذه العناقيد المكفهرة تخبىء بشكل سيىء اذنيك وجبينك . ليل عينيك المحرق مثل زهرة

---

١ ـ كاهنة الالهة فيستا احدى الهات روما القديمة .

الثالوث ، والفكرة المخملية من حيث يتسرب انعكاس الاحتراق الداخلي . ثوبك الذهبي الاصهب ليس منخفضا الى حيث يغطي شكل رجليك العاريتين من كل صندال ، ان ثوبك الذهبي الاصهب منخفض الى حيث يحجب رجليك حيث اللون الاحمر يمتزج مع الاسمر ، مثل الشمس اللامعة في خمار « فينيس »

القلب الكريم للسنة هو لك ! يداه على رأسه ضحتا بتاجك ، وورقة ورقة اصبح كله مبعثرا ويرقص في موجتك الخمرية . كنت انت التي نظرت اليها الشمس باستدارتها البرونزية من وراء قضبان شهر تموز ، انه التقصف الذي كانت تأمل ان يصيب ذلك الذهب الناضج ؟ بينما الريح الشمالية تعدو على صناديلها الماهرة بقوة لا ترى وفي يدها سيفها الذي لا يقاوم وارجلها الجموحة ، وذلك الرأس مثل زهـر البحـر في « الشتاء » لتأمل ارض متحجرة .

وفي نطاق سماء من البلور ، متوازنة فوق كف يدك ترى المظاهر الفرحة تظهر ، وتلون قبتها الفافونية (Favonienne) وهي اغنى الى حد ان « الغرب » ، لم يمنح مثلها ابدا الى الصيف المتوفى !

تنين النهار الميت ، يحني رأسه ويختلج في نزع احمر في المغيب ! او ان الماء هو الذي يضرب باجنحته المختلجة ،

وبريقها يتلاعب على خضرة البحر المتدحرجة ، التي تهبط احشاؤها كالحفرة وتنتفخ ، احشاء شاسعة غير مـرتبة حيث الريح تعزف موسيقاها الى ان تلامس تويجات الزبد المتقلصة الشاطىء مبعثرة ، مثل تويجات الورود اليابسة المضغوطة ، والمفتتة ، او ان الطبيعة كلها اكثر قدسية ، واكثر صفاء ، واكثر سموا معك ، تبدو كانها كهنوتية.الساعة الهادئة تعزف على صنجها الذهبي هناك بالحان ذات نغم طاف نداءها الذي يتسع عند « تقدمة » المساء .

انظروا كم ان الليل يسيل منها ، وقبعته تركع عند درجة اقداس الشرق . ما هو ذلك الشعوز بالبخور من كل جهة ؟ انه مرتبط مع ذلك الشعب من السحب باريطة كهنوتية ، وترتفع في بخار علوي من ذلك الاناء المعبدي الارض التي تؤرجحها روح قادرة مجهولة امام العرش المرفوع . اليست تلك هي العلاقة التي بها تلك الاشرعة المنشورة من الصمت ومن النور . ومن الحس تطلعنا على لست ادري اي حضور في كل مكان . واية صلاة غير واضحة ، واية يد على الخصلات الحريرية للهواء ؟ ولكن مضت ساعة كاملة تمامـا من اجلك ومن اجلي ، ايها الخريف ساعة تماما من ذلك الطقس الوثنـي التيتانـي البدائي ، من اجلك ايها الخريف ومن اجل سرابك وذلك عندما حول الارض البكماء والصلبة ، تشتعل شموع السمـاء الصفراء شعلة تحت المنصة الهائلة لنعش الليل .

غير ان ريحا قوية تجعل النجوم جميعها تتوقد ، صارخة · خلوا مكانا للبدر انه آت ، اني اكنس الطريق امامه . ثم تموت لان البدر باق . بـاق فوق الاثيـر المختلج في رداء لا يمكن تخيله مصنوع من ذلك الكتان المحاك المنحني برخاوة . والذي صنع منه زهر الزنبق . والنجار على قدميه مثل تويج الزنبق . والضبابة التي تحيط به تتلون باضعف الالوان ، كما لو انه ازال النجوم تحت المعصارة وكأن الخمرة المذهبة تدفقت على ثوبه ، وسالت حول قدميه ، ولطخت ثيابه ، مزبدة في فقاقيع ذهبية تحت نفحته ، وكانها مشنوقة متبخرة حوله :

آه ، ايها الفصل القدير ، ما اعظم مرفأك ! انت تستمد من اله اكيد تاجك الابدي ، ذلك الحق الطبيعي المعقود حول راسك . السموات تتوج جبينك ، والارض الامبراطورة هي الكرة في يدك ، ومن كتفيك يتدلى المعطف الواسع للهواء . ماذا تهم تلك الارض الباهتة والمظلمة ؟ السموات مليئة بالرقة ، وهناك تتفجر ايها الفصل الانتصارات . اغفر لي ، انا الذي استطعت ، متناسيا مذكرتي الافتتاحية ، ان اقسـم الى قسمين ، الوحدة الواسعة لمملكتك لكي امنحك نصفها بينما انت تملك الكل .

لن اقول ان سلطانك يبتدىء مع الشمس الرعوية التي تغسل في البحر السلخ الذهبي للنجوم ولا تنتهي مع النهار .

عندما من شفتها المضطرمة تكسو باللون الارجواني الموجة المالحة .

بينما انا ارى « ارتيميس » في فرواتها المأخوذة من حيوان الفاقم تخلو الى واجبها في الساعات المعينة لها لانها هي ايضا القي على عاتقها في كل خريف واجب القيام بمهمة الكرمة ، عندما تدخل محملة آلاف العناقيد من القناديل الى كرمة الليل المتكاثرة .

(مترجمة عن فرنسيس « تومبسون »)

« فيرلين »

١ ــ « فيرلين » الضعيف

الولد الكبير جدا، الولد الذي ازمع بشكل سيىء ان يصبح رجلا ، المفعم بالاسرار ، المملوء بالتهديدات .

المشرد بخطوات واسعة ، الذي بدأ « ريمبو » والذي يذهب من مكان الى آخر .

قبل ان يجد هناك ، وللابد جهنمه النهائي الى الحد الذي تسمح به له هذه الارض .
الشمس تجاهه الى الابد ، والهدوء الاكمل .

ها هو للمرة الاولى يلقي عصا التسيار . بين رجال الادب المخيفين هؤلاء ، وفي المقاهي ، لا شيء لديه يبوح به . سوى انه وجد من جديد الخلود .

لا شيء لديه يبوح به ، سوى اننا لسنا في العالم !
رجل واحد خلال الضحكة ، والدخان ، والكؤوس ، وجميع عدسات النظر تلك ، وجميع تلك اللحى القذرة

واحد فقط نظر الى ذلك الولد . وفهم من كان ، نظر الى « ريمبو » وانتهى الامر بالنسبة اليه من بعد .

من « البارناس » المعاصر ، ومن المحترف حيث يصنعون تلك الموشحات التي تنطلق وحدها كما أكياس الموسيقى !
ما من شيء بالنسبة أليه من لا شيء ، وكل شيء كسر ، ولا امرأته الشابة التي يحب .
وشرط ان يتبع ذلك الولد ، ماذا يقول وسط الاحلام ، والتجديفات ؟
يفهم نصف ما يقول ، ولكن هذا النصف يكفي .

والاخر ينظر الى مكان آخر بعين زرقاء ، بريئة من كل ما يجري وراءه .
يا « فيرلين الضعيف » ! الان ابق وحيدا ، لانك لا تقدر ان تذهب الى ابعد .
« ريمبو » رجل ، انت لن تراه ابدا ، ومن بقي في احدى الزوايا
مزبدا ، نصف مجنون ، مهددا السلامة العامة
التقطه البلجيكيون بعناية ووضعوه في سجن من قرميد .
انه وحيد ، انه في حالة تامة من الانحطاط ومن عدم التمالك .
امرأته ابلغته حكما بالهجر ،

و« الاغنية » الجميلة قد انشدت ، والسعادة المتواضعة لم تبق موجودة .

وعلى بعد متر من عينيه ، لا يوجد سوى الجدار العاري

وفي الخارج العالم الذي يبعده ، وفي الداخل « بول فيرلين » ،
الجرح ، والطعم الذي فيه من تلك الاشياء التي ليست بشرية .
النافذة في العالي هناك صغيرة جدا الى درجة لا تسمح الا برؤية السماء .
انه جالس من الصباح الى المساء وينظر الى الجدار
وداخل ذلك المكان الذي يحفظه من الخطر ، حيث هو داخل
ذلك القصر الذي امتص البؤس الانساني باجمعه تسرب اليه
الالم والدم كما الى خرقة القديسة « فيرونيكا »

الى ان ولد فيه اخيرا . تلك الصورة وذلك الوجه الذي يتضمنها

من عمق العصور المكرر الى امام وجهه الحائر ، ذلك الفم
الذي يصمت ، وعيناه اللتان قليلا قليلا تنظران اليه ،

الرجل الغريب الذي قليلا قليلا يصبح الهي وسيدي .

يسوع الذي هو داخلي اكثر من الخجل الذي يظهره وله يفتح قلبه .

واذا حاولت ان تنسى ميثاق هذه الساعة التي عملت ، يا « فيرلين » المثير للشفقة ، الشاعـر ، اواه كم كانت علقتك فيها سيئة !

ذلك الفن في عيش الانسان مع جميع الخطايا التي هي كما لو لم تكن ، منذ ان تحتفظ بها مستترة .

هذا الفن الذي بأثينا ، كشمع لملاءمة الانجيل مع العالم
كم انك لم تدرك شيئا فيه ، ايها الفظ التافه
ايها الشره ! ليكن الخمر في كاسك قصيرا ، والحثالة منه عميقة !

وطبقة الخمر الرقيقة في كاسك والسكر الاصطناعي كما لو انك تستعجل لتنتهي منها كي تجد الحقد !

ليكن تاجر الخمر قصيرا بجانب المستشفى !
ولتكن العربدة الحزينة قصيرة الى جانب الفقر الاساسي ،

كانت كبيرة خلال عشرين سنة عبر الشوارع اللاتينية ،
الفضيحة امام الانظار جميعها ،
كانت حرمانا من الارض والسماء ، ونقصا بالناس ونقصا بالله !

الى ان سمح لك ان تدرك عمق كل شيء منه ،

ان تدرك فيه ، وتموت فوق ذلك الموت الذي كــان حسب أمرك .

في تلك الغرفة الخاصة بالبغي ، ووجهك يعفر الارض عاريا كما الطفل عندما يخرج عاريا تماما من بطن امه .

٢ ــ « الذي لا يقهر »

انه كان ذلك البحار المتروك على اليابسة ، والذي اتعب رجال الدرك

بتبغه ذي الفلسين ، وسجله العدلي البلجيكي وبطاقة سفره حتى باريس .

بحار بدون البحر بعد الان ، فشرد طريقا بلا كيلو مترات .

محل اقامته مجهول ، لا مهنة ... « فيرلين بول » « رجل آداب »

البائس ينظم في الواقع قصائد تجاهها « انا طول فرانس » ليس لطيفا :

عندما نكتب بالفرنسية ، فذلك كي نكون مفهومين ،

الرجل على كل حال ، غريب برجله الجامدة التي وصفها في رواية .

في بعض الاحيان يدفعون له « على بياض » انه مشهور عند الطلاب .

غير ان ما يكتبه ، اشياء لا يمكن قراءتها بدون سخط .

اذ ان لها احيانا ثلاثة عشر جزءا ، وبدون اي معنى .

جائزة « ارشون دبيبروس » لم تخلق له ، وكذلك انظار

« م . مونتييون » الذي هو في السماء .
انه الهاوي الساخر في وسط محترفين .
كل يقدم له نصائح جيدة ، واذا مات من الجوع فان الخطأ يقع عليه .
لا يمكن المقاومة بذلك الساخر الفقير .
والمال ، لا يملكون منه المزيد من اجل السادة الاساتذة .
الذين سيقدمون فيما بعد دروسا عنه ، والذين سيكونون جميعا حائزين على وسام الشرف .
نحن لا نعرف ذلك الرجل ، ولا ندري من يكون .
سقراط الشيخ الاصلع يتذمر في لحيته المنعقدة
اذ ان « الابسنت » يساوي خمسين « سنتيما » ويلزم منه على الاقل اربعة ليسكر
غير انه يفضل ان يكون ثملا من ان يكون شبيها باي واحد منا ، فقلبه يبدو كأنه مسموم . منذ ان افسده ذلك الصوت الصادر من امرأة او ولد ، او ملاك الذي كان يحدثه من الفردوس !
ليحتفظ « كاتول منديس » بمجده ، وكذلك « سولي برودوم » ذلك الشاعر الكبير !
انه يرفض ان يتقبل البراءة النحاسية مع قبعة جميلة ،
ليحتفظ آخرون باللذة مع الفضيلة ، والنساء ، والشرف « والسيغار »

اما هو فينام في غرفة مفروشة بلا مبالاة تترية .
يعرف تجار الخمور باسمائهم الاولى . هو في المستشفى كانه في بيته

لكن من الافضل ان يموت الانسان من ان يكون مثل الناس هنا

اذن فلنحتف جميعا بصوت واحد « **بفيرلين** » ، الان وقد قيل لنا انه مات .

فذلك هو الشيء الوحيد الذي كان ينقصه ، والشيء الاقوى .

هو ان نفهم جميعا ، اشعاره الان بعدما اصبحت آنساتنا يغنينهالنا ، مع الموسيقى التي وضعها لها الملحنون الكبار ، وجميع انواع المرافقات السارافية !

الرجل المسن الفقير رحل ، لقد التقى المركب الذي كان اقله ،

والذي كان ينتظره في ذلك المرفأ الاسود ، ولكننا لم نلاحظ شيئا .

لا شيء سوى ازيز الشراع الكبير الذي ينتفخ وضجة الجؤجؤ في الزبد .

لا شيء سوى صوت ، مثل صوت امرأة او ولد .
او ملاك كان ينادي : « **فيرلين** » في الغمامة .

(« اوراق قديسين »)

« موشح »

لا تقولوا لي ان لدي خبزا يؤكل ، انا الاخر ايضا فخبز الاخر هو الخبز الجيد .

انه لي ، لاني اشتهيه ، ومن الغريب ان ارى ذلك الشخص ذا الاسنان الملينة يلج بها في رغيفي

لاحظوا انهم وضعوا له عليها صلصة ، وانا ، ليس لدي سوى « جامبون »

لواســتمر في الالتهام على هذا المنوال ، فماذا يتبقى لي كي افطر واتغدى ؟

دون ان اتحدث عما امسك في يدي ، والذي يمنحني نوعا من التفوق الالهي .

من العدل ان اقتله ، اذ ان لدي عصا ضخمة .

الا ان العناية الالهية جعلت ثقبا في جداره ،

وستكون خطيئة بالنسبة لي ان لا استفيد من الفجوة .

اليس مكتوبا في التوراة ، نعم ام لا ؟ طوبى للذين بهم جوع وظمأ للحق .

يا الهي ، اشفق على الالمان ، لانهم لا يعرفون ماذا يفعلون

حينئذ ، طبعا ، ولجت الى الداخل بضربات الدبوس
وتلك خطيئة انكلترا وحدها .
والاخر ارتكب حماقة الصمود وبقوة ، وكان شيئا غير
نظيف التغلب عليه .
المزعج هو ذلك الدم الذي بقي على وجهي ، وهناك كل تلك
الجثة التي تركتها على الارض .
(لا تقولوا انها غلطتي ، انها فقط غلطة انكلترا !)
كل ذلك الدم من طعنات سكين ، قوية تحت نعلي
ذلك الذي لدى كل خطوة ، تحت قدمي يتدفق من جديد
ويغلي !
اقــول نساء واولاد يذبحون ، وتلك الاصابع الخمسة للابد
التي لا استطيع محوها عن وجنتي !
ما الفرق ! لا يحق لاحد ان يكون الاضعف معي ،
وعندما اضرب ، سيكون الاسوأ بالنسبة لكم !
شيء بائس ان احول الى هذا العمل . انا ذا القلب الطيب
جدا .

ارفع ضد « **تشمبيرلن** » كلمة احتجاج
براءتي لدى شمس ايلول الساطعة ،**ظاهرة مثل** دمهابيل
ارفع ضد انكلترا اتهاما كبيرا .
من المضحك الغريب ان افقد الشرف ، ويوجد ذلك النوع
من الدم المختلط مع المخ والشعر ، الذي يعلق في عقبي .

« يا **الهي** اشفق على الالمان، فهم لا يدرون ماذا يفعلون
وها هو العالم كله في الوقت الحاضر يقف ضدي ،
كما لو لم يكن كافيا لتعاستي ان افقد الشرف .
لا يوجد شيء اشعر تجاهه بشيء من الحق اكثر من مال الغير .
انه الان لي ، بطعنات السكين ، وقد دفعت الثمن العادل !
اذ ، ماذا يريدون مني ايضا ، وما هذه الطغمة من القتلة واللصوص على اثري ؟
ادعو الفيلسوف « كانت » وقد تصرفت تبعا لشعار عنصري .
وبما انكم تقولون اني فقدت الشرف ، فيجب ان احتفظ بشيء مكانه ،
وفلاسفتي علموني انه لا يوجد اي فرق بين « نعم » و« لا »
غير اني املك شيئا من الاحشاء ، والمعدة التي تعرف تماما ما هو جيد .
أريد ان اقول مال الغير ، لكن لا يوجد الا تلك **القطعة في** حلقي تذوب .
ولكن يحدث احيانا ان تكون صعبة الهضم
اذن ، لماذا تقعون على ظهري عندما اكون منشغلا ؟
ما من شيء كالذئب يستطيع ان يستخدم الحمل .

يا الهي اشفق على الالمان ، لانهم لا يدرون ماذا يفعلون

« ارسال »

هناك زويعة على البحر تتهيأ والسمـــاء هنـاك مثـل الرصاص .
يوجد نار الله في مكان ما ينضج مفاوضته .
يوجد هؤلاء المذبوحون تحت المذبح يصرخون الى متى ، ايها السيد ؟
يوجد ذلك الصمت لنصف ساعة في طريق البدء
يوجد تلك البرهة القريبة التي ليست شيئا اخر سوى انه بعد قليل ،
سيدخلون انفك في جرائمك ، ايها الشعب الفاقد شرفه !
الاولاد ، واولاد اولادك سيتقاسمون معك المهمة التي منحتها كوسام !
الكأس التي اعطيتها للاخرين كي يحتسوا . حان الوقت لكي تفرغها حتى الثمالة !
يا الهي ، اشفق على الالمان ، لانهـم لا يدرون ماذا يفعلون .

باريس ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٣٩
(قصائد وكلمات خلال حرب الثلاثين سنة)

« فرنسا تتكلم »

المنتظر طويلا ، طويلا ، طويلا ، طويلا ، طويلا
طويلا ، طويلا ، والمنتظر طويلا !
اذن لا تقولوا لي ان هذه المرة ، حقا ليس خيبة الامل ،
بل إالخلاص !
وان هذا الباب بعد اخر ينفتح وان سياجا وراء اخر
يستسلم ، انما هي تلك الضجة التي تقولها نفسي بدون ان
تؤمن بها الى نفسي : الا تسمعين ؟
المنتظر طويلا ، والمرتجى ، والميؤوس منه ،
والمرتجى والمرتجى بيأس !
النبأ الثقيل بعد ذلك القدر من الرجاء منذ جرى احتواء
المخلص والانزال قد
ارجىء !
وألان قيل لي ان الامر قد تم على وجه حسن وان ذلك
صحيح ،
الجانب
وان الشمس حقيقة امامي على الجدار الذي يرسم ذلك
الخط .

وان ولدي الذي في الجانب الاخر من الموت ، وصل وتلك النفحة ، وذلك الثغر على قفا عنقي ،

وتلك الصلاة التي لا نهاية لها في قلبي بغتة توقفت ، وان صمت الله هائل ومفاجيء

من يؤمن الا بتلك الكلمة الفائقة الوصـف « الا تسمع ؟ » وانا لا اقدم الا اذنا مشلولة .

وتلك الآهة المتصلبة في قلبي ، اهي امرأة عاجزة ان تتحرك ؟

لقد قاسيت كثيرا ! وصنعوا بي كثيرا . لقد شدوا بي كثيرا واعادوا الشد من جديد !

لقد طرقوا راسي كثيرا على الجدار ، وداسوا كثيرا على بطني العاري !

كل ذلك انه الجسد بعد كل شيء . انها الضربات . وليس ذلك ما يؤخذ بالحسبان ، اني مسنة ، وقد تحملت من جميع الانواع في الماضي ، ولكني لم اكن معتادة العار !

لم يسلموا فقط جسدي ، بل اقاموا احدا
في نفسي . احدا قال للمسخ :
خذها ، انها هي ذلك الشيء الموافق والذليل .
وانت هو الاقوى ! انت جميل ! خذ
راحتك ، يا عزيزي ، فهي لا ترجو الا هذا !
ستكون مخطئا ان ترتبك ! اصنع بها كما تشاء !
اليست السعادة الكبرى لامرأة ان تلقى عشيقها ؟

اما ان تكون الاقوى ، فذاك اكيد ، لا شيء تصنعه الا
الاعتراف بذلك .

ها هو ذلك الشيء البائس ، مرة اخرى ، يأخذ السلاح ،
دعني اضحك ، عن حق !

اما الان . فالاحلام قد انتهت ، هوذا النظام الثابت
والبارد !

النظام الجديد ، كما يقال ! ايها الرجل الصغير ، الامر
الجديد هو انت

ها هو ما كنت من ثلاث سنوات اسمعه من فم احدهم يتكلم
مكاني .

لقد جلسوا فوق قلبي . واسمع احدهم يتكلم مكاني
احدهم يتكلم بشكل حزين مكاني ، ويتمرن
بان يرد كل صباح .

ان ذلك عمل جيد، واني أنا المذنبة واني استحققت كل شيء
وان كل رجاء اكذوبة ، لقد أطفأوه

واننا لكي نكون على احسن ما يكون في العار ، ما علينا
الا ان نقيم فيه على احسن ما يكون .

عندما تكونين من المنهزمين ، يا سيدتي العزيزة ، فهذا
يعفي من ان يكون لك تطلعات

الان تقولون لي ان ذلك حصل ، وانني عدت من جديد
فرنسا ، واني حرة ؟

ليس عمل برهة واحدة ، وعضو الى عضو ، وعصب الى عصب .
اعادة اكتساب الطول نفسه ، وجميع الحدود الملكية والشرعية لذلك الشخص المنكفىء ،
والملكية حتى تفاصيل جسدي ونفسي وذاك الاسم نفسه الذي نسبته !

فرنسا ! فقط في افواه الخونة كنت اسمع هذه الكلمة : فرنسا !
فرنسا ، كانوا يقولون ، **« ماين فوهرر»** (mein führer) من اجل خدمتك
حسنا ، صحيح على كل حال اني فرنسا !
واذا كانوا رأوا هبوطي ، فسيرون الان كيف يكون خلاصي !
ان ذاك كان يستحق حكم الموت ، والسجـن ، والعـار والظلمات ، والليل .
ذاك كان يستحق حكم العدم ، والموت في سبيل الانبعاث !
حكم العدم لكي انهض ، وكليا بكامل قوتي ، وبكامل كياني في النقل والبكاء

القط كلمة : انا موجودة !

بينما هم فرحون في الاعلى ، وبينما يد العار تشد على اليد القاتلة ،
وانا في العمق ، وفي الليل ، كنت اصنع ميثاقـا مع جذوري .

جذوري ليست ، كما تفخرون بجذوركم في الوحل ، والدم ، والمادة .
انما في الارادة المتواضعة لاحدهم مقرونة بارادتي باكملها تماما .
مشيئة الله ، يا ويلي ! خلال العوائق والفجوات
ذاك التخالط العنيد بين مسبب وجودي والعدالة .
والان ! ماذا تحملون لي مما يستحق عناء العودة الى ان اتعلم ان انهض ، وانظر وارى ؟
اية حقيقة الاقوى تكون على قدر يأسي ؟
الوعد بعالم جديد ، كالقديم في الكذب والمزاعم ،
هل هناك تقول نفسي بصوت منخفض جدا لنفسي : هل تسمعين ؟
الوعد بعالم جديد في الجوهر نفسه
لكن معاد تفصيله من جديد
ماذا تجيبونني ، اذا قلت لكم ، انا الميتة الهذ ايقظتموني ؟
« ولكن اليست البرهة جميلة جدا ، ستقولون ؟
لكن ما نفع تلك البرهة ولماذا هي ؟ »
غدا سيكون غدا ! ولكن من جديد تلك البرهة التي يملأها فرح عظيم !
اسمعي تلك الضوضاء الفرحة ، جميع هؤلاء الاصدقاء من بعيد جدا ، وصلوا اخيرا حتى اليك !

تعالي ، لقد البسوك الخف من جديد في قدميك ، ووضعوا
من جديد الحلقة في اصبعك
خذي مكانك ، ايتها الام المحترمة في الفصح الكبير للامم !
كل شيء اصبح ممكنا ! ومن يدري اذا كانت الشمس
التي تغيب الان في الافق
لن تشرق غدا على عالم ، على عالم اخير
« جديد منفتح للحب والعقل ! »
كانت تصغي ولا تفهم تماما . ليست ابدا منفتحة تماما على
ما يجري .
لقد شغلت طويلا الليل وهي تنظر الى نفسها وجها لوجه
انها مفعمة بذلك القسم الذي حلفته بصوت منخفض .

برانغ ١٤ ايلول ١٩٤٣
(« قصائد وكلمات خلال حرب الثلاثين سنة »)

« المزمور الخمسون »

« شكوى »

اشفق علي ، يا الهي ، في واسع رحمتك !
وفي الينبوع اللامتناهي لرحماتك يبدو طافيا تعسفي !
انقذني حتى الاعماق من هذا العدوان الذي انا هو ، على الحق . طهرني من خطيئتي !
لقد عملت كثيرا بشقائي ، ولهذه الخطيئة عدوتي بدون انقطاع والى ما لا نهاية ،
انت وحدك تحسب . وامامك صنعت الشر ، حتى تصبح اقوالك مبررة ، ومن كل نقاش تخرج منتصرا .
انظر الي ، انا الذي تكونت في الخطيئة . وتلك الخطايا حيث امي حبلت بي ، متراكمة واحدة فوق اخرى !
لكني اعرف ، انك ، انت لا تحب سوى الحقيقة ، الــخفي والمشكوك فيه من حكمتك ، كان يجب ان تتمكن من ايصالهما لي !
ستلمسني بالزوفا ، وساصبح نقيا !
ستغسلني فلا يكون الثلج اكثر بياضا .

ستمنحني في اذني ، العزاء والفرح والعظام المحتقرة ستبتهج !

حوِّل وجهك . انظر الى مكان اخر ، تعرف بحيث ان هذه اللطخة التي تشويني ، تصبح كانها لم تكن !

اخلق قلبا نقيا في ، ايها الرب ! جدد في عمق احشائي روحا مستقيمة !

لا ترمني من أمـــامك ، قل ان روحك القدوس ، لم تنتزعها مني .

رد لي لطف حضورك المنقذ ، ثبتني مع الروح الرئيسة .

ساعلم صراطك الذين لا يـعرفـونه ، فيعرفون واراهم يتويون !

انقذني من هذا الدم ، من هذا الدم ايضا ، من خلاصي !

ولساني سيسبح بعد لك .

ايها السيد ، ستفتح شفتي ، وفمي سيعلن مسيرتك ،

التضحيات ، اذا كان ذلك ما ينقصك ، من الاكيد انك ستنالها مني ! انت لن تفرح بالتقدمات

التضحية التي تطلب ، هي روح منكسرة من الالم ، لن تحتقر ايها الاله قلبا منسحقا ومذلولا .

اظهر لصهيون طيبة احسانك ، حتى تبني جدران اورشليم .

والتقدمة، وعندئذ ستقبل تضحية الرضي والقربان

سيفرضون لمذبحك الضحية المناسبة .

(« المزامير السبعة للتوبة »)

٢٥ كانون الاول سنة ١٨٩٦

انت على كل حال ، يا سيدتي ، التي كان لك المبادرة .
اما انا ، فما كنت الا واحداً « كالآخر ... » داخل ذلك الجمهور العابس واللا منتبه .

عنصرا مثل « الاخر ... » طافيا في وسط تلك الجماعة المراوحة والمتراصة .

ذلك الفراش من الاجساد الشعبية تحت الثياب ،

ومن القلوب الرخوة الذي يحتفظ بي منضما الى هذه العارضة .

كان ذلك اكثر ايام الشتاء دكنة ، وبعد الظهر الاكثر سوادا ، من المطر الهاطل فوق باريس ، وصلاة نصف الليل لعيد الميلاد ،

وفرقة الموسيقى في الوسط المضيء ، من الذهب والكتان .
والسجادة الكبيرة مع تلك الجماعة من خادمي القداس ، ذهب وكتان حتى المذبح .
الاحتفال بالنسبة لي جانبي ، والاضاءة من ذلك الشعب الابيض الذي ينشد ويتم شيئا ما في الوقت الحقيقي .

انه ينشد ، ولكن سيكون اكثر واقعية ان اقول انه يتسلو، وانه يطلق شيئا بابتهاج وبحماسة ، والصياح بجملة كبيرة كلية ـ القدرة تنطلق وتتضخم ، وتتدحرج ، وتنتشر بحلزونية شاسعة !

وهناك برهة مخصصة للارغن وحده الذي يتأمل ، وثم من جديد الجملة الكبيرة ، والموجة ، الجملة الكبيرة الواقفة لا تقاوم ، وتعلو ، وتبتدىء من جديد !

زئير اسرائيل نحو الهها في اول الاجيال الى نهايتها ! من خلال الدخان الذي يرتفع والذي يتمدد ، « نوتردام » : « المرأة ـ الكنيسة » بصرخات كبيرة ، ملأى بالله مبرزة عظمتها الخاصة .

وحينئذ انا،ذلك الولد البائس ـ اجل انا نفسي،اقول ! ماذا صنعت كي اكون محمولا على هذا الشكل ؟
وذلك الخزان من الدموع القادرة الذي ينقطع ، من اين يأتي ؟ تلك الصرخة الوحشية وذلك القلب الذي لا يثبت ابدا في حذائي ؟

كل ما كنت واثقا منه انتهى ! ولا شيء اصنع ضد التدفق الوحشي للرجاء !

لا شيء يصنع ضد الفوران ، كالعالم في اعماق احشائي التي من الايمان !

لا شيء يصنع ضد ذلك الصوت الذي كان قبل ان يخلق العالم ، ويقول لي : انا اؤمن !

حينئذ كل ما حصل من ذلك الوقت ، يا سيدتي ، فليكن ، انت تتحملين المسؤولية !

كل ذلك الاكتشاف بالتلمسات ، الذي حاولت صنعه من طرف العالم الى طرفه من خلال فوضى هائلة ، وتكالب ، وقذارة !

ذلك الاكتشاف المتلمس وحده من خلال عظمة عدالة الله !

التجاوب مع الام ، من ذلك « الاب » الذي لنا في السموات .

التساؤل مع العالم . ومع كل ما يوجد

ومع الخطيئة ،

ومع هذا الطرف حتى الطرف الاخر لافق

الارض المحللة ،

والمستصلحة

من ذلك الاحد عندما يدفع حتى الافق والذي ليس محتارا في ايجاد مبرر غياب

انها الابتسامة تظهر فجأة كجواب وحيد بين ذراعي ذلك الطفل الذي يتركنا عزلا ومحرومين !

وحينئذ ، اذا لم أصنع افضل ، فلن تكون غلطتي !

دعيني اقل لك ، من الارجح انك ستفعلين الشيء الجيد نفسه ، نعم ، حسب اعتقادي . ان انت توجهت الى آخر !

كل هذا الورق الذي راكمته ورائي ، فيه ما يبكي وفيه ما يضحك !

الموقف الذي اتخذه لو حكم علي ان اعيد قراءته .
اواه ، لو يحصل ذلك الاتفاق بيننا
ايتها السيدة ، كل ما صنعت وكل ما كتبت ،
لو شئت ان تدفنيه مثل لا شيء اطلاقا !
وان اقدم نفسي أمامك، لحسن الحظ غير محسوس وفارغ ،
ومنظف اساسا من كل ادب سخيف !
دعيني فقط التقط نفسي في انتظار من لا يتأخر عن
الوصول عندما تحين الساعة ،
مثل احد سيحصل له بشكل هائل شيء ما . مثلا ان يرفع
عينيه ويراك ! ويتظاهر ، وتظاهر بانه لم يخف .

(« برانغ » ٨ ايلول سنة ١٩٤٢)

(وجوه مشعة .)

« المسيح ـ الملك »

لقد امطرت كل الليل ، وعندما ادفع المصراعين باكرا
يظهر في الخارج شيء مظلم ، ضبابة ! سيقطعونها في داخلها بالسكين .
سوى الاستنتاج ان المطر ينهمر ، لا شيء يستحق النظر
لا يوجد شيء في عدم كل شيء ، الا تلك الشجرة السوداء من السرو .
المواطن المحلي مثله مثل الطقس يمتنعان عن الوعد بشيء
لا عزاء اطلاقا يمكن استخراجه من ميزان الطقس .
لقد حشوا كل شيء بالقطن الطبي ، ولا ارى اطلاقا امامي ، شيئا ابعد من طرف قبعتي الخاصة ومع ذلك اعرف ان كل شيء حولي مشغول
وما هي تلك الضجة في الضبابة ؟
انه شيء يصل من الاعلى بكرم
انه الشلال لا يدري احد الى اين ينحدر !
انها الحياة المتدفقة من كل الانحاء الى العدم تتنادى ويدعو بعضها بعضا .

عبثا حاولت ان ادفع معرفة صغيرة ،
فكل ما لقيته كان جدارا ، وكل ما استنتجه كان حضورا !
واعرف فقط ان كل شيء انتهى بالنسبة لي من الطريق السالك والبورجوازي .
غدا سيكون باربعة اعضاء التصعيد في الجهد وفي النشوة .
غدا سيكون التصعيد رجلا رجلا مما يجعلني اتعرف الى وزني الخاص .
غدا وعن طريق احدى الرجلين سيكون انتزاع تلك الرجل التي هي اكثر انخفاضا من الارض
اما اليوم فلا شيء للعمل سوى اللعب بالبليارد .
مكتبة الفندق ليست شيئا نادرا .
يعرضون امام تأملاتي هذا الجدار المغطى بالمعلومات السياحية .
ولدي كوسيلة للراحة المحادثة مع الخدم .
لا عمل لي سوى الرقاد ، والنوم في الايمان .
ليل نهائي يشـد على العالم ، فليكن !
لكن فجأة عند دقة منتصف الليل سمعت طرقا على نافذتي .
ونفحة من الريح نفذت الى الكوخ .
شيء ما حصل في السماء ، لا مجال للشك فيه خرير الشلال اصبح اقوى ، والمطر انقطع تماما .

وضوء ضعيف في الاعلى يخترق تلك الكتلة الرمادية ،
واسمع شيئا شاسعا يعود على دفعات ضعيفة .
وفجأة ارى في الاعالي قرنا وحشيا يلمع ،
لقد عمل لنفسه شقا ، كان احدهم يفتح فمه .
شق صغير جدا كانه فم مع نجمتين في داخله .
الان استطيع ان اعود الى النوم ، وقلبي راض .
ولا شيء سوى ترك الريح تقوم بعملها في التنظيف ،
وها هي تنكب على العمل انكبابا وحشيا !
البدر فوق حصانه الاصفر ، يخب في السماء الممزقة ينفح على جميع جبال الالب ، نفس الحرية !
لا اريد ان انام ، بل اريد ان اصغي ، اضحك وحدي تماما ، وان اصغي !

ما فعلته الريح في الليل ، بعد قليل ساذهب الى مشاهدته .
آه لست ابدا وحدي ، الان يوجد احد في اللازورد !
يوجد هذا الكائن الابيض تماما في السماء المتدثرة بثوب لم يخط !

ومكان هذا الليل المتوازن الاخلاط وتلك الضبابة المشوهة يوجد ذلك الكائن الموسوم ، في اللازورد ، يقوم بحركة هائلة !
لقد انتهى ما ورائي من الطريق ، لقد انتهى التدرب والسجن .

ما يحدث لي في اللازورد ، اني اليوم سأملك الجبل .
انت تعرف ان لا شيء موجود واني ملك !
هوذا ذلك الشعار الهائل فوق جميع المسيحيين .
شيء ما ينفح في وجهي ، واني اتنشق تلك النفحة الندية !
لقد حانت برهة الرحيل ، لن اعود ابدا !
الايام الستة المخيفة انتهت ، اما اليوم فهو الاحد !
سانضوي الى الابد في ثنايا ذلك الثوب الابيض .

« وجوه مشعة »

« القديسة جان دارك »

سهم في كفها . وفي جعبتها ـ الحديد ايضا ، صاف
بقدر ما هي شمس نيسان عند الساعة السابعة ، ها هي جان
دارك فوق حصانها الابيض تسير ضد المغتصبين .

لقد صنعت لنفسها علما مثل الذي عندما كنت صغيرا
جدا .
كانت الراهبات الطيبات يوم الاحتفال بالعيد تعطيننا .
بينما روما كانت قد انتزعت من البابا من قبل غاريبالدي .
والذي لن يكف احد في العالم عن ان يقرأ فوقه
يسوع مريم . من الاكيد ان الرحيل صعب (اعرف ذلك
لاني كنت هناك) يا اختي الصغيرة ذات الثمانية عشر عاما .

وعندما حانت ساعة الوداع الذي لا لقاء بعده لابويها
العزيزين .
ها هو العناق الاخير للاب ، والام بيدها المسنة المغضنة
الممدودة الى الوجه العذري ،

كنت انظر الى تينك الشفتين الشابتين المرتجفتين وتينك
العينين اللتين تبرقان كفرقدين !

اذ هناك فرنسا منقلبة تماما ، وذلك الملك الصغير المسكين
لا إدري اين كما يستطيع ، وتلك الذئاب الكبيرة الجائمة فوق
البلاد تنتزع كل شيء وتنهب ،

هل يمكن تحمل ذلك مدة اطول ، وتلك ليست غلطتها
فهي ليست سوى فتاة صغيرة !

وعندما كانت ترغب في ان تتوقف كانت تلك الضربة في
قلبها وذلك الصوت

القائل : يا ابنة الله ! آه يا ابنة الله ، ما الطف ذلك ! يا
ابنة الله اذهبي ، اذهبي !

ومن يسمع كلمة ابنة الله ! هل يجد وسيلة لان يتوقف ؟

صرت على اسنانها ، وارتجفت ، وهنالك تلك الضربة
الكبيرة في القلب مثل جرعة من الدم ، تضعها مستقيمة تماما
فوق ركابتي السرج .

والان ، اصغوا ، يا سادتي رجال الدولة وانتم جميعكم يا
سادتي الدبلوماسيين ، وانتم جميعا يا سادتي العسكريين !

وانتم يا سادتي كهنة القرية الذين بسبب بؤس الازمان ،
تزمجرون في عمق رعياتكم ،

جان دارك هنا لتقول لكم : يوجد دائما شيء افضل ان
يعمل من ان لا يعمل شيء .

هناك دسائس البلاط جميعها ، وهؤلاء الانكليز جميعهم الذين

لا يقهرون والرماح والاسوار الخاصة بهذا النوع من السلاح الحديث المدفع والطقس السيىء والخونة والبورغوني والجحيم ،

وعلى الخبب الكبير لحصانها الاحمر الذي يقدح الشرر من حدواته الاربع ، انطلقت جان دارك

وتمكنت من التغلب على كل شيء ، ما عدا بوروجوازيي باريس .

انقذت « اورليان » وجاءت « بالملك الى ريمس » واذا لم تأخذ باريس

ولم تتمكن من دخولها — افهموا جيدا — فان السبب دون شك ان شيئا اخر كان قد بدأ ، وان المعركة الاولى كانت قد انتهت :

والان ، ها هي المعركة الثانية التي تخوضها وحدها دون اصدقاء ، دون مراكز ولا اسلحة ودون مبررات .

معركة الشباب والحياة ويسوع المسيح ضد الرجال العلماء .

لانهم الان يقبضون عليها وسيتوضح الامر . جميع تلك القصص عن المرأة الطيبة في يديهم وسيتمكنون من المناقشة .

انا انظر الى جان دارك وهي فريسة في الجامعة .

لقد حل الظلام ، وذلك ليس مثيراً للسخرية يا « روان »

وبما ان جميع تلك الشموع الصفراء تضيء بشكل سيىء فما هي جميع تلك الوجوه التي تثير الرعب ؟
ذلك ناتج عن البكالوريا ، ومتحف الرعب !
جان دارك وحيدة تماما على مقعدها وتجيب .
يطرح عليها الاسئلة اسقف له رأس خنزير .
ماذا يحدث ؟ وماذا لديهم ضدها ؟
ومن هو اليوم ذاك الذي في تلك الثياب . والذي علموه دائما ان يقدم التبجيل ؟
انهم ليسوا كهنة ولا رهبانا ، بل هم شياطين البسوا اللعنة .
ومن تحت فروة الدكتوراه ، ومن تحت المعطف ، والقلنسوة الكبيرة يظهر فجأة شدق حمار ، واذن عجل
بذلك النوع من « الالكيميا » المرعبة . وذلك اليأس الشيطاني
وذلك الولد فوق طاولة مفتوحة بشكل كامل ، وكنص تحت العذاب يستجوب من بشكل رهيب ، ذلك السر الذي لم يتمكنوا من انتزاعه ، بذلك انتهت القرون الوسطى .
كل ما كان يختمر من العجرفة السوداء والحقد الهائل ضد الله في اعماق الاكليريكيين السيئين
كل ما كان يشوى على نار خفيفة من الكذب والشقاوة والمرارة ، وتلك الباقة من الديدان وكل ما هو موجه ضد الله من ظلام ، وطمع فينا وخبث ، ورفض ابدي ،

ذلك التحالف من الجنود والكهنة مرتكبي الخطايا الجسدية والتيولوجيين والامراء .
كل ذلك الذي عما قريب سينزع من الكنيسة نصف ممتلكاتها .
كل هؤلاء قد سبق لهم ان اصبحوا هنا ضد جان دارك التي تزار وتصفر وتتافف وتبدي الرأي .
ويرى قرد في احدى الزوايا مقرفصا « ويطلخ البول بشيء ما »
سكنت القديسة « كاترين » ومليكي تخلى عني .
وعن جان دارك كتب ما يلي : Tauri pingues obsedurent me
ومن الاكيد انها حافظت على ايمانها وقلبها الحازم .
غير ان سكوتا بدأ يلفها لمدة نصف ساعة .

آه يا الهي ، احقا اذن سيحرقونني حية ؟ آه
يا الهي ، لماذا تركتني ؟ آه يا الهي
لماذا انت صامت ؟
انها لا تفهم شيئا من ذلك الصمت الذي جاء يلفها فجأة .
انها لا تدرك ان السماء والارض بالنسبة اليها قد انقضتا .
واذا كانوا لا ينادونها ، فذلك لانها وصلت .
هوذا الحب الذي كان الاقوى ، وتلك الارادة الطيبة التي التهبت نارا .

ها هي الروح التي كانت الاقوى وجان دارك في الوسط !
ها هو ذلك اللهيب المقتلع من المحرقة . انها تصعد !

اقول ، هناك فوق ، ذلك النوع من الملائكة في جعبتها !
ها هي ذي جان دارك ، الرئيسة ، القائدة الى اسمى ما في
اعماق فرنسا ، تنتزعها نفحة الروح المقدسة .

طوكيو ٢٧ نيسان ١٩٢٦
برانغ ٢٨ نيسان ١٩٤٥
وجوه مشعة

لمحة مختصرة تاريخية
عن « كلوديل » واحداث عصره ..

١٨٦٨ ولد في « فيلنون – سور – فير – تاردينوا » وهي قرية صغيرة من « الايسن »
طفولته في « بار – لي – دوق »
نوجانت – سور – سين ،
واسي (المدرسة البلدية من سنة ١٨٧٩ الى ١٨٨١)
« رامبويه ، كومبيانه »

ولد « فرنسيس جيمس » و « ماري نويل »

١٨٨٢ الاقامة في باريس ، « ليسه لوي – لي غراند »

١٨٨٣ كتب « النائمة »

مولد « اندري لافون » وماري نويل وفاة « واغنر »

١٨٨٥ كلية الحقوق والعلوم السياسية

مولد « فرانسوا مورياك »

١٨٨٦ قرأ في « انبثاق زينات النور » وفي « فصل في الجحيم »
نشر « النائمة »

مولد « بيار بينوا » ، « وفرنسيس كاركو » ، « والبن فورنيه » « وليون بلوي » : اليائس .

٢٥ كانون الاول : التوبة في صلاة الستــار دي باري في كنيسة نوتردام

١٨٨٩ بدأ « راس من ذهب »

« ماترليتك »
مولد « جان كوكتو »

١٨٩٠ المناولة الثانية في نوتردام فاز بالمرتبة الاولى في مسابقة وزارة الشؤون الخارجية .
نشر « رأس من ذهب » بدون اسم المؤلف (منشورات الفن المستقل)
كتب « المدينة »

فليــكس « فينييــون » « العاطفون » سنة ١٨٨٦

١٨٩١ معاشرة « ستيفان مالارميه »
نشر « وفاة مبكرة »
« المجلة المستقلة »

دفاتر « اندريه والتر »
« ومعاهدة تارسيس »
وفاة « ريمبو »

١٨٩٢ الفتاة « فيولين »

جيد : اشعار اندره والتر
ليون بلوي : « السلام عن طريق اليهود »

١٨٩٣ ــ ١٨٩٤ ذهابه الى الولايات المتحدة . قنصلا مساعدا في نيويورك . ثم قائما باعمــال « المعرض العالمي »

هيريديا : النصب التذكارية
« *Trophées* »
مالارميه : « شعر ونثر »

قنصلية بوسطن (١٨٩٤) نشر « المدينة » بدون اسم المؤلف الاقامة في فرنسا ثم ذهابه الى الصين	جيد : « رحلة اورين » · و « المحاولة العاشقة » مقتل « سادي كارنو » وقضية « درايفوس »
١٨٩٥ « شانغاي » ثم « فوتشيبو » (معاهدة الارسنال) قصائد في المنفى الجزء الثاني من « رأس من ذهب »	جيد : « البالود » فاليري : مقدمة الى طريقة ليونارد دي فنشي فيليكس فور : رئيسا للجمهورية
١٨٩٦ بدأ : « الالهات » تطور الكنيسة ـ الجزء الاول من « معرفة الشرق » استراحة اليوم السابع ـ نشر ترجمة « اغا ميمنون » لاشيل (فوشو برنتينغ بريس فوتشيبو »)	« بيار لوويس » : افروديت برغسون : المادة والذاكرة « اناطول فرانس » في الاكاديمية الفرنسية وفاة « فيرلين »
١٨٩٧ مركز في « هان كيبو » الجزء الثاني من « المدينة » « تقدير لمالارميه »	جيد : الاغذية الارضية هنري جيبون : اغاني الفجر باريس : المقتلعون

١٨٩٨ مركز في « فوتشييو » الجزء الثانـي من الفتـاة « فيولين » السفر الى اليابان	اميل زولا : اتهم البيرسامين : في اطراف الاناء وفاة « مالارميه »
١٨٩٠ العودة الى فرنسا عن طريق سورية وفلسطين الاقامـة عنـد رهبـان البينيديكتـان في « ليفوجيه » ــ معرفة الشرق (مركور دي فرانس)	غورمون : تثقيف الافكار موراس : مستقبل الذكاء وفـاة البيرسامـين ، ونيتشـه واوسكار وايلد
١٩٠١ الرحلة الثانية الى الصين : كوليانغ ثم فوتشييو الشجرة : خمس درامـات : التبادل ، واستراحـة اليـوم السابـع ، وراس من ذهـب (٢) الفتاة فيولـين (٢) (مركور دي فرانس)	سولي بروءم : جائزة نوبيل قانون عن التجمعات آنادي نوياي : القلب بلا عدد اندري سواريس : صورة العظمة جيد : الملك كاندول .
١٩٠٢ رحلة الى اليابان ورحلة الى الهند الصينية	حكومة كومبيس جيد : اللااخلاقي تمثيل « البيلييا » و « الميليزاند » في الاوبيرا ــ الهزلية وفاة زولا .

١٩٠٤ معرفة الزمن (فوتشيو برينتينغ بريس ـ فوتشيو)

فرنسا تقطع علاقاتها بالبابوية .
اتفاق صداقة فرنسي ـ بريطاني .
الحرب الروسية اليابانية ـ
جوريس ينشيء « الاومانيته »

١٩٠٥ الرجوع الى فرنسا . زواجه من « رين سانت ماري بيزين »
ابنة المهندس « دي فورفيير »
كتب « اقتسام الجنوب » ، « الفكر والماء »
نشر « الالهات » (مكتبة الغرب ـ باريس)

التصويت على قانون فصل الكنيسة عن الدولة
(كانون الاول) ـ ثورة في روسيا
قضية طنجة ـ بيغوي : « وطننا »

١٩٠٦ الرحلة الثالثة الى الصين ـ بيكين « وتيان ـ تسين »
نشر « مجاز كل النظرية المسيحية » اربع صفحات بدون مكان ولا تاريخ ـ نشر : اقتسام الجنوب : (مكتبة الغرب . باريس)

قضية الجيزيراس ـ وزارة كليمنصو
فاليير رئيسا للجمهورية ـ اعادة اعتبار درايفوس ـ جيد : امينتاس

١٩٠٧ كتب : « مانيفيسا » (العظمة) ـ الالهة التي هي النعمة ، ـ وتحية للعصر الجديد
مولد : ماري كلوديل .

التحالف الثلاثي : فرنسا ـ انكلترا ـ روسيا
انادي نوواي : الانبهارات
برغون : التطور الخلاق

الفن الشعري ـ معرفة الزمن
معاهدة التعايش في العالم وفي
الذات تطور الكنيسة .(مركور
دي فرانس) الطبعة الثانية
مضافا اليها : معرفة الشرق
(مركور دي فرانس) .

جيد : عودة الابن العاق
فرنسيس جيمس : كآبات
وفاة شارل غيرين .
وهو يسمانس ـ والفريد جاري .

١٩٠٨ البيت المقفل ـ
مولد بيار كلوديل
نشر : صلاة صباح الاحد
ورقتان (بدون مكان ولا
زمان)

العدد الاول من : المجلة الفرنسية
الجديدة
لاربو : قصائد من هاو ثري
هنري باربوس : الجحيم
النشرة اليومية : من الحركة
الفرنسية

١٩٠٩ العودة الى فرنسا عن طريق
« عبر سيبيريا »
كتب : الرهينة ، تحت علاقة
التنين ،

جيد : الباب الضيق .
اندره لافون : البيت الفقير
وفاة شارل ـ لوي فيليب

١٩١٠ براغ ـ مولد رين كلوديل .
كتب « بشارة مريم » ـ نشر :
« خمسة اناشيد كبيرة ، تتبعها
احتفال لتحية العصر الجديد
(مكتبة الغرب ـ باريس)

فرانسوا مورياك : الايدي
المتصافحة
سوبر فياي : مثل الاشرعة ،
بيغوي : فضيلة
جان دارك .

١٩١١ قنصل عام في فرانكفورت
نغم ذو ثلاثة اصوات

الجمهورية في الصين .
قضية اغادير

نشر : درب الصليب (دوراندال)
بروكسيل: « الرسولان» صور مقدسة عن بوهيميا ، طبعة مستقلة من الاستقلال (مارسيل ريفيير - باريس) ، الرهينة (ن - ر - ف) - مسرح (١) و (٢) و (٣) - (ماركور دي فرانس)
ينشىء مع اندره جيد ، وجاك كوبو وجاك دي ريفيير وغاستون غاليمار : المجلة الفرنسية الحديثة

فرنسيس كاركو : غارئز
سان ليجه ليجه :
جيد : ايزابيل .

١٩١٢ العرض الاول لبشارة مريم في الاوفر .
مولد هنري كلوديل
نشر : بشارة مريم (ن - ر - ف) كوفينتري باتمور ، قصائد مترجمة بقلم كلوديل ، بحث عن لاربو (ن - ر - ف) مسرح (٤) - (مركور دي فرانس)

وزارة بوانكاره
ذور كهايم: الاشكال البدائية للحياة الدينية
جاك ريفيير : ابحاث ،
حج بيغوي الى شارتر
اناطول فرانس : الالهة عطشى

١٩١٣ قنصلا عاما في هامبورغ .
وفاة والده
الجزء الاول من التبادل عن « الفييو كولومبييه » — الجزء الاول من « بروتيه » — نشر : ارتور ريمبو : مقدمة لطبعة بريشون عن اثار ارثور ريمبو — (مركور دي فرانس) : تلك الساعة التي ما بين الربيع والصيف (ن . ر . ف) خمسة اناشيد كبيرة : طبعة جديدة مزادة (ن — ر . ف)

بوانكاره رئيسا للجمهورية
فاليري لاربو : ا . او — بارنابوث .
الين فورنيه : ايولنس الكبير
ابولينير : الكولس . (الكحول)
بيغوي : اثاث نوتردام
سترافينسكي : قداسة الربيع

١٩١٤ الخبز القاسي الجزء الاول من الرهينة في « الاوفر » العودة الى فرنسا عن طريق السويد ، والنروج ، وانكلترا نشر : « قصيدتا صيف » (ن . ر . ف)

جيد : اقبية الفاتيكان
فارغ : من اجل الموسيقى
بروست : من جهة بيت سوان
وفاة شارل بيغوي ، وجان دي لافيل دي مورمونت ، والين مورنيه

١٩١٥ نشر : كورونا بينينياتس اني داي (ن . ر . ف) ، ليلة عيد الميلاد ١٩١٤ (الفن الكاثوليكي باريس) : ثلاثة قصائد عن الحرب (ن — ر — ف) العذراء في الجنوب ،

ايطاليا تعلن الحرب على المانيا
رومين رولان : جائزة نوبيل
بيار ريفير دي : قصائد نثرية

القديسة سيسيل (س . تارين ـ لوزان مهمة اقتصادية في ايطاليا)	وفاة هنري لافون ، وريمي دي غورمون
١٩١٦ وزيرا مطلق الصلاحية في ريو دي جانيرو روما : الاب المذلول ، نشر قصائد اخرى في اثناء الحرب (ن . ر . ف) ـ القديسة تيريز (الفن الكاثوليكي ـ باريس) طبعة جديدة مزادة من الفن الشعري .	معركة فردون مولد دادا في زوريخ وفاة او ديلون ريدون .
١٩١٧ مولد رينيه كلوديل ابنته.الرجل ورغبته ، (لا مكان ولا تاريخ) . كتب : القداس هناك ـ الدب والقمر	دخول الولايات المتحدة الحرب وزارة كليمنصو بول فاليري : البارك الشاب .
١٩١٨ نشر : خطاب القي في ريو دي جانيرو (أو . بيز ـ ريو دي جانيرو) الخبز القاسي (ن . ر . ف) القديسة سيسيليا (الفن الكاثوليكي ـ باريس)	١١ تشرين الثاني : الهدنة تزارا : بيان دادا وفاة كلود ديبوسني ، وابو ليثير ، وادمون روستان .

١٩١٩ العودة الى فرنسا عن طريق جزر الانتيل ونيويورك . محاضرة في الجمناز . بدا كتابة حذاء الساتين – عرض مسرحي « شانزيليزه الانسان ورغبته » . نشر : القداس هناك (ن . ر . ف) – طبعة جديدة مزادة للرهينة (ن . ر . ف) الدب والقمر (ن . ر . ف)

توقيع معاهدة الصلح في فرسايل . جيد . السمفونية الرعوية
مارسيل بروست . في ظل الفتيات اللابسات الزهر (جائزة كونكور)
ميلهود . العجل فوق السطح .
بريتون . اراغون وسو بول ينشئان « الاداب »

١٩٢٠ وزيرا مطلق الصلاحية في كوبنهاغ
نشر . ترجمة مقدمي قرابين الموتى لاشيل – واومينيد لاشيل ، وعزق الخريف ، وقصيدة لفرنسيس تومسون (ن . ر . ف) ومقدمة لبعض الاثار (ادريان مونيه – باريس) ، الاب المذلول ، (ن . ر . ف) ، القديسة كوليت (بلون – نوري)

ديشانيل رئيسا للجمهورية – ثم ميلران .
فاليري : المقبرة البحرية
أنا دي نوياي : القوى الخالدة .
ماري نويل : الاغاني والساعات .

١٩٢١ النشيد اليوبيلي لمناسبة الذكرى الستمائة لموت دانتي (ن . ر . ف) عين سفيرا في اليابان	بريان رئيسا للوزارة ساندرا الانتولوجيا السوداء هوينغر : الملك داود
١٩٢٢ قصائد على قفا رواية القديسة جنفياف فرنسا وظلها ، محاضرة عن الماريشال جوفر (دون اسم الناشر ـ طوكيو) قصائد حرب (١٩١٤ ـ ١٩١٦) (ن . ر . ف) فيرلين (ن . ر . ف)	بوانكاره ، رئيسا للوزارة موسوليني في السلطة فاليري : بدائع هو نيغر : انتيغون وفاة مارسيل بروست
١٩٢٣ حضر زلزلة الارض في اليابان نشر : نظرة على النفس اليابانية (ن . ر . ف .) ـ الرجل ورغبته (اونيفرسال) القديسة جنفياف (شينشي يوشا ـ طوكيو)	احتلال الرور موریاك : جينيتريكس ميلهود : خلق العالم وفاة بيار لوتي . وموريس باريس وريمون راديغه .
١٩٢٤ نشر : من خلال المدن المحترقة (شامبيون ـ باريس)	سان جون بيرس : « أنا باز » جيد : كوريدون

١٩٢٥ ترك اليابان
افكار واقتراحات عن الشعر الفرنسي ـ نشر : النائمة (شامبيون ـ باريس) اوراق القديسين (ن . ر . ف) مختارات (ن . ر . ف) حذاء الساتين ، اليوم الاول (بلون)

فاليري في الاكاديمية الفرنسية
حرب الريف
مورياك : صحارى الحب
وفاة جاك ريفيير .

١٩٢٦ رحلات متعددة في اوروبا وآسيا . محاضرات (فلورنسا ، زوريخ ، اوكسفورد الخ ..) حج الى « سانت بوم » استاجر قصر بوتين » حيث باشر كتابة محادثات في « اللوار راي ـ شير » الجزء الثاني من « بروتيه » ، وكتب القسم الاكبر من « العصفور الاسود » في الشمس الشارقة . نشر : فاجعة ايجيتار (ن . ر . ف) مراسلات مع جاك ريفيير ١٩٠٧ ـ ١٩١٤) (بلون) .

وزارة بوانكاره للاتحاد الوطني
جيد : مزيفو العملة واذا ماتت الحبة .

اراغون : فلاح باريس
ميلهود : البحار المسكين
وفاة ريلك .

رموز افكار غربية (اوغست بليزو) الفتاة فيولين (اكسيلسيور ون . ر . ف) ، مثل المادية (رولان ديفيس) ، فلسفة الكتاب (ستولس ، ميستربخث) قصائد جسر فيزون (نيشي فوتزو غوجيتسو ـ طوكيو) الذهاب الى اليابان

١٩٢٧ مائة جملة من اجل المراوح . (كوشيبا ـ طوكيو) فكاهتان غنائيتان (ن . ر . ف) وانت ، ما رايك بالمسيح ؟ (بلا مكان ولا تاريخ) (طوكيو) في اليابان (ن . ر . ف) العصفور الاسود في الشمس الشارقة . (اكسيلسيور) ـ بيت انطونين ريمون (ن . ر . ف) شعب الرجال المكسورين (بدون ناشر ـ اليابان) ـ العجور فوق جبل اومي (الكتاب ـ باريس)

برغسون : جائزة نوبيل
ليندبرغ يجتاز الاطلسي
جيد : رحلة الى الكونغو

موررياك : تيريز ديمكيرو

١٩٢٨ تعيينه سفيرا في واشنطن ، وصوله عن طريق سان فرنسيسكو الى الولايات المتحدة ـ عودته الى فرنسا في الربيع حصوله على قصر برانغ .	
كتب : كتاب كريستوف كولومبوس	جيد : العودة من تشاد
نشر : مواقع ومقترحات (ن . ر . ف) ـ تحت حصن اثينا (ن . ر . ف)	مورياك : مصائر برينون . نادجا .
١٩٢٩ دكتور شرف في جامعتي نيويورك وبريستون وفاة والدته .	وبرينستون وزارنا لافال وتارديو ازمة بورصة نيويورك وفاة كليمنصو
نشر : كريستوف كولبوس كراس اوبرا داريوس (ميلهود) (المنشورات العالمية ، فيينا ، ليبزيغ) محادثات في « اللوار اي شير » الخميس (بلون) ، حذاء الساتين (ن . ر . ف)	فاليري : موسيوتيست جيد : مدرسة النساء
١٩٣٠ العودة الى فرنسا . تمثيل كريستوف كولبس في برلين	ماري نويل : مقصبة الافراح مورياك : الذي كان ضائعا

العودة الى الرهينة في باريس حج الى لاساليت . نشر اللص المسروق (اميـــل ــ بول اخوان)	مالرو : الطريق الملكي
١٩٣١ افكار ورمــوز ، مغامــرات صوفيا . نشر : لحن ذو ثلاثة اصوات (ن . ر . ف) ، دين وشعر (ديكله دي برووير)	مقتل بول دومر ، والبيرلو برين يخلفه . روزفلت رئيساً للولايات المتحدة موريات : حجـاج لورد ، والآلام المسيحي وفرحه (١٩٣١-) عقدة الافاعي (١٩٣٢) سيلين : رحلـة في طرف الليـل (١٩٣٢)
١٩٣٣ ترك الولايات المتحدة ، عين سفيرا في بروكسيل ــ نشر : ملاحظة حول الفن المسيحي (دي برووير) جان شارلـو (ن . ر . ف) كتــاب كريستوف كولمبوس (ن . ر ف)	هتلر : مستشارا للرايخ موريات في الاكاديمية الفرنسية وفاة انادي توباي
١٩٣٤ نشر : اسمعي يا ابنتي (ن . ر . ف) اسطورة براكريتــي (ن . ر . ف) مواقـــع ومقترحات (٢) (ن . ر . ف)	٦ شباط : اضطرابات في باريس فضيحة ستافيليسكي جوماندو : شاميادور

١٩٣٥ زيارة لكاهن كليرفو ، في اللوكسمبورغ
شاعر ينظر الى الصليب والرهينة في الكوميديا ، فرانسيز . نشر مقدمة للرسم الهولندي (ن . ر ف) جان على المحرقة . محادثات في اللوار ـ اي ـ شير ـ (ن . ر ف)

الاتفاقات اليابانية ـ الصينية
حرب الحبشة
جيد الاغذية الحديثة

كوكتور : صور ـ ذكريات
وفاة بول بورجيه وهنري باربوس

١٩٣٧ اتم كتاب كريستوف كولمبوس
صالة ـ بليبل . التبادل على مسرح ماتورين . نشر : مغامرات صوفيا (ن . ر . ف) خطاب افتتاح مؤتمر جمالية الفن وعلمه . (الكان) ـ اليهون (بلون) تحية لفرنسيس جيمس (اميل ـ بول اخوان) زجاجيات كنائس فرنسا (بلون)

مارلو : الرجاء

وفاة موريس رافيل

١٩٢٨ مقدمة لكتاب روث (ديكله دي برووير) سر الحجارة الثمينة (كارتيه) ، شاعر ينظر الى الصليب (ن . ر . ف)	مؤتمر ميونيخ كاركو : بصوت منخفض ماكس جاكوب : موشحات وفاة فرنسيس جيمس
١٩٣٩ محاضرات في كان (عن جيمس) وفي الالزاس . عرض جان على المحرقة في اورليان دوكتوراه شرف في كامبريدج . نشر : السيف والمرآة (ن . ر . ف) جان دارك على المحرقة (ن . ر . ف) الحكمة او مثل المائدة (ن . ر . ف) اعادة الرهينة بالفرنسية	اعلان فرنسا وانكلترا الحرب على المانيا (٣ ايلول) – ليون – بول فارغ : السائر الباريسي .
١٩٤٠ تمثيل جان على المحرقة في بروكسيل وانغبرس نشر : هكذا ايضا مرة اخرى (ن . ر . ف) بشارة مريم ، طبعة مزادة (ن . ر . ف) اتصالات ومحاضرات (ن . ر . ف)	الهدنة (١٧ حزيران) الدولة الفرنسية كوكتو : نهاية بوتوماك اراغون : انفجار – قلب هونيغر : رقصة الموتى وفاة فرويد ، وسان – بول رو

١٩٤١ زيارة رومان ــ رولان .

١٩٤٢ مهمة في الجزائر .
نشر : حضور ونبوءة (ل . و . ف فريبورغ) تاريخ طوبيا وساره (ن . ر . ف) الوردة ــ وزهرة العنز (المنشورات الالزاسية) ــ السيد ، علمنا كيف نصلي (ن . ر . ف)

دخول الولايات المتحدة الحرب
المانيا تجتاح الاتحاد السوفياتي (١٩٤١)
الانزال الحليف في افريقيا الشمالية (١٩٤٢)
بولان : ازهار القارب
فاليري : فوستي
كاموس : الغريب

١٩٤٣ وفاة كميل كلوديل ، شقيقة الشاعر

١٩٤٤ تمثيل حذاء الساتين في الكوميدي ، فرانسير (منشورات ن . ر . ف) ، اعمال ايولوجينية (بول كلوديل يسأل الرؤيا) « نشيد الاناشيد .. الخ ..) نشر : صفحات من النثر (غاليمار) صلاة من اجل المشلولين (آفاق فرنسا ــ باريس)

٦ حزيران ١٩٤٤ . الانزال الحليف
في النورماندي .
تحرير باريس .
سارتر : الذباب (١٩٤٣)
بولينك : اثرا ، التريزياس .
وفاة ماكس جاكوب ودريولا روشيل
وجيرو دو .

١٩٤٥ نشر : دود واتزو (غاليمار) كلمات للماريشال (منشورات الجنـــوب) الاب المذلـــول (غاليمار) قصائد وكلمات في اثناء حـــرب الثلاثـــين سنـــة (.غاليمار) ، المزامير السبعة للتوبة ، مترجمة بتصرف مع درس عن الضمير (الوسوي) ترجمة المزمور الـــ (٢١) من التوراة (« أتييس » باريس)

استسلام المانيا
ضرب اليابان بالقنابل الذرية
مؤتمر يالتا
جيرودو : مجنونة شايو
وفاة موريس ساخس وبول فاليري

١٩٤٦ انتخابه للاكاديمية الفرنسية بـــ ٢٤ صوتا من اصل ٢٥
محاضرة في المعهد الكاثوليكي في باريس
الوردة والمقصبة (ل . و . ف ايغلوف فريبـــورغ) مقدمـــة للرؤيا (ل . و . ف) كتاب جوب (بلون) العين تصغي (غاليمـــــار) ، اعترافـــــات الساليت (المائدة المستديرة) سان ـــ فرانسوا (غاليمار)

الجمهورية الرابعة
احكام نورمبرغ
منظمة الامم المتحدة

جاكو بريفير : كلمات

سارتر : سن البلوغ

جينيه ، يومية لص

١٩٤٧ الاب المذلـــول على مسرح الشانزيليزه بشارة الاتينيه ـ المبادلـــة في ستوديـــو الشانزيليزه .
دوكتوراه شرف في جامعة لوفين
استقبالـــه في الاكاديميـــة الفرنسية في ١٢ اذار من قبل فرانسوا مورياك
نشر : محاضرات وتشــكرات (غاليمـــار) ـ الصـــين (سكيرا) من جهة بيت راموز (ايدوكالاند ـ نيوشاتيل) ـ الجوهـــرة الســـوداء (غاليمار) ـ سانت انيـاس (لا اسم لناشر) ـ وجـوه مشعـــة (ل . و . ف) المسرح (١) مكتبة النخبـة (غاليمار)

اندره جيد : جائزة نوبيل

فنسان اوريول ، رئيسا للجمهورية

مشروع مارشال

البير كاموس : الطاعون

كينو ، تمارين انشائية

موت ليون ـ بول فارغ

١٩٤٨ جان على المحرقة في السكالا ـ ميلانو ، البشارة على مسرح هيبرتو ـ الطبعة النهائيـة لبشـارة مريـم ، اقتســام الجنوب ، بول كلوديل يسأل

سارتر الايدي القذرة

كاموس حاله الحصار

سوبر فيل : سارق الاولاد

وفاة انطونين ارتو

نشيد الاناشيد ـ المسرح : (جزء ٢) ، الثريا (الجميع من منشورات غاليمار) ـ تحت اشارة التنين (المائدة المستديرة)

١٩٤٩ تمثيل : اقتسام الجنوب على مسرح ـ مارينيي والخبز القاسي على مسرح « الاتوليه ـ نشر : المرافقات (غاليمار) ـ كتاب الحيوان الروحي (ميرمود ـ لوزان) مراسلات مع اندره جيد (١٨٩٩ ـ ١٩٢٦) (غاليمار) اقتسام الجنوب (غاليمار) بول كلوديل يجيب المزامير (ايد وكالاند ـ نيوشاتيل)

جمهورية الصين الشعبية
جمهورية المانيا الاتحادية
ازمة برلين الاولى
كاموس : العادلون
وفاة كريستيان بيرار وشارل دولين

١٩٥٠ اعادة تمثيل حذاء الساتين على الكوميدي ـ فرانسيز ـ تمثيل طوبيا وساره في مهرجان افينيون ـ نشر : ايموس (غاليمار) ـ الاثار الكاملة الجزء الاول (غاليمار)

حرب كوريا
يونيسكو . المغنية الصلعاء .

١٩٥١ مقابـلات مع اراموش في الاذاعة .

١٩٥٢ اعادة البشارة ، التبـادل . الرهينة ، جان على المحرقة في الاوبرا نال الوسـام الاكبـر لجوقة الشرف
نشر : مراسـلات مع انـدره سواريس (١٩٠٤ ـ ١٩٣٨) ـ (غاليمـار)
انجيل اشعيـا (غاليمار) ـ صوت عن اسرائيل (غاليمار)
مراسـلات مع فرنسـيس جيمس ـ الجـزء الثالـث والرابـع (غاليمـار) ـ
القديسـة تيريـز دي ليزيـو تحدثكم (منشورات الرهبان البينيديكتيـين لدى رعيـة نوتردام دوبري دي ليزيو) ـ
بول كلوديـل يسـأل الرؤيـا (غاليمار) ـ رمزية لاساليت (غاليمار)

سارتر : الشيطان واللـه الطيـب (١٩٥١)
كاموس : الرجل الثائر
وفاة جيد ولويس موفيه (١٩٥١)
فرانسوا مورياك : جائـزة نوبيـل (١٩٥٢)
وفاة بول ايلوار (١٩٥٢)

١٩٥٣ رحلة الى برشلونة

١٩٥٤ محاضرة عن فيكتور هوغو في فندق دي ماسا ، حجة الى موسيرات الاثار الكاملة الجزء الخامس والسادس (غاليمار)

رحلات . الى هامبورغ وبروكسيل وزوريخ — العرض الاول لكريستوف كولمبوس على مسرح مارينيي — طوبيا وساره ، نشيد الرجاء في قصر شايو

نشر : مذكرات غير متوقعة ، مقابلات اذاعية مع جان امروش (غاليمار) — الاثار الكاملة الجزء السابع والثامن (غاليمار)

اعادة اقتسام الجنوب على مسرح مارينيي

محاضرة في القاعة الكبرى بفيرسايل : فولجينس كورونا — جان على المحرقة في الاوبرا — دخل الى مستوصف ايكس — لي . بين بسبب نوبة قلبية

موت ستالين
هدنة في كوريا
مؤتمر جينيف عن الهند الصينية
رينه كوتي رئيسا للجمهورية
حرب الجزائر
صموئيل بيكيت : في انتظار غودو (١٩٥٢)
فرانسواز ساغان : مرحبا ايها الحزن (١٩٥٣)

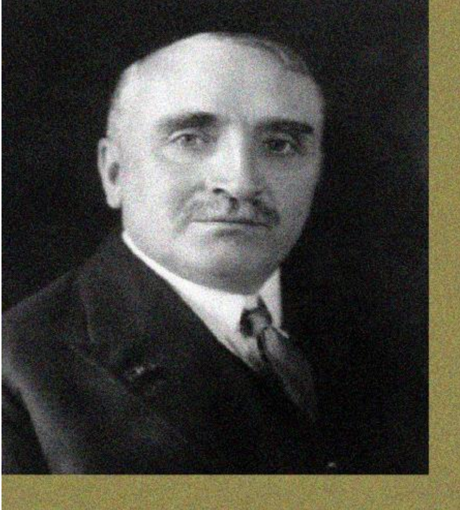
سيمون دي فوفوار : المثقفون (١٩٥٤)

مونترلان : بور — رويال ١٩٥٤

وفاة كوليت .

١٩٥٥ بروتيه في المسرح الباريسي ليلة ساهرة (١٧ شباط) على شرف اعادة البشارة على مسرح الكوميدي فرانسيز .	
٢٢ شباط ، مات بول كلوديل في باريس ـ ٢٨ شباط : عرض الجثمان في قاعة نوتردام	
اول اذار : حفلة الجناز في الكاتدرائية	
٣ ايلول : نقل الرفات الى برانغ	
نشر : رسائل كلوديل عن التوراة (المنشورات الحديثة دبيريس) انا احب التوراة (فايارد) الاثار الكاملة الجزء التاسع (غاليمار)	استقلال تونس
محادثة حول راسين ١٩٥٦ (غاليمار) ـ الاثار الكاملة من الجزء العاشر الى السادس والعشرين ـ ١٩٦٧ ـ (غاليمار) ـ دفاتر بول كلوديل : ثمانية دفاتر يوميات : الجزء الاول والجزء الثاني ـ مجموعة الثريا (غاليمار)	ساندرار : خذني الى اقصى العالم وفاة ارثور هينيغر

فهرست



بول كلوديل : هو أديب وشاعر ومسرحي ودبلوماسي فرنسي. وهو
خ للفنانة النحاتة كاميل كلوديل المشهورة بقصتها مع النحات رودان وله مع
ختة الكثير من الرسائل وهي تلاقي علاجها في المصحة وقدأصبح واحدًا من
شهر الشعراء وكتاب المسرح الفرنسيين في أوائل القرن العشرين.